نقد الرؤية الإسرائيلية للسلام
شالوم / السلام

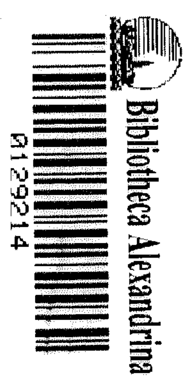
أسس مشتركة للحوار بين اليهود والمسلمين
بالولايات المتحدة الأمريكية

ترجمة
محمد عبد العظيم على

تعليق
أحمد على الكردى

تقديم
فتحى محمد حجازى
عضو لجان الحوار الدينى بنيويورك

SHALOM / SALAAM :
A Resource for Jewish - Muslim Dialogue





SHALOM / SALAAM
A Resource For Jewish - Muslim Dialogue

شالوم/ السلام
أسس مشتركة للحوار بين اليهود والمسلمين بالولايات المتحدة الأمريكية

تأليف

Gary M. Bretton - Granatoor — الحاخام / جارى م. بريتون جرانتور

& — و

Andrea L. Weiss — الحاخام / أندريا ل . ويس

ترجمة
محمد عبد العظيم على

تعليق
احمد على الكردى



دار الدعـــوة للطبع والنشر والتوزيع
٢ شارع منشا محرم بك ـ الأسكندرية ت / ١٩١٤٠
فاكس : ٥٩٥١٦٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم

* ﴿ إن هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون، وإنــه لهدى ورحمة للمؤمنين، إن ربك يقضى بينهم بحكمه وهو العزيز العليم، فتوكل على الله إنك على الحق المبين ﴾ . (سورة النمل ٧٦ ـ ٧٩)

* ﴿ ليس بأمانيكم (أيها المسلمون) ولا أمانىِّ أهل الكتاب (أيها اليهود والنصارى) من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً، ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً، ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلاً، ولله ما فى السموات وما فى الأرض وكان الله بكل شئ محيطاً ﴾ .
(سورة النساء ١٢٣ ـ ١٢٦)

* ﴿ لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً ﴾
(سورة النساء ١٦٦)

طبعة أولى عام ١٩٩٥

تم ترجمة هذا الكتاب بتصريح كتابى من "HAHC"
Union Of American Hebrew Congregation, New York
التى اصدرت الكتاب باللغة الانجليزية عام ١٩٩٣ وطبعته بمطابعها

ويمكن لمن يرغب فى الاطلاع على الكتاب الاصلى وفتح حوار مع المؤسسات غير الاسلامية الاتصال بهذه الجمعية وعنوانها موضح بهذا الكتاب.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

يسعدنى تقديم كتاب شالوم / السلام: اسس مشتركة للحوار بين اليهود والمسلمين بالولايات المتحدة، وهو ثمرة جهود مكثفة من عدد كبير من الشخصيات الهامة بالولايات المتحدة الامريكية يهود ونصارى ومسلمين فضلاً عن جهود اخرى بجمهورية مصر العربية لإخراجه إلى قراء العربية.

ففى ظل الصحوة الاسلامية، ومحاولة توطيد العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين، وتشجيعهم على الانفتاح فى التعامل بين بعضهم البعض، ومن أجل إيجاد سلام عادل بينهم لسعادة شعوبهم بإحلال السلام بدلاً من الحرب. ومن أجل تصويب بعض الأخطاء الشائعة فى مفهوم العهد - عهد الله إلى ابراهيم (أبى الانبياء)الذى توارثه اليهود - وحرصاً منى على توضيح قضية العهد لأهميتها بعرض المفاهيم القرآنية عنها، خاصة وان الاسلام لم يبدأ من عهد محمد عليه الصلاة والسلام، وإنما هو دين الله على لسان جميع أنبيائه ابتداء من آدم - ابى البشر - حتى محمد خاتم الانبياء والمرسلين لكافة الناس اجمعين مروراً بابراهيم - خليل الله - وموسى - كليم الله - وعيسى - كلمة الله وروح منه .

فقد وجدت من المناسب بعد الاطلاع على هذا الكتاب: السلام / شالوم باللغة الانجليزية، ان انتهز هذه الفرصة لنقله بالعربية إلى من يهمهم الأمر من المفكرين والدعاة من المسلمين وغيرهم. وان توضح هذه النقاط لجميع الناس بأن إلهنا إله واحد، وان الاسلام الذى ادين به ويدين به ملايين من البشر قاعدته السماحة والسلام مع الآخرين، وما يخالف ذلك فهو ليس من الاسلام فى شئ.

وان الاسلام عقائده ومفاهيمه إلهية، تدعو إلى الرقى الانسانى والمحبة والمساواة بين البشر، ولا تقبل تقاتلهم بسبب خلافاتهم وانما تشجعهم على الحوار والتفاهم. وادعو الله أن يهتم كل من يعمل من أجل نشر السلام فى هذه الأرض أن يكون جدالهم بالتى هى أحسن، وان يحاولوا اصلاح كتب تراثهم حتى يتعاون الجميع لوضع اسس السلام والمحبة في الأرض وبين البشر جميعاً.

ويتلخص هدفى فى محاولاتى واتصالاتى للحصول على موافقة الناشر الامريكى على ترجمة هذا الكتاب بعد أن عشت عمرى من الطفولة حتى اليوم أى أكثر من ستين سنة - حيث كان قدرى أن اعيش بين اخوة من البشر من مختلف الجنسيات والديانات، امتازت كلها بالعلاقات الطيبة والمحبة والتفاهم والاحترام، فقررت مواصلة هذا العمل من أجل اقامة جسور للتفاهم وقواعد للسلام واسس لبناء المحبة والمودة بين الناس على اختلاف عقائدهم وجنسياتهم.

فمحبة اللهوعبادته تتجلى أيضاً فى محبة عباده ومخلوقاته ودعوتهم والعمل معهم دائماً من اجل العيش فى سلام على هذه الأرض حتى تقوم الساعة.

والله ولى التوفيق

فتحى محمد حجازى

<u>ملاحظة:</u>

المرجو ممن يهمهم الامر ارسال
ملاحظاتهم وتعليقاتهم للاستفادة بها
مستقبلاً على عنوان الناشر

اضافات هامة
قبل عرض ترجمة الكتاب

الاسلام يدعو إلى الحوار ويرحب بالمتحاورين ولكن..

بقلم/ احمد على الكردى (المعلق)

لا يرفض الاسلام الحوار.. بل يدعو إليه. لأن كل شئ عنده واضح غير مستتر. إذ ليس فيه أسرار يختص بها رجال الدين.. بل لقد أسقط من حسابه نظام الكهنوت وما يسمى برجال الدين، وجعل الأمر فى الايمان يقوم على علاقة العبد بربه. فلابد اذن من الحوار حتى يقتنع الإنسان بما أوحى الله به، وبالمبادئ التى جاء بها هذا الدين.

ولأن الإسلام يقوم على مبدأ "الإقناع والاقتناع"، فلا مجال للإكراه فيه ﴿لاإكراه فى الدين، قد تبين الرشد من الغى﴾ (البقرة ٢٥٦). لذلك كان الحوار هو أسلوبه فى الدعوة إليه منذ أيامه الأولى.

قد يحاور المشركين فى مكة، كما يحاور أهل الكتاب فى المدينة..

ففى مكة يقول للمشركين ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً. ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم. ولاتقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن. ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق. ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون. ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده. وأوفوا الكيل والميزان بالقسط. لا نكلف نفساً إلا وسعها. وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى. وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون. وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ (الأنعام ١٥١-١٥٣). ويفند قولهم وادعاءاتهم بعد ذلك بقوله تعالى ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون. أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين. أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم. فقد جاءكم بينةٌ من ربكم وهدىً ورحمة. فمن أظلم

ممن كذّب بآيات الله وصدف عنها. سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون ﴾ (الأنعام ١٥٥_١٥٧).

وما أجمل هذا النقاش الرائع الذى تقدمه لنا سورة النمل بقوله تعالى ﴿ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آالله خير أم ما يشركون. أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجةٍ ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون. أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون. أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون. أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون. أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ (النمل ٥٩_٦٤).

ولما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كان الحوار الواضح البعيد عن العنف والشدة هو أسلوبه مع أهل الكتاب، مصداق ما دعا الله إليه بقوله ﴿ولاتجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا ءامنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهاكم واحد ونحن له مسلمون﴾ (العنكبوت ٤٦) بل طالبنا أن ندخل معهم فى حوار هادف. دون عنف أو صخب إذ يقول جل وعلا ﴿ قل يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ (آل عمران ٦٤).

وقد جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم محاور فى شخصية المسيح عليه السلام، يقول للرسول صلى الله عليه وسلم: كيف تقول عن عيسى انه عبد الله وكلمته؟ وهل هناك عبد لا أباً له؟ فنزل قوله تعالى ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من ترابٍ ثم قال له كن فيكون ﴾ (آل عمران ٥٩).

وقد حاور وجادل بعض أهل الكتاب (من اليهود) فى شخصية ابراهيم عليه السلام مدعين أنه يهودى - كما جادل أحد كتّاب هذا الكتاب - فقال الله تعالى ﴿ يأهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون﴾ (آل عمران ٦٥) ثم يقول ﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ﴾ (آل عمران ٦٧) ويحاورهم فى سورة البقرة فى نفس الموقف بل يوسعه فيقول جل من قائل ﴿ أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادةً عنده من الله وما الله بغافلٍ عما تعملون﴾ (البقرة ١٤٠).

وهكذا نرى الإسلام يجعل أسلوب الحوار سبيلاً إلى الاقناع بمبادئه وهدايته سواء مع أهل الكتاب أم مع غيرهم.. ولا يكتفى بعرض مبادئه عن طريق الحوار بل يدعمها بمختلف الأدلة. بل يستثير المعارضين أن يأتوا بالبراهين إن كان لديهم منها شئ. استمع إليه وهو يقول ﴿ أإله مع الله؟ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ (النمل ٦٤). ذلك أن الإسلام يرفض أن يفرض مبادئه على الناس فرضاً. وإنما يخاطب عقولهم وقلوبهم حتى تستجيب له إذ ﴿ لا إكراه فى الدين ﴾ (البقرة ٢٥٦).

والإسلام عندما جاء لم يفترض عداوة بينه وبين أهل الكتاب. بل أعلن أنه خاتم الرسالات، ونبيه خاتم الأنبياء.. وأن الرسل قبله مصدّقون عنده.. وأن الإيمان بهم جزء من الإيمان به. ولا يقبل إيمان أحد لم يؤمن بكل الرسل السابقين ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم ﴾ (النساء١٥٢).

ولم يكتف الإسلام بذلك بل جعل أهل الكتاب مرجعاً فى معرفة الحق عندما يضطرب الأمر فى نفوس الناس. يقول الله تبارك وتعالى لنبيه - وخطاب النبى خطاب لأمته، مالم يرد تخصيص - ﴿ فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ﴾ (يونس ٩٤). ويقول سبحانه ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون

الرحمن آلهة يعبدون ﴾ (الزخرف ٤٥). بل يستشهد ببني اسرائيل على صحة الرسالة فيقول الله تبارك وتعالى ﴿ قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ﴾ (الأحقاف ١٠). بل أن الرسول صلى الله عليه وسلم ليقول "بلغوا عني ولو آية. وحدثوا عن بني اسرائيل ولاحرج".

وبعد أن رأينا موقف الإسلام من الحوار كوسيلة "للاقناع والاقتناع". وبعد أن رأينا موقف الإسلام من أهل الكتاب، بعد كل هذا ـ هل يقال: إن الإسلام يرفض الحوار أو لا يهتم به.؟

غير أننا إذ نقبل الحوار ونرضى به، نشترط أن يكون الحوار يستهدف حقائق ينتفع بها الناس، ويهتدي بها أهل الأديان، ويبتعد بهم عن التعصب والعرقية والمذهبية، ويتجه بنا إلى الحقيقة في ذاتها دون النظر إلى ما يعوقها.

غير أن ما جاء في هذا الكتاب لا يرشح ذلك، ولا يعطينا الضوء لنصل إلى ما نريده من الحوار. فقد رأينا مثلا ضرب لبيان مايختلف عليه المسلمون واليهود. وكان بعنوان "إبراهيم المسلم الأول. ام اليهودي الأول؟ " ومع أن الأمر ليس أمر نسب وتناسل، وإنما هو أمر أديان تنتسب لنبيها. ومن خلال هذه الحقيقة فلا يقال ان إبراهيم هو اليهودي الأول. فلم تكن في أيام إبراهيم يهودية أو نصرانية، وإنما كانت هناك "الوحدانية" الصادقة التي انتسب إليها الإسلام.

واليهود أبناء يعقوب. وهو الذي سمي اسرائيل، وأبناؤه الاثنا عشر هم آباء اليهود. وحتى تلك اللحظة لم تكن هناك ديانة تسمى اليهودية، بل كانت كذلك على يد موسى عليه السلام، وبين إبراهيم عليه السلام وبين موسى مئات السنين. فكيف يكون ابراهيم هو اليهودي الأول؟ .

على ان الإسلام عندما ينتسب إلى إبراهيم عليه السلام ـ لاينتسب إليه انتساب تناسل. وانما هو انتساب دين وحقيقة. فإبراهيم كانت رسالته اعلان التوحيد الخالص. وكذلك كان الإسلام ولا يزال. يقول الله تعالى ﴿ قل إنني هداني ربي إلى صراطٍ مستقيمٍ ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ (الانعام ١٦١).

ولا عبرة عندنا لما نقله الكاتب عن القرطبى عن رحلة إبراهيم وزوجه هاجر وابنه اسماعيل عليهم السلام. فالروايات من قصص الانبياء ـ التى أصبحت غيباً ـ لا يقبل منها إلا ما جاءت به النصوص الصحيحة من كتاب وسنة. وما ذكره الكتاب والسنة. أما هذه الروايات فهى من الاسرائيليات التى اخذها المسلمون الأوائل عن بنى اسرائيل. ونسبتها إلى ابن عباس لا تعطى صحة. فقد يكون السند فاسداً إذا تعرض لنقده. وفى روايات القرطبى كان الصحيح والضعيف والسقيم. وقد ذكر المحققون أن ابن عباس رضى الله عنهما وعبد الله بن عمرو بن العاص كانا يرويان الكثير من الاسرائيليات اخذت عن بنى اسرائيل. فهذه الرواية التى ذكرها الكتاب انما هى من قبيل "بضاعتهم ردت إليهم".

ونخلص من كل ذلك على اننا لا نرفض الحوار ما دام يستهدف الحق ويدفع الباطل..

١٧ رمضان ١٤١٥

١٧ فبراير ١٩٩٥

طبيعة الإسلام وموقفه من الاديان الأخرى.. كمدخل للحوار

بقلم / محمد عبد العظيم على (المترجم)

---

(١) القرآن دعوة[1] عالمية يقصد الانسان حيث يكون وإلى أى جنس ينتمى، وذلك حين يوجه نداءه إلى العقل والذوق السليم والشعور النبيل فى الانسان، بهدف تطهير العادات وتوضيح العقائد والتقريب بينها، واسقاط الحواجز العنصرية والوطنية، واحلال قانون الحق والعدل محل قانون القوة الغاشمة. وإذا كانت الدعوة القرآنية قد انتشرت فى البداية فى الجزيرة العربية بين العرب فإن غايتها هى أفراد البشرية اجمعين.

(٢) وأهم ملامح الجاذبية التى تتميز بها الدعوة القرآنية تكمن فى الطريقة التى قدم بها القرآن الحقيقة الدينية بهدف وضع نهاية للخلافات المثارة حولها. فقد ركز القرآن على فكرة أن رسل الله جميعاً يعزز بعضهم بعضاً، ويتضامنون فى تبليغ حقيقة واحدة، وان الانبياء أمة واحدة تحت لواء الله الواحد. وان هذه الوحدة كانت تجمع سائر الناس فيما مضى، وإنما الاجيال اللاحقة هى التى بذرت الخلاف والفرقة. والقرآن وهو يعرض دعوته بطريقته المنطقية ـ لا يعرضها على أنها دعوة محمدية جديدة ومستقلة تنافس الموسوية والمسيحية وتنازعمها الحقيقة الدينية. وانما يقرر القرآن أن المسلم هو الذى يؤمن فى آن واحد بموسى وعيسى وجميع رسل الله ويوقرهم بلا تمييز بينهم ويؤمن كذلك بكتبهم ومبادئهم جمعياً. وان المسلم هو الذى يستسلم لله ولإرادته التى اعلنت متتابعة على ألسنة الانبياء والمرسلين. وبهذا يسمو الناس فوق الانشقاق والتنافس. ويجدون فى هذا الاجماع التوازن الذى لا غنى عنه لراحة الضمائر..

إذن القرآن يدعو إلى العودة إلى الوحدة الدينية الاصلية التى يستجيب لها ويعتز بها ذوو النفوس السامية، والتى تغوص جذورها فى اعماق معتقدات آبائنا

الأولين. وبهذا نرى القرآن - مع استخدامه الأدلة المنطقية - يؤسس دعوته إلى التوحيد على تاريخ الانبياء فى كل الأزمنة السابقة، ويثبت بوضوح أن العقل والنقل يشاركان القرآن فى اثبات عقيدة التوحيد، ورفض الوثنية والاشراك بالله على اختلاف صورهما. وأنه لاشئ فى هذا الوجود يستحق العبادة والخضوع سوى الله الواحد القهاراستناداً إلى فكرة كمال الله المطلق وصفاته المطلقة التى أسس القرآن عليها الجانب الأول من الحقيقة الدينية العامة.

أما الجانب الثانى من هذه الحقيقة، ألا وهو الايمان بالآخرة، حيث يقدم الانسان اعماله لله تعالى ويتلقى منه الجزاء العادل، فقد أسسه القرآن على خلود الروح وبعث الجسد، والقرآن يؤسس عقيدة البعث ليس فقط على قرار ربانى ألزم الله تعالى به نفسه ﴿ بلى وعدا عليه حقا ﴾ (النحل ٣٨)، وإنما على أنه أحد مستلزمات العدل الإلهى والحكمة السامية ﴿ ليبين لهم الذى يختلفون فيه ﴾ (النحل ٣٩)، ﴿ولتجزى كل نفس بما كسبت ﴾ (الجاثية ٢٢) وإلا لكانت حياة الانسان سدى بلا غاية وبلا جدوى.

ولقد أحرزت الحقيقة الدينية تقدماً ملموساً بالطريقة التى قدمها بها القرآن - ليس فقط لأنه ساق البراهين والأدلة القادرة على اقناع أصعب العقول وعلى تحريك أقسى القلوب، وليس فقط لأنه قدم نظراته الواسعة والثاقبة عن الكون السماوى والأرضى واستخلص المواعظ والدروس من كل مظهر من مظاهر الخلق الظاهرة والباطنة، ولكن لأنه أبرز مادة الدين ذاتها المتعلقة باختصاصات الله تعالى ومآل الروح، فضلاً عن معنى الألوهية - الذى اصبح يمتاز بصفاء ونقاء وقدسية خاصة تبعد عن اى تجسيم وتجسيد، وصارت له قوة جارفة أخاذة تحلق بالانسان إلى عالم الروح السامى - بدى كل هذا وكأنه اكتسب روحاً جديدة لم تكن معهودة من قبل.

(٣) ولكن النفس الانسانية بجانب حاجتها إلى المعرفة والاعتقاد - تحتاج فى إلحاح إلى القاعدة العملية الواضحة والقادرة على توجية نشاط الانسان سواء فى تصرفاته

مع نفسه أو فى علاقاته مع غيره أو مع خالقه. ولقد قدم القران هذا النظام بأوفى وأدق طريقة ممكنة، وخط فى هذا المجال خطاً واضحا يسلكه الانسان فى أمان واطمئنان، وجعل الجانب العملى شرطاً لاغنى عنه للفلاح فى الدنيا والسعادة الخالدة فى الآخرة.وامتازت طريقة القرآن باسلوبه الفريد فى عرض هذه الحقائق وتوضيح مادتها ومحتواها.

فقد قرر القرآن ان الله قد غرس فى داخل كل منا بصيرة أخلاقية غريزية، تجعلنا نقدر ونحب الفضيلة لذاتها فينا وفى غيرنا، كما تجعلنا ننفر من مشهد أى سلوك هابط، ونكره فى انفسنا عيوبنا الذاتية حتى ونحن نلتمس لأنفسنا المعاذير. لأننا لا نقبل أن نوصم بأى رذيلة. وعلى هذا الشعور العام القادر على التمييز بين العدل والظلم، وبين الخير والشر، يستند القرآن فى أغلب الاحيان ليؤسس نظامه الأخلاقى، ونظراً لأن هذه الحاسة الفطرية فى الانسان ليست دائماً بنفس القوة والفاعلية عند كل الناس لكى تلزمهم بالخضوع لقاعدة السلوك الشرعية، فقد وضع الاسلام منهجاً كاملاً فى التربية يستند إلى الذكاء والعقل وهما هبة الله للانسان فوق الحاسة الخلقية، حتى إذا ضعفت هذه الحاسة تبقى فكرة الواجب العام ماثلة فى العقل الانسانى.

ولقد اتبع القرآن أفضل طريقة لإيقاظ هذه الفكرة ولجعلها تسمو بالمشاعر وذلك بأن استعان بتأييد ذوى الاختصاص لها من الحكماء والانبياء فى كل زمان. فليس بمحض الصدفة ان يدعو محمد صلى الله عليه وسلم إلى ماسبق ان دعا إليه الرسل السابقون. بل اننا لا نجد مبدأ أخلاقياً ينقله لنا القرآن على أنه كان ضمن تعاليم رسول من الرسل أو حكيم من الحكماء إلا وأورده القرآن فى موضع آخر كواجب تلتزم به جماعة المسلمين. فالوصايا العشر موجودة فى آيات متفرقة فى عدد من السور المكية والمدنية، فضلاً عن أحكام أخرى من التوراة تتعلق بعمل القلب وعمل الجوارح. ولقد قال عيسى عليه السلام الحق كل الحق عندما أكد أنه لم يأتِ ليلغى وينسخ وانما ليتم ويكمل، اى انه كان يوالى مهمة التطهير الاخلاقى التى

بدأها المرسلون من قبله. والآيات القرآنية تعزز ما جاء به موسى وعيسى ونختار بعض الأمثلة عن ترابط وتكامل الأحكام فى العهدين القديم والجديد وفى القرآن.

ـ ففى الطلاق نجد حرية دون قيد منحتها التوراة للزوج ليطلق زوجته، بينما نرى الانجيل وكأنه يعارض الطلاق إلا فى حالة الخيانة. أما فى القصاص، فمقابل الاصرار على المطالبة بدم القاتل والرد على كل سيئة بمثلها فى العهد القديم، علم عيسى عليه السلام عدم مقاومة الشرير والعفو عنه. أما القاعدة الاخلاقية الصحيحة فهى التى يضمها الكتابان المقدسان معاً بحيث احتوى كل منهما جزءاً منها وترك الجزء الآخر مستتراً إلى حد ما. ولقد تولى القرآن إعلان القاعدة الكاملة فى القصاص ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين. واصبر وما صبرك إلا بالله ﴾ (النحل ١٢٦ـ١٢٧). أما فيما يختص بالطلاق فهناك حواجز قبل إيقاعه (النساء ١٩،٣٥،١٢٨) ومحاولات يجب بذلها للتوفيق (البقرة ٢٢٨،٢٣٠ ، والطلاق ١ـ٢)، ومن يرجع عن قرار الطلاق يستحق المغفرة (البقرة ٢٢٦)، وهكذا يوضح القرآن أعمال الرسل ويؤيد شرائعهم بالجمع والتوفيق بينها.

ـ ولكن القرآن له رسالة أخرى ألا وهى إتمام وإنهاء الصرح الإلهى الذى بناه الرسل والانبياء على مر العصور. ففى مجال الفضيلة الشخصية نجد قاعدة جديدة هى تحريم الخمر والقضاء على مصادرها بمنع تناول المسكرات بكافة أنواعها وذلك لما لها تأثير مدمر على العقل والصحة. ونجد مبدأ جديداً هو "النية" باعتبارها لب العمل الاخلاقى. فقد كان موسى عليه السلام يغرى قومه بأرض الميعاد والنصر على الاعداء والبركة والرخاء فى كل شئون الدنيا، ثم جاء عيسى عليه السلام ليفتح عهداً جديداً ويقرر أن النعيم والسعادة الموعودة ليست فى هذه الدنيا وانما فى ملكوت السماء. وأخيراً جاء القرآن يجمع بمنهجه البّناء هذين الوعدين ويوفق بينهما باعتبار أن الهدف هو فى الخير المطلق، أى فى النية

الخالصة لله تعالى الذى يجب استحضاره فى القلب عند اداء العمل الاخلاقى الذى ينطوى على طاعة أوامر الله (البقرة ٢٧٢ والليل ١٩ـ٢٠).

ـ والفضيلة بين الأفراد، استقامت شجرتها بأحكام التوراة، وبزغت فروعها وأوراقها بأحكام الانجيل. أما بأحكام القرآن فقد أزهرت الشجرة وآتت ثمارها، فقد أوجد القرآن فصلاً رائعاً فى الحضارة الاخلاقية أى السلوك الكريم فى الأدب والذوق الاجتماعى والتحشم فى المظهر: التحية (النساء٨٦) دخول البيوت (النور٢٧ـ٢٨) الاستئذان (النور٥٨ـ٥٩) الأكل عند الاقارب (النور ٦١ـ٦٢) خفض الصوت (الحجرات ٢ـ٥ ولقمان ١٩) التناجى (المجادلة ٨ـ١١) الظن (الحجرات١٢) غض البصر (النور ٣١) وضع الثياب (النور ٦١) طريقة الحديث (الأحزاب٣٢ـ٣٣) دخول بيوت النبى (الأحزاب ٥٣) التحشم (الأحزاب ٥٩).

ـ والفضائل الجماعية والفضائل العامة: ففى القانون الأخلاقى فى الديانة الموسوية يوجد الحاجز العالى بين الاسرائيلى وغير الاسرائيلى. أما القانون الأخلاقى المسيحى فله الفضل فى إسقاط هذا الحاجز، وتوسيع المحبة المسيحية إلى خارج الحدود الاقليمية لاحتواء الانسانية كلها، وقد أحسنت صنعاً بإبطال الطابع العنصرى واستبداله بأخوة عالمية. ثم جاء القرآن فجمع بين الفضيلة العامة والفضيلة الجماعية وتطورت فكرة الفضيلة العامة التى أعلنها الانجيل واتسعت لتشمل مجالات الحياة المختلفة، إذ يقرر أنه خارج الأخوة فى الله توجد الأخوة فى آدم (الحجرات ١٠ـ١١،١٣) وينبغى أن تسود المحبة والاحسان مع اختلاف المشاعر الدينية (الممتحنة ٨) وإقامة العدل مع الاعداء (المائدة ٨) وتحريم الربا مع الجميع، وان يكون التقى داخل جماعته وخارجها (آل عمران ٧٥،٧٦) والاهتمام بفك اسرى المسلمين (النساء ٧٥) والعبيد بوجه عام (التوبة ٦٠، والبقرة ١٧٧، والبلد ١٣).

ـ وفصل جديد تماماً فى مبادئ الأخلاق الاسلامية هى فضيلة المعاملات الدولية وبين الاديان. إذ لم تتح لليهودية والمسيحية وقت تأسيسهما فرصة أن يكون

لهما علاقات مع دول معادية. بينما الرسول صلى الله عليه وسلم كان على علاقات دائمة مع أمم وديانات مختلفة تارة مسالمة وتارة معادية. ومن هذه المبادئ أن الحرب الشرعية لاتقوم إلا من أجل دفع العدوان (البقرة ١٩٠) ويجب أن تتوقف بمجرد انتهائه (الانفال ٦١) ومبدأ احترام المواثيق المبرمة مع العدو (النحل ٩١-٩٢) ولو بدأ العدو فى نقض اتفاقه فلا يجوز مهاجمته على غرة، وانما يجب أولاً إعلانه بإلغاء عهده معنا بطريقة واضحة (الانفال ٥٨). هذا بخلاف القواعد التى حددتها السنة.

(٤) وحين نتكلم عن مصدر القرآن نجد أن فكرة مصدره الإلهى ليست فقط جزءاً من دعوته وإنما هى الجزء الاساس منها. لأن القرآن نراه يتحدث إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أو يتحدث عنه ولا يتركه أبداً يعبر عن فكره الشخصى.. ومما لاشك فيه أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن أول من أثار قضية الوحى، بل أنه كان أكثر تواضعاً من موسى عليه السلام الذى تلقى التوراة - كما يقول القرآن - فى لقاء مباشر بينه وبين الله تبارك وتعالى حيث سمع كلام الله ذاته. أما بالنسبة لمحمد صلى الله عليه وسلم فإن القرآن قول رسول سماوى وسيط بينه وبين الله، وفيما عدا هذا الاختلاف فإن الرسولين متفقان فى نسبة ما تلقياه إلى ما وراء الكون.

ولنتساءل عن امكان تفسير الافكار التى يتضمنها القرآن بسبب آخر غير الوحى. والواقع أن هناك بحوثاً ودراسات كثيرة قد سلكت هذا السبيل فى الماضى، مما يجعل البحوث الحديثة فى هذا المجال مجرد تكرار لنفس الكلام القديم، وان اختلف فى الشكل والاسلوب.

- البحث فى الفترة المكية- تحاول ابسط الافتراضات ان تجد فى بيئة الحجاز- ان لم يكن فى مكة - جميع العناصر الضرورية لبناء الدعوة القرآنية. بالرغم من أن حياة العرب كانت حياة "الضلال المبين" وزمانهم زمن "الجاهلية الأولى". وقد كانوا يحتفظون فى عاداتهم ببعض الآثار من ديانة إبراهيم واسماعيل

عليهما السلام مثل الحج. ولكن هذه الآثار ذاتها كانت تختلط باخطاء وأوهام كثيرة (البقرة ١٨٩،٢٠٠) وكان الحاضرون فى سوق عكاظ لا يتناظرون فى الدين وإنما فى المفاخر الدنيوية. ولا نكاد نجد أثراً للدين فى اشهر القصائد المعروفة بالمعلقات الذهبية. وكان بين هذه الجموع من الناس ذات الجهل المفضوح صفوة تعد على الأصابع تعرف باسم "الحنفاء" أى الثائرين على الرأى العام ـ فماذا كانت دعوة هؤلاء "الحنفاء" ؟ ... يقيناً لاشئ سوى تمردهم على عصرهم وتطلعهم إلى دين صحيح وكان لديهم "نوع من القلق والانتظار المبهم" .

وكان هناك "الصابئون" الوارد ذكرهم فى القرآن. وكانت أفكارهم الجوهرية وشعائرهم الاساسية معروفة وفندها القرآن والسنة مثل تأليه الملائكة والكواكب وتأثيرها على الاحداث الأرضية، وكان الحج عندهم يتم بحران بالعراق، وكانت قرابينهم تحرق تماماً، وكانوا يحرمون تعدد الزوجات ولا يزاولون الختان. وكانت عبادتهم طقوساً يقصد بها الكواكب تؤدى ثلاث مرات يومياً. وهكذا نرى الوثنية التى كانت سائدة بالحجاز لا تقدم لنا تفسيراً سليماً عن مصدر القرآن.

ولعل البيئة اليهودية والنصرانية وقتئذ تلقى لنا بعض الضوء. فمقابلة الراهب بحيرى العارضة لا يمكن اعتبارها مصدراً لتعليم محمد صلى الله عليه وسلم. ويقال ان بعض افراد مسيحيين من المغامرين الرومان والزنوج والاحباش كانوا يعيشون فى ضواحى مكة المنزوية "كبائعى نبيذ أو كادحين". فهل كان التقاء محمد صلى الله عليه وسلم بهؤلاء فى هذه الأماكن؟ علماً بأن شواغل الرسول صلى الله عليه وسلم قبل بعثته كانت معروفة ومحددة: فى الخلاء يرعى الغنم.. أو فى التجارة مسافراً.. أو فى المجتمع العام مع رؤساء القبائل. ولقد كان هؤلاء المطمورون يجهلون دينهم وكانت لغتهم الاجنبية حائلاً طبيعياً.

أما الغساسنة بالشام وبنى الحارث بنحران باليمن فقد كانوا قد اعتنقوا المسيحية وكان محمد صلى الله عليه وسلم فى شبابه يسافر من وقت لآخر فى تجارته إلى الشام وإلى اليمن. فهل دخل محمد صلى الله عليه وسلم فعلاً فى

الأراضى المسيحية الحقيقية؟ بعض الكتّاب المستشرقون يتشككون من هذا لعدم وجود أية اشارة فى القرآن عن مظاهر المسيحية الخارجية، بينما يتوسع القرآن فى الكلام عن أعماق الروح المسيحية الشرقية بما يخالف مسلك الشعراء العرب الذين زاروا هذه البلاد. فى حين أن هناك كتّاب آخرون أكثر اقترابا من الحقيقة يؤكدون أن رحلات القوافل التى صاحبها الرسول لم تبعد عن سوق "حباشا" بتهامة و"غراش" باليمن. وحتى لو اتصل بالمسيحية ماذا كان سيجد؟ كتب تايلور فى كتابه "المسيحية القديمة" (المجلد الأول ص٢٢٦) "ان ما قابله محمد وأتباعه فى كل اتجاه.. لم يكن سوى خرافات منفرة، ووثنية منحطة ومخجلة، ومذاهب كنسية مغرورة، وطقوساً دينية منحلة وصبيانية ... ". وعندما أراد "موشايم" وصف هذا العصر، أبرز التعارض بين المسيحيين الأوائل والأواخر، وخرج بأن الديانة الحقيقية فى القرن السابع كانت مدفونة تحت أكوام من الخرافات والأوهام السخيفة.

فهل كان العرب الذين تنصروا أحسن حالاً؟ لا.. ويقول "هوارت" "مهما يكن مدى إغراء فكرة تأثر محمد بما شاهده من تطبيق المسيحية بسوريا، فانه يتحتم استبعادها لضعف الوثائق والاسس التاريخية الصحيحة".

فإذا وسعنا من حقل البحث قليلاً إلى بيئة الكتب والاطلاع فقد يكون محمد صلى الله عليه وسلم قد استخلص دروسه من مطالعاته المباشرة للكتب المقدسة سواء كانت مسيحية أو يهودية أو غيرها. ولكن هل كان محمد صلى الله عليه وسلم يعرف القراءة والكتابة؟ يجيب القرآن بالنفى ويبرهن بأمية الرسول الكريم على ربانية تعليمه. فهو أميّ من شعب أميّ. ولم يسبق له أن قرأ كتاباً أو كتب بيده ﴿ما كنت تتلو من قبله من كتابٍ ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون﴾ (العنكبوت ٤٨)، ولا شك أن معارضى الرسول كانوا يعرفون هذه الأمية جيداً. وحتى على فرض أنه كان يعرف القراءة فقد كانت هناك عقبة يستحيل تذليلها. إذ لم تكن فى هذا الوقت قد وجدت توراة ولا انجيل باللغة العربية. كما يؤكد الدكتور "جراف" "أنه لم تكن هناك حاجة لإنجيل باللغة العربية إلا فى القرن التاسع

والعاشر." ويقول القس "شيدياك" بأنه لم يتمكن من الرجوع بتاريخ اقدم ترجمات العهد الجديد باللغة العربية إلى أبعد من القرن الحادى عشر. وعلى كل حال لم ينبئنا التاريخ عن أى اتصال محدد.

أما بالنسبة للأفكار الشعبية التى كانت رائجة فى هذا المجتمع فإنها لم يكن لها اتجاه واحد بل كان لكل من المشركين والصابئين ورجال الدين والفرس واليهود والنصارى اسلوبهم الخاص فى عرض الحقيقة ففى أى فريق كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستطيع أن يضع ثقته؟ وهو الذى كان يقف مما يرويه العلماء موقف التحدى ..

- البحث فى الفترة المدنية: بعد أن انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى جو مرحب ودود يحوطه فيه أتباعه الاقوياء المخلصون، واصبح على اتصال بطائفة منظمة دينياً، ولها كتابها المقدس، هم يهود المدينة.

أراد بعض المستشرقين أن يتوغلوا فى الدراسة أكثر فاعتقدوا أنهم وجدوا اختلافاً جذرياً بين تعاليم القرآن فى الفترة المكية وتعاليمه فى الفترة المدنية. فقالوا انه فى مكة مثلاً كان القصص اليهودى والمسيحى فى حالة تخطيط أولى. ولما اتصل محمد صلى الله عليه وسلم فى المدينة باليهود استطاع أن "يألف قصص ابراهيم" وأنه "عاش فى البداية وهو يسيطر عليه وهم جميل بأن القرآن يتفق تماماً مع كتب اليهود والمسيحيين المقدسة. ولكن معارضة اليهود المريرة أثبتت له العكس". وكانت الصلاة فى البداية مرتين فى اليوم والليلة. أما فى المدينة فقد أضيفت إليها صلاة ثالثة هى صلاة العصر "بقصد محاكاة اليهود" ولنفس السبب تحولت القبلة إلى بيت المقدس ثم نسخت فيما بعد بسبب موقف اليهود العدائى من الاسلام. وهكذا قالوا بتأثر التشريع التعبدى بالتقلبات السياسية. وحتى فكرة القرآن عن الله طرأ عليها فى نظرهم تغيير من تأثير المواقف الحربية فى الفترة المدنية "فانضمت صفة القوة والجبروت ضد الكفار المعاندين إلى صفة الرحمة". فلننظر مدىً صحة هذه الملاحظات.

فيما يختص بالقصص المسيحى واليهودى بوجه عام فإن السور المكية هى التى تعرض أطواره بتفاصيله الدقيقة، ولم تترك للسور المدنية سوى فرصة استخلاص الدروس منه. وأما موضوع إبراهيم عليه السلام، فقد سبق للسور المكية أن أشارت إليه (إبراهيم ٣٧) بل إنها دعت الرسول إلى إتباع ملة إبراهيم الحنيف (النحل ١٢٣). أما موقف القرآن من الاديان السابقة فلم يطرأ عليه أى تطور. فالسور المكية تطالب أهل الكتاب بالادلاء بشهادتهم عن الكتب المقدسة (الرعد ٤٣) وتدين الكتابيين الذين اتبعوا الشيطان (النحل ٦٣). واحتفظ القرآن بموقفه فى المدينة من العلماء الذين يستشهد بهم وهو يؤكد أن عدداً منهم لا يرغب فى الادلاء بالشهادة (البقرة ١٤٦). وهكذا يفرق القرآن بين الكتب المقدسة ذاتها، والعلماء الذين يتبعونها بإخلاص، وبين هؤلاء الذين يسمون أنفسهم يهوداً أو نصارى، وهم يتبعون أهواءهم. ومنذ قبل الهجرة أعلن أن من جوهر رسالته هداية بنى اسرائيل(*) وبوجه عام جميع الأمم التى تلقت ديناً سماوياً وأن يوضح لهم الحقيقة فى منازعاتهم (النحل٦٣-٦٤).

أما عدد صلوات المسلمين فلم يطرأ عليها أى تطور. ومن المؤسف حقاً أن هؤلاء النقاد الغربيين لا يدلوننا على الوثائق التى استقوا منها هذه الفكرة الغريبة. اما بشأن القبلة، فإن الادعاء بأن تغيير القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة (وله ما يبرره فى القرآن) بسبب معاداة اليهود للاسلام، فهو إدعاء به تداخل فى التواريخ. فقد بدأت عداوة اليهود عام ٦٢٥م بينما كان تحويل القبلة فى عام٦٢٣م. أما بالنسبة للملاحظة التى تتعلق بفكرة القرآن عن الله، فإن العكس هو الصحيح لأن الواقع يكذب الملاحظة فما أكثر ظهور "اله الحرب" فى السور المكية حيث يكثر قصص التاريخ القديم بشره وفساده والعقاب الأليم الذى نزل بأممه والتهديد فيها ضمنى - ولكنه دائم - للقرى التى تسلك نفس المسلك. بل أن الحروب التى صدر بها الأمر

(*) ﴿ إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذىهم فيه يختلفون. وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين، إن ربك يقضى بينهم بحكمه وهو العزيز العليم ﴾ (النمل ٧٦-٧٨).

فى المدينة لم تكن إلا تنفيذاً لانذار عام وصريح اعلن وتكرر دكره قبل ذلك بمكة (يونس ١٠٢، هود ١٢١-١٢٢ ، الاسراء ٥٨).

أما موقف علماء اليهود فالقرآن يرشدنا ويقسمهم إلى قسمين: الغالبية العظمى وكانت تعادى الاسلام حتى قبل الهجرة - وهؤلاء كانوا بعيدين عن موقف الملقن للرسول المرحب به. بينما كان هناك فريق آخر من علماء اليهود حضروا ليستمعوا إلى الرسول وشهدوا له بصدق رسالته (البقرة ١٢١) وأشهرهم عبد الله بن سلام. وبين هاتين الفئتين لم يترك التاريخ مكاناً "لأصدقاء معلمين".

- من خصائص القرآن فى دعوته إلى الإيمان والفضيلة أنه يستخدم الحقائق الكونية الدائمة ويدعو عقولنا إلى تأمل قوانينها الثابتة — لا بغرض دراستها وفهمها فحسب - وإنما لأنها تذكرنا بالخالق الحكيم القدير. ونلاحظ أن الحقائق التى يقدمها تتفق تماماً مع آخر ما توصل إليه العلم الحديث. مثل منبع العنصر الجنسى للانسان (الطارق ٦-٧)، ومراحل الإنسان فى بطن أمه (الحج ٥) وعدد التجويفات المظلمة التى يتم خلق الإنسان بداخلها (الزمر ٦)، ومنشأ المخلوقات المائى (الانبياء٣٠) وتكوين المطر (الروم ٤٨) ودائرية السماء والأرض (الزمر ٥) وكروية الأرض غير المكتملة عند الاقطاب (الانبياء ٤٤) ومسيرة الشمس إلى نقطة معلومة (يس٣٨)، وتعايش الحيوانات فى جماعات تشبه المجتمعات الانسانية (الانعام٣٨) ووصف حياة النحل (النحل ٦٨-٦٩) وثنائية النباتات والمخلوقات (يس٣٦)، والتلقيح بواسطة الرياح (الحجر ٢٢). ولكن ما تميز القرآن وتفرد به لا يقف عندما يصرح به، بل يمتد اعجازه إلى ما يمتنع عن قوله أو يسقطه عن قصد .. (مثل الروح). هذه الحقائق لم تثبت علمياً إلا بعد بحوث طويلة خلال العصور والأجيال بفضل اسهام رجال متخصصين كل فى فرعه. هل فى هذا مجرد صدفة؟ هل يمكن فى عصر الجاهلية ان يتعرض رجل - مجرد من أية معدات فنية - للعلوم على اختلافها وأن يعطينا فى كل فرع حقائق علمية خالدة لا تتزعزع حتى بعد اربعة عشر قرنا من ألزمان.

ـ ولقد أعلن القرآن عن احداث ستتم مستقبلاً، رأيناها تقع كما أعلن: مثل مواقف معارضيه وتتابع مصائرهم بحسب كل موقف. وقبل الهجرة بسنوات اعلن عن هزيمة قريش فى نفس الوقت الذى ينهزم فيه الفرس من الروم (الروم ٣ـ٥) وضربة السيف التى سيتلقاها الوليد بن المغيرة على أنفه (القلم ١٦) وخلود الاسلام على مر الزمان (الرعد١٧) وقيام دولة الاسلام الفتية على الأرض (النور ٥٥) وعجز كل قوى الأرض عن القضاء عليها (الأنفال ٣٦) وعن مستقبل المسيحية (الانشقاق والخلاف إلى يوم القيامة) (المائدة ١٤) وتشتت بنى اسرائيل فى اقطار الأرض واضطهادهم وحاجتهم الدائمة إلى الحليف (آل عمران ١١٢) وتفوق المسيحية على اليهودية إلى يوم القيامة (آل عمران ٥٥)...

وهكذا تتضافر احداث الماضى والحاضر والمستقبل فى مجال الواقع كما أوضحنا لكى تتوافق مع الأفكار التى جاءت فى القرآن وتؤيدها. بماذا نخلص من هذا كله؟ .. إما أن الله لا يساعدنا عندما يترك جميع الأدلة القاطعة تنحاز إلى هذا الانسان، ولا يترك لنا بصيصاً من الضوء يعاوننا على كشف أمره .. وإما أن يكون هناك ميثاق معقود مع العناية الإلهية تولت بمقتضاه السهر على دعوة الاسلام لعصمتها من كل زلل باعتبار أنها منزلة من عند الله وأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو مبلغها إلى الناس أجمعين.

(٥) أما عن بشارة محمد صلى الله عليه وسلم بالكتاب المقدس. فقد ذكر العهد القديم من ضمن أوصاف النبى المبشر بقدومه (تثنية ١٨: ١٧ـ١٨) "قال لى الرب قد أحسنوا فى ما تكلموا. أقيم لهم نبياً من وسط اخوتهم مثلك، وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما اوصى به" هذا الحديث كان موجهاً إلى بنى اسرائيل (وهم ابناء ابراهيم من ابنه الثانى اسحاق) وكلمة "وسط أخوتهم" تعنى بنى اسماعيل (وهم ابناء ابراهيم من ابنه الأول اسماعيل). وقد أشار العهد القديم إلى بنى اسرائيل باعتبارهم

"أخوة" لبنى اسماعيل (مثل التكوين ١٦ :١٢ "وامام جميع اخوته يسكن" والتكوين٢٥ :١٨ "امام جميع اخوته نزل").

أما وصف "نبى مثل موسى" فقد كان يفسر فى بعض الأحيان على أنه عيسى عليه السلام. وبداية نقول أن عيسى نفسه كان من بنى اسرائيل وليس من "اخوتهم". وهذه الحقيقة وحدها تكفى للدلالة على أن النبوة المبشر بها ليست لعيسى عليه السلام وانما "لنبى مثل موسى" وهو محمد عليه الصلاة والسلام. والمقارنة التالية توضح ليس فقط تشابه موسى ومحمد عليهما السلام وإنما توضح أن عيسى عليه السلام لا تنطبق عليه هذه البشارة بأى وجه:

وجه المقارنة	موسى	محمد	عيسى
الميلاد	عادى	عادى	غير عادى
الحياة العائلية	متزوج وأولاد	متزوج وأولاد	غير متزوج وليس له أولاد
الوفاة	عادية	عادية	غير عادية
العمل	نبى ورجل دولة	نبى ورجل دولة	نبى
هجرة اجبارية فى سن البلوغ	إلى مدين	إلى المدينة	لا هجرة
لقاء الاعداء	مطاردة ساخنة	مطاردة ساخنة ومعارك	لا لقاءات مماثلة
نتيجة اللقاء	نصر مادى ومعنوى	نصر مادى ومعنوى	نصر معنوى

تسجيل الوحى	بعد مماته (التوراة)	فى حياته (القرآن)	بعد مماته
طبيعة التعاليم	روحية قانونية	روحية قانونية	روحية فقط
قبول قيادته (من شعبه)	رفض ثم قبول	رفض ثم قبول	رفض (من أغلب بني اسرائيل)

وأما وصف "واجعل كلامي فى فمه" فانه ينطبق على محمد صلى الله عليه وسلم الذى كان يأتيه جبريل ويملى عليه آيات من القرآن وكان محمد صلى الله عليه وسلم يرددها تماماً كما سمعها ﴿ وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحى يوحى ﴾ (النجم ٣-٤)، وكثير من الآيات بها "قل - ذكّر - نبئ" وآيات أخرى بها "وقال ربكم" وآيات غيرها "ويسألونك .. قل " وهذا لا يتطابق فقط مع تثنية ١٨ :١٨ وإنما مع النصوص التالية: اقرأ تثنية ١٨ :١٩ "ويكون ان الانسان الذى لا يسمع كلامى الذى يتكلم به باسمى أنا اطالبه" لأن ١١٣ سورة من القرآن تبدأ بجملة "بسم الله الرحمن الرحيم" وأن أول آية نزلت على محمد صلى الله عليه وسلم كانت ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق﴾ (العلق١) وهناك أوصاف أخرى، وأدلة أخرى تؤكد أن هذه البشارة تخص النبى محمد صلى الله عليه وسلم (انظر المرجع)[2].

(٦) ما موقف الاسلام من الاديان الأخرى وعلاقته بها؟[3]

اذا أخذنا كلمة "الاسلام" بمعناها القرآنى، نجدها لا تدع مجالاً لهذا السوال. فالاسلام فى لغة القرآن ليس اسماً لدين خاص، وانما هو اسم للدين المشترك الذى جاء به كل الانبياء وانتسب اليه كل اتباع الانبياء. ونرى الاسلام شعاراً عاما يدور فى القرآن على ألسنة الانبياء واتباعهم منذ اقدم العصور التاريخية إلى عصر النبوة

المحمدية: نوح (يونس ٧٢) وابناء يعقوب (البقرة ١٣٣) وموسى (يونس٨٤) والحواريون مع عيسى (آل عمران ٥٢) وفريق من أهل الكتاب (القصص ٥٣) ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ (الشورى ١٣).

اذن الاسلام بمعناه القرآنى لا يكون محلاً لهذا السؤال. إذ لا يسأل عن العلاقة بين الشئ ونفسه، حيث الوحدة الكاملة التى لا انقسام فيها.

غير أن كلمة "الاسلام" أصبح لها فى عرف الناس مدلول آخر، هو مجموعة الشرائع والتعاليم التى جاء بها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، كما أن كلمة اليهودية أو الموسوية تختص بشريعة موسى، وكلمة النصرانية تخص شريعة عيسى. والسؤال الآن أصبح عن العلاقة بين المحمدية وبين الموسوية والمسيحية.

وللإجابة ينبغى أن نقسم البحث إلى مرحلتين: <u>الأولى</u>: فى علاقة الشريعة المحمدية بالشرائع السماوية السابقة كما كانت فى صورتها الأولى ولم تبعد عن منبعها، ولم يتغير فيها شئ بفعل الزمان ولا بيد الانسان. <u>والثانية</u>: فى علاقتها بهذه الشرائع السابقة بعد أن طال عليها الأمد، وطرأ عليها شئ من التطور.

<u>ففى المرحلة الأولى</u>: يعلمنا القرآن أن كل رسول يرسل، وكل كتاب ينزل قد جاء مصدقاً وموكداً لما قبله. ولكن هذا التصديق نوعان: ـ

١. تصديق للقديم مع الإذن ببقائه واستمراره،

٢. وتصديق للقديم مع إبقائه فى حدود ظروفه الماضية المؤقتة.

ذلك أن الشرائع السماوية تحتوى على نوعين من التشريعات: "تشريعات خالدة" لا تتبدل بتبدل البلاد والأزمنة، فإذا فرض أن أهل شريعة سابقة تناسوا هذه التشريعات الخالدة جاءت الشريعة اللاحقة لتذكّر بها وتؤكدها، وهناك "تشريعات موقوتة" بآجال زمنية طويلة أو قصيرة، ولذلك فهى تنتهى بانتهاء وقتها، وتجئ الشريعة التالية بما هو أوفق وأنسب بالأوضاع التى استجدت. ولولا إشتمال الشرائع السماوية على

هذين النوعين ما وجدنا فيها العنصرين الضروريين لسعادة المجتمع البشرى: عنصر الاستمرار الذى يربط حاضر البشرية بماضيها، وعنصر الانشاء والتجديد الذى يعد الحاضر للتطور والرقى نحو مستقبل أفضل وأكمل.

وهكذا كانت الشرائع السماوية خطوات متصاعدة ولبنات متراكمة فى بنيان الدين والاخلاق وسياسة المجتمع وكانت مهمة اللبنة الأخيرة منها أنها أكملت البنيان، وملأت ما بقى فيه من فراغ، وأنها كانت بمثابة حجر الزاوية الذى يشد أركان البنيان. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صور الرسالات السماوية فى جملتها أحسن تصوير "مثلى ومثل الانبياء من قبلى، كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وجمله إلا موضع لبنة. فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له. ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين. ". انها إذن سياسة حكيمة رسمتها يد العناية الإلهية لتربية البشرية تربية تدريجية نحو النمو والكمال والازدهار.

أما المرحلة الثانية: فى بحث هذه العلاقة بعد أن طال الأمد على هذه الشرائع، فنالها شئ من التطور والتحرر. فقد رأينا فى المرحلة السابقة أن القرآن يعلن عن نفسه أنه "مصدقاً لما بين يديه من الكتاب" ونلاحظ أيضاً أنه يعلن أنه جاء "مهيمناً" على تلك الكتب (المائدة٤٨)، أى حارساً أميناً عليها. ومن مهمة الحراسة الأمينة على تلك الكتب الا يكتفى الحارس الأمين بتأييد ما خلده التاريخ فيها من حق وخير، وانما عليه فوق ذلك أن يحميها من أى دخيل يضاف إليها بغير حق، وأن يبرز الحقائق التى عساها أن تكون قد أخفيت منها.

إذن نقول أن علاقة الاسلام بالديانات السماوية فى صورتها الأولى هى علاقة تصديق وتأييد كلى، وأن علاقته بهذه الديانات فى صورتها الأخيرة علاقة تصديق لما بقى من اجزائها الأصلية، وتصحيح لما طرأ عليها من البدع والاضافات الغريبة عنها.

وهذا الطابع الذى تتسم به العقيدة الاسلامية، وهو طابع الانصاف والتبصير الذى يطالب كل مسلم ألا يقبل شيئاً جزافاً، ولا ينكر شيئاً جزافاً، وانما يصدر دائماً

عن بصيرة وبينة فى قبوله وفى انكاره، وهذا الموقف ليس خاصا بموقف العقيدة الاسلامية من الديانات السماوية بل هو موقفها امام كل رأى وكل عقيدة، وكل شريعة وكل ملة.

هذا هو موقف الاسلام من الناحية النظرية من الديانات الأخرى. فما موقفه من الوجهة العملية: هل يقف موقف السكوت عليها والانصراف عنها؟ أم يقف موقف المحارب المقاتل الذى لا يهدأ له بال حتى يطهر الأرض منها ومن أهلها؟

قليل من المستشرقين يجيبنا بالشق الأول من السؤال منهم "جوتيية فى كتاب اخلاق المسلمين وعوائدهم" بينما أكثر المستشرقين يجيبون بالشق الثانى. فالاسلام فى نظرهم يريد أن يفرض نفسه على الناس بحد السيف. والقرآن فى نظرهم يأمر المسلم بأن يضرب عنق الكافر اينما لقيه... والواقع أن كلا الفريقين قد جانب الحقيقة فى تصوره لموقف الاسلام.

ليس الاسلام فاتراً ومنطوياً على نفسه كما زعم البعض فالدعوة إلى الحق والخير ركن أصيل من أركان الاسلام وفريضة مستمرة فى كل زمان ومكان ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله﴾ (فصلت ٣٣) ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ (آل عمران ١٠٤). ﴿إن الإنسان لفى خسر، إلا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ (العصر).

ولكن الإسلام أيضاً ليس كما زعم أكثر المستشرقين ـ عنيفا ولا متعطشاً للدماء، وليس من أهدافه أن يفرض نفسه على الناس فرضاً حتى يكون هو الديانة العالمية الوحيدة. فالاسلام يعرف أن كل محاولة لفرض ديانة عالمية وحيدة هى محاولة فاشلة ومناقضة لسنة الوجود ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة. ولايزالون مختلفين ﴾ (هود ١١٨) ﴿وما أكثر الناس ـ ولو حصرت ـ بمؤمنين﴾ (يوسف ١٠٣). ﴿ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً، أفأنت تكره

الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ (يونس ٩٩) ﴿ انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء ﴾ (القصص ٥٦).

ومن هنا نشأت القاعدة الاسلامية المحكمة والمقررة فى القرآن، قاعدة حرية العقيدة ﴿لا إكراه فى الدين﴾ (البقرة ٢٥٦)، ورسم القرآن أسلوب الدعوة إلى الله ومنهاجها القويم وجعلها دعوة بالحجة والنصيحة فى رفق ولين ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ﴾ (النحل ١٢٥).

والقرآن لا يتوقف عند هذا، وإنما يوصى بالوصية الذهبية فى معاملة الوثنية التى هى أبعد الديانات عن الاسلام ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾ (التوبة٦) فنراه لا يكتفى منا بأن نجير هؤلاء المشركين ونؤويهم ونكفل لهم الأمن فى جوارنا فحسب، ولا يكتفى منا بأن نرشدهم إلى الحق ونهديهم طريق الخير وكفى، بل يأمرنا بأن نكفل لهم كذلك الحماية والرعاية فى انتقالهم حتى يصلوا إلى المكان الذى يأمنون فيه كل عدوان. فضلاً عن القاعدة الاسلامية التى تكفل لغير المسلمين فى بلاد الاسلام حرية عقائدهم وعوائدهم، وحماية اشخاصهم وأموالهم وأعراضهم. بل وتمنحهم ما تمنحه للمسلمين من الحقوق العامة "لهم ما لنا وعليهم ما علينا".

وتلك الدعوة القرآنية التى لا تكتفى فى تحديد العلاقة بين الامم الاسلامية وبين الأمم التى لا تدين بدينها، لا تجعلها مبادلة سلم بسلم فحسب ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾ (الانفال ٦١) ﴿فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السَلَم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً﴾ (النساء٩٠) بل تطلب من المسلمين أن يكون موقفهم من غير المسلمين موقف رحمة وبر، وعدل وقسط ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم. إن الله يحب المقسطين﴾ (الممتحنة ٨).

[4]ولقد جنحت انتصارات الاسلام فى عهده الأول وانتشاره فى العالم بالانسان الغربى إلى الزعم بأن الاسلام دين عدوانى انتشر بحد السيف. والحق أن

هناك أسباباً مختلفة لهذا الانتصار وهذا الانتشار. منها أن تلك الفئة المسلمة القليلة العدد والعدد لم تكن لتستطيع فتح تلك الاقطار والممالك الشاسعة، لو لم تدخل شعوبها فى الاسلام افواجاً. فقد اعتنق كثير من النصارى أنفسهم الاسلام ونعنى الهراطقة الخارجين على اجماع الكنيسة الغربى من نصارى المغرب والمشرق، ومنهم النصارى المعروفون بالاريسيين والدوناتيين الذين اعتنقوا الاسلام لأنه يتفق مع اعتقادهم فى رفض الطبيعة الإلهية للمسيح ورفض التثليث. فمثلاً لم ير النجاشى منذ أول لقاء له بالمهاجرين المسلمين عام٦١٤ تعارضاً بين رؤية الاسلام لعيسى ومريم عليهما السلام وبين رؤية المسيحية لهما.

وجملة القول فى الموقف النبيل الذى يقفه الاسلام عملياً من غير أتباعه هو: ان الاسلام لا يكف لحظة واحدة عن مد يده لمصافحة أتباع كل ملة وكل نحلة من أجل التعاون على إقامة العدل، ونشر الأمن وصيانة الدماء، وحماية الحرمات، ولو على شروط يبدو فيها بعض الاجحاف. ولقد ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى فى ذلك بقوله فى الحديبية "والله لا تدعونى قريش إلى خطة، توصل فيها الأرحام، وتعظم فيها الحرمات، إلا أعطيتهم إياها" .

هذا هو مبدأ التعاون العالمى على السلام.. يقرره نبى الاسلام .. ورسول السلام.

* * * * *

المراجع

(1) "مختصر مدخل إلى القرآن" د. محمد عبد الله دراز. ترجمة محمد عبد العظيم على.

(2) "Mohamed in the Bible" د. جمال بدوى.

(3) "الدين" د. محمد عبد الله دراز.

(4) "الاسلام كبديل" د. مراد هوفمان ترجمة د. غريب محمد غريب

رأى الدكتور مراد هوفمان فى الحوار[1]

ما الفرص الحقيقية المتاحة للحوار المسيحي الاسلامي اليوم، والذى لامناص منه للحفاظ على السلام العالمى؟ يقول عالم اللاهوت الالمانى "هانزكينج" فى محاضرة فى العاصمة الجزائرية بعنوان "لا سلام فى العالم بدون الوئام بين الأديان" فالسلام العالمى رهن بالسلام الدينى... وكان يرجو أو يتمنى أن تتفق الاطراف المعنية على أن تلتزم الامم بميثاق اخلاقى يقوم على التقارب الدينى وعلى تفهم كل طرف للطرف الآخر - لا أن يتخذوا دينا واحداً يرتضاه الجميع ويدينون به، ولا أن يضلوا فى متاهات الفوضوية التى تحاول التوفيق بين الاديان المتعارضة...

ان تفهم كل طرف للآخر يتطلب شرطا اوليا مسبقاً هو ان يحترم كلاً منهما الآخر ويتقبله حسب فهمه لذاته. هذا يعنى للمسلم أن يتقبل المسيحيين كما هم غير واصم لهم بأنهم مشروكون كفرة، حتى وان كانوا - من وجهة النظر الاسلامية - يدينون بوحدانية متميعة.

وعلى الجانب المسيحى ان يكف عن الزعم قولاً وعملاً بأن لا نجاة أو خلاص خارج الكنيسة... ان الكنيسة قد ترتضى ان يكون الاسلام دينا يهدى للخلاص، لكنها ترفض رفضاً تاماً أن تعترف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، داعياً إلى الله على ذلك الصراط...

يتضح من ذلك أن التقارب المنشود على صعيد الاديان محدود بحدود، لأن كل دين منها يصطدم بنقاط جوهرية صلبة، لا تطرح للمناقشه للحسم فيها أى لايتنازل اى طرف عنها أو يرضى المساومة عليها. وتلك النقاط الجوهرية التى ذكرها "هانزكينج" هى :

---

[1] الاسلام كبديل د. مراد هوفمان ص٦٠-٦٢
الناشران مجلة النور الكويتية ومؤسسة بافاريا
ترجمة: د. غريب محمد غريب

* كون المسيح ابن الله لدى المسيحيين
* كون القرآن وحي الله لدى المسلمين
* كون اليهود شعب الله المختار لدى اليهود

والواقع أن القياس يمكن ان يصور هذا التناقض على النحو التالى: محور المسيحية شخص. ومحور الاسلام كتاب، وكلمة الله تجسدت فى المسيحية لحما (عيسى عليه السلام)، وتجسدت فى الاسلام كتاباً ـ هو القرآن.

ولا يعنى ذلك أن الحوار المفتوح بين الاديان عديم الجدوى إذا لجأت الاطراف المتحاورة إلى العناد ولم يتنازل اى طرف عن موقفه بعض الشئ... بل على المرء ألا يسئ تقدير آثار الخطوات الصغيرة وجدوى اللقاءات والمناقشات بين البشر، خاصة مع البسطاء غير المثقفين بشرط عدم سوء النية أو النوازع الخفية التى تستهدف التبشير، ولا يخفى على أحد أن المسلم الحق يستحيل أن يرتد أو أن تفلح معه محاولات التنصير.

* * *

ما نشره الاستاذ احمد بهجت بشأن مؤتمر موسكو المنعقد عام ١٩٩٥، بجريدة الاهرام بتاريخ ٩٥/٦/٢٧ العدد رقم ٣٩٦٤٩

أوضح د. عبد الودود شلبى فى بحثه امام مؤتمر موسكو أن الاسلام دين له اربع شعب، هى العقيدة والعبادة والاخلاق والشريعة، أما العقيدة والعبادة فلا يفرضهما الاسلام على أحد، وأما الاخلاق فى اصولها فهى لا تختلف بين الاديان السماوية فجميعها تدعو إلى العدل والرحمة والمحبة، أما الشريعة فهى تنقسم إلى جانبين، الاحوال الشخصية، وهم احرار فى اتباعها أو اتباع شريعتهم، أما ما عداها من التشريعات المدنية والاقتصادية والادارية فهم يخضعون لها كما يخضعون لاى تشريعات اخرى تقتبس من الغرب أو الشرق وترتضيها الاغلبية، وفى العقوبات يقرر الفقهاء أن الحدود لا تقام عليهم إلا فيما يعتقدون تحريمه كالسرقة والزنا، لافيما يعتقدون حله كشرب الخمر.

وينتقل د. عبد الودود شلبى بعد ذلك إلى الحديث عن مؤتمر عقد منذ ما يقرب من ٦٠عاماًوكان يحمل اسم الاخوة الانسانية، وانعقد فى لندن سنة ١٩٣٦، وكانت اهداف هذا المؤتمر تقترب كثيرا من اهداف مؤتمر موسكو، وقد بعث الامام الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الازهر يومئذ برسالة لهذا المؤتمر قال فيها: انه مما يثير العجب ان اهل الاديان يحشدون قواهم لمقاتلة بعضهم بعضا، بدلا من حشد قواهم لمقاتلة شرور العالم التى تغمر الانسانية، وتطغى على ما بقى فى النفوس من هيبة واحترام للنظم الآلهية.

ايضا يحدثنا البحث عن محاضرة الامير تشارلز ولى عهد بريطانيا بجامعة اكسفورد، وهى محاضرة قال فيها شهادته امام التاريخ وكان صادقا وامينا.

قال الامير تشارلز: ان هناك سوء فهم شديدا بين العالم الاسلامى والغربى، ومن الغريب أن يستمر سوء الفهم هذا رغم أن المسلمين والمسيحيين واليهود

أصحاب كتب سماوية وديانة سماوية، ونحن نشترك جميعا فى قيم واحدة منها احترام المعرفة والعمل والرحمة والوفاء والبر بالوالدين... واستمر الامير يقول: إن مجتمعنا المعاصر فى أشد الحاجة إلى هذا الوفاء والبر .. اننا ننظر إلى الاسلام من خلال بعض الفتن أو من خلال الارهابيين المتطرفين، وهذا خطأ جسيم، إن علينا أن نميز بين الاصولية المتطرفة وبين الصحوة الدينية التى تجعل المسلمين يتمسكون بمبادئهم ومثلهم، إن التطرف ليس حكراً على المسلمين، فعلى الجانب الآخر هناك تطرف مسيحى وتطرف يهودى بنفس الدرجة، وقد ادان الامير تشارلز ما يحدث للمسلمين فى البوسنة والهرسك من مذابح، وكانت ادانته قاطعة وحاسمة.

* * *

كلمة الأزهر الشريف فى مؤتمر الأديان العالمى[1]

يعقد فى عواصم أوروبا فى دورات متعاقبة مؤتمر يدعى (مؤتمر الأديان العالمى) وقد دعى الأزهر فى دورة مؤتمر الأديان العالمى التى انعقدت بباريس فى جامعة السوربون فندب فضيلة الدكتور محمد عبد الله دراز ليلقى كلمة الأزهر فى ذلك المؤتمر. فألقاها بالفرنسية. وكان إعجاب المؤتمرين بها عظيماً حتى قال عنا السير فرنسيس رئيس المؤتمر: إن كلمة الأزهر هذه هى الكلمة الرئيسية ! وقد وافق المؤتمرون بالاجماع على الاقتراحين المقدمين فى كلمة الأزهر وفيما يلى ترجمة كاملة لها.

باسم الأزهر، ذلك البيت العتيق الذى هو أقدم الجامعات الدينية العلمية المعروفة فى العالم، وأكبر المفاخر الأدبية للقطر المصرى ولمدينة القاهرة، والمركز الذى تلتف حوله قلوب مئات الملايين من البشر، يعدونه رمزاً خالداً لحضارتهم، ومنبعاً دائم الفيضان لثقافتهم الروحية.

بل باسم الاسلام، ذلك الدين الخاتم الذى أخرج للناس يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والاغلال التى كانت عليهم، ويمحو ما بينهم من فوارق الأنساب والأجناس، واللغات والألوان، ليجمع منهم أمة واحدة على قدم سواء، لا فضل لأحد منهم على أحد إلا بالعمل الصالح.

---

[1] نقلا عن كتاب "دراسات اسلامية فى العلاقات الاجتماعية والدولية" د. محمد عبد الله دراز ص١٢٩-١٣٩ ط٤ دار القلم ـ الكويت.

بل باسم الانسانية التى اجتمعتم اليوم للتشاور في الوسائل الفعالة لتخفيف آلامها، وإنقاذها من الهاوية، التى أشرفت على التردى فيها.

باسم الأزهر والإسلام والانسانية، أرحب بقدومكم، وأحيي فيكم ذلك الشعور النبيل الذى أوحى إليكم فكرة هذا المؤتمر، وأتمنى لكم النجاح والتوفيق، فيما ترسمونه من الخطط لتأييد السلام العام.

إن نظرة واحدة نلقيها على العالم اليوم، لتكفى لإدراك ما يسود بين شعوبه من روح العداوة والشحناء، وما ينبعث فى أقطاره من زفرات الشكوى والأنين.
فمن أين جاءت هذه النزعة الشريرة التى تنذر بأسوأ العواقب؟ أليس منشؤها هو تحكم المادية وازدياد نفوذها فى تسيير مجرى الأمور العالمية؟ وإذا كان الأمر كذلك أفلا يكون العلاج الوحيد هو أن نعود إلى الروح فنعيد إليها سلطانها الذى أهملناه فى هذا العصر إهمالاً كبيراً؟ ثم ما هى تلك القوة التى تستطيع أن تضطلع بهذا العبء الشاق إن لم تكن هى قوة الدين؟

غير أننا إذا رجعنا إلى الأديان نلتمس منها المعونة، هالنا ما نراه من اختلافها اختلافاً طالما كان من أسباب الخصومات والحروب، بدل أن يساعد على حسن التفاهم والتقريب بين القلوب، فهل نستطيع أن نجد من وراء هذا الاختلاف وحدة مشتركة فى المبادئ والمطامح تصلح أن تكون محوراً لتقرير السلام بين معتنقيها، وتسهيل تعاونهم على الخير المشترك للجميع؟ هذه هى النقطة الاساسية التى تدور عليها اعمال المؤتمر، وهذا هو الإشكال الذى يحاول المؤتمر أن يجد له حلاً.

أما انا فأميل إلى أن يكون هذا الحل على أساس الفصل فى الأديان بين ناحيتها الاجتماعية وبين نواحيها الاخرى، وأعتقد أن افتراق الاديان فى عقائدها وشعائرها وكثير من تعاليمها لا يمنع التقاءها من الوجهة الخُلقية عند قاعدة واحدة هى اساس التعاون المطلوب، وذلك انها كلها تأمر بالعدل والاحسان، وتنهى عن الظلم والعدوان، وكلها تسوى فى هذه المعاملة الدنيوية بين اتباعها وبين اعدائها.

اسمحوا لـى إذاً أن استعرض الديانـات التى هـى اكثر انتشـاراً فـى العـالم اليوم، اعنى الديانـة الهندية "البرهميـة" والديانـة البوذية والديانـة اليهوديـة، والديانـة المسيحية، والاسلام، لكى أبين بإيجاز ما فـى كل واحدة منهـا من روح التسـامح والرحمة الانسانية:

أما الديانة الهندية فإن التاريخ يحدثنا انها لم يقع منها اضطهاد قط للفلسفة الالحادية التى نشأت بين ظهرانيها، حتى ان الفيلسوفين "كابيلا" و "كانـادا" وغيرهمـا أمكنهم أن يزعمـوا ان كتابهم المقدس "الفيدا" ليس كافياً للخـلاص، بل أمكنهم أن ينكروا وجود الإله، البته، ومع ذلك لم يمسهم من رجال الدين اذى ولا إحـراج، بل إن الديانة البوذية التى هى فيما يظهـر وليدة تلك الفلسفات الالحاديـة استطاعت أن تنشـر نظرياتهـا العدميـة بمـلء حريتهـا وبقيـت علـى ذلـك اثنـى عشـر قرنـاً دون أن يقاومهـا احد من البراهمـة بـالعنف. نعم إنهـا آل امرهـا إلـى ان طـردت مـن الهنـد وهاجرت نحو الشمال ونحو الشرق، حتى زعـم بعض المورخين انهـا أُلجئت إلـى ذلك بتأثير التعصب الدينى البرهمى، لكنهم فى الحقيقة ليس عندهم دليل إيجابى يؤيد هذا الرأى.

والديانة البوذية بدورها ما اعتـدت قط علـى احد مـن مخالفيهـا. علـى ان مبادئها نفسها تضطرها اضطراراً إلى الاحتمال وتوسيع الصدر بكل خلاف، فإن من جرّد نفسه من تأثير اللذة والألم، وجعل منتهى همه إنكار الذات والوصول إلى الفناء والعدم، لا يمكن أن يجد غضاضة فى أى مذهب يخالفه مهما كان متطرفاً. هكذا نجد مشكلة السلام العالمى محلولة بطبيعتهـا فـى الديانـة البوذيـة بحيـث لا محـل لوضـع السؤال فيها.

ولعل الديانة التى تليها مباشرة فى هـذا المعنـى هـى "الديانـة المسـيحية"، أنها لا تتصل بالأحوال الزمنية إلا اتصالاً ضعيفاً، ولذلك نرى فيهـا طـابع التواضـع والسلام، بل قد يقال طابع الخضوع والاستسـلام، أوضـح مـن أن يحتـاج إلـى بيـان، فشعارها ليس فقط "احـب جـارك كمـا تحـب نفسـك" بل "احـب عدوّك وصـلّ لمـن

يضطهدك" أو بعبارة أخرى " من ضربك على الخد الايمن فأمدد له الخد الايسر"، وهنا تحسن الاشارة إلى أن المسيحيين فى العصور الأولى كانوا يتحرزون تحرزاً شديداً من الانخراط فى سلك الجندية، وان من دخلها منهم مضطراً كان يجب ألا يسفك دم أحد، وإلا لكان جزاؤه الطرد من حظيرة الدين.

غير ان الناظر فى تاريخ اليهودية والاسلام قد يجد فيهما شذوذاً عن القاعدة، وقد يتسرع فى الحكم بعدم انطوائهما على روح الرفق والتسامح، ذلك أن موسى ومحمداً عليهما السلام لم يكونا مؤسسى دين فحسب، بل كان كل منهما جامع شتات أمة ومؤسس دولة: كلاهما كان مشرّعاً وحاكماً، وكلاهما قاد الجيوش لفتح بلاد الاعداء، ويضيف الاسلام إلى ذلك انه توسع فى هذه الفتوح فأنشأ امبراطورية من أعظم الامبراطوريات فى اسرع زمن عرفه التاريخ.

ولكن الخطأ كل الخطأ، بل الظلم كل الظلم للحقيقة، ان توصم هذه الفتوحات النبوية بوصمة البغى والعدوان، فليس هناك مثال واحد يدل على ان اليهودية او الاسلام أباحا البدء بالاعتداء على الطوائف الاخرى سواء أكان ذلك لمقاصد دينية أم لأغراض سياسية، بل الواقع على العكس من ذلك انهما احتملا الاضطهاد أمداً طويلاً قبل أن يأذنا لأتباعهما باتخاذ القوة للدفاع عن حياتهم وعن حريتهم فى اعتناق الحق والدعاء اليه، وهذا الدفع المشروع ما زال حقاً مقرراً لايجادل فيه عاقل: "ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل. إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الارض بغير حق".

يكفى فى شأن اليهودية أنها رفعت قيمة الحياة الانسانية إلى درجة لم تصل اليها أشد النظريات العصرية تحمساً فى الدفاع عن حق الفرد.

ينقل لنا القرآن عن التوراة ان قتل النفس بغير حق لا يقاس فى نظرها بقتل أمة بل بقتل الانسانية جمعاء، وحياته بحياتها: "من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً".

وأما الاسلام فمن السهل الرجوع إلى كتابه وإلى حياة نبيه، فكتابه لا يزال غضاً طرياً محفوظاً فى نصه وحرفيته كما تركه صاحبه، وحياة نبيه قد سجلها التاريخ بتفاصيلها بأتم عناية وضبط. وان نظرة واحدة فى هذين المصدرين لكافية فى معرفة موقف الاسلام نظرياً وعملياً من قضية السلام العالمى.

نعم ان الاسلام قد خاض كل ميادين الحياة وتدخل فى جميع جزئياتها، ولكنه على رغم ذلك بقى محتفظاً بسموه الروحى حتى فى اشد الشؤون ارتباطاً بالمادة، وهكذا كان وجه بداعته انه استطاع ان يوفق بين المطالب الروحية والمطالب الزمنية للانسان، بنسبة عادلة مستقيمة.

لا يتسع نطاق هذه المحاضرة للإتيان على ما فى القرآن وتاريخ نبيه من براهين على سماحة الاسلام وسعيه للوحدة والائتلاف بأوسع ما فى حدود الامكان، فلنكتف بالاشارة إلى شئ من ذلك، أما من الوجهة النظرية فقد سعى الاسلام لتأسيس هذه الوحدة على دعامتين:

أولاً: من طريق توحيد الغاية، وذلك بدعوة الناس جميعاً إلى عبادة إله واحد

ثانياً: من طريق التوفيق بين وسائل هذه الغاية، وذلك ببيان أن الشرائع السماوية ترجع كلها إلى اصل واحد، ودعوة معاصريه من اهل الاديان السابقة إلى تكوين اسرة روحية واحدة تؤمن بجميع الكتب وجميع الانبياء بدون تفريق بين واحد منهم: "إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شئ" "قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل إلى ابراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون" "إن هذه امتكم امة واحدة وأنا ربكم فاعبدون" . ونرى القرآن فى اثناء هذه الدعوة يعنى دائماً بربط الاسلام بالأديان التى سبقته منذ عهد نوح: "شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه"، ويصور نبى الاسلام بصورة المأمور باتباع هدى من قبله: "اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده"، ويقول أنه لم يجئ بجديد يهدم القديم وإنما جاء مجدداً

لما اندرس منه، مبيناً لما خفى ، مصححاً لما حُرِّف: "قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب"، وبالجملة ليعيد الدين إلى نقاوته الاولى.

بل ان اسم الاسلام نفسه "فى اصطلاح القرآن" اسم مشترك يضعه القرآن على لسان اكثر الانبياء المتقدمين، يقول فى شأن ابراهيم: "اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين"، وفى شأن يعقوب: "اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون"، وفى شأن التوراة وأنبياء بنى اسرائيل: "يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا". وهو حين يقول بصيغة الحصر: "إن الدين عند الله الاسلام" لا يمكن أن يعنى إلا هذا المعنى المشترك بين الأديان المنزلة، وإلا لكان هادماً للأساس الذى أراد ان يقيم عليه بناء هذه الوحدة.

غير أن ها هنا نقطة يجب التنبيه إليها: وهى أن القرآن حين دعا إلى هذه الوحدة لم يجعلها غاية يطلب الوصول إليها من كل طريق، وشراءها بكل ثمن، بل نظر إليها كمثل عال وأمل عزيز ينبغى الاقتراب منه بقدر الطاقة، واعترف فى اكثر من موضع بأن هذا الأمل متعذر التحقيق: "ولو شاء ربك لجعل الناس أمةً واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك".

هذه النظرة لها نتائجها الطبيعية فى مسلك الاسلام بإزاء مخالفيه، فهى التى جعلته يواجه الحقيقة الواقعة بالاحتمال والتسامح.

وهى التى حددت مهمة الرسول بأنها ليست هى إكراه الناس على الايمان وإنما هى التعليم والانذار ثم تفويض الأمر فى عقائدهم إلى الله الذى سيتولى الحكم بينهم فى يوم الفصل "ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جمعياً، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين؟ " "لا إكراه فى الدين" "فذكّر إنما أنت مذكر، لست عليهم بمسيطر" "ما على الرسول إلا البلاغ" "فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأُمرت لأعدل بينكم، الله ربنا وربكم، لنا اعمالنا ولكم اعمالكم، لا حجة بيننا وبينكم، الله يجمع بيننا وإليه المصير" "لكم

دينكم ولى دين" "قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوماً بما كانوا يكسبون". ومن المهم أن نلاحظ أن هذا الموقف لا يخص علاقة المسلمين بأهل الكتاب، فإن اكثر هذه النصوص مكية فى شأن الوثنيين أنفسهم. وقد صرح القرآن بأن هذه هى حدود مهمة الرسول بإزاء الطوائف كلها، وذلك فى تلك الآية المدنية الجامعة: "وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ؟ فإن أسلموا فقد اهتدوا، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ، والله بصير بالعباد".

وأما من الوجهة العملية، فالاسلام أولاً: قد حظّر البدء بمناوشة مخالفيه أو بمضايقتهم فى الحياة المادية ما داموا مسالمين له، وأمر فى هذه الحال بحسن جوارهم ليس بطريقة سلبية فحسب بل بالبر إليهم، والعدل بينهم: "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين". ولقد كان من أول الاعمال التى قام بها النبى بعد الهجرة إلى المدينة محالفته لليهود ومؤاخاته بين المهاجرين والأنصار، وبذلك أنشأ فى المدينة أمة واحدة من عناصر ثلاثة مختلفة فى الجنس والدين، يستوى قحطانيهم وعدنانيهم كما يستوى مسلمهم ومشركهم ويهوديهم، فى حقوق الولاء وحسن الجوار والتناصر على دفع المغيرين. كما كان من أواخر أعماله مصالحته لنصارى نجران، وإقرارهم على دينهم فى قلب الوطن العربى الاسلامى.

ثانياً: فى الحال التى تستحكم فيها العداوة وتكون الظروف مهددة باحتمال وقوع حرب، وضع الاسلام وسائل كافية لاتقائها فى الوقت نفسه الذى يكون فيه المسلمون أشد قوة، وأوصى بقبول كل شروط يعرضها المخالفون ما دامت تؤدى لحقن الدماء وصيانة الحرمات وحسن العلاقات بين الجانبين. ومن الأمثلة الواضحة فى هذا الموقف السلمى النبيل تلك المعاهدة التى وقعها الرسول بنفسه مع قريش فى عام الحديبية. هذا والمعاهدات الاسلامية ليست حبراً على ورق، بل هى عقود دينية يوجب الاسلام تنفيذها بدقة وأمانة حتى مع الوثنيين: "إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا اليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله

يحب المتقين". ولقد كان فريق من أهل الكتاب يوفون بعهودهم إلى أهل ملتهم ولكنهم لا يرون الوفاء واجباً بعهودهم مع المسلمين "يقولون ليس علينا فى الأميين سبيل" فجاء القرآن ناعياً عليهم هذا التفريق، مبيناً ان الوفاء بالعهد واجب انسانى عام: "بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين".

ثالثاً: فى الحال التى تصبح فيها الحرب أمراً وقعاً، وضع الاسلام قواعد عملية كثيرة تخفف من أهوالها وتحدد بإنصاف ما يقتضيه الموقف الدفاعى البحت، فنهى عن قتل المرأة فى بيتها والراهب فى متعبده، والفلاح فى مزرعته، وبالجملة حصر القتال فى ميدان الحرب لا يتعداه: "وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم"، وفى هذا الميدان نفسه نهى عن التشفى بالتمثيل والتعذيب: " ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين".

رابعاً: فى الحال التى تنجلى فيها المعركة عن ظفر المسلمين، ضرب الاسلام أمثلة عالية فى الكرم والصفح عن الماضى وعدم الاستمرار فى تتبع الفارين الذين يطلبون الأمان ويلقون كلمة السلام: "ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا". ومن أروع الامثلة فى ذلك موقف الرسول يوم فتح مكة مع قريش الذين ناصبوه الحرب والعداء اكثر من عشرين سنة، إذ قال لهم بعد أن ظفر بهم: "إذهبوا فأنتم الطلقاء" وأطلق سراح أكثر من ستة آلاف اسير.

أما أن محمداً صلى الله عليه وسلم نفسه كان مطبوعاً بفطرته على التسامح وحب السلام، وانه كان داعية توفيق لا تفريق، فذلك ما تدل عليه كل حياته حتى قبل النبوة. ولأضرب لذلك مثالين اثنين فقط: احدهما ـ حادث الحجر الاسود حين اختلفت القبائل فيمن يكون له شرف وضعه فى مكانه من الكعبة وحكّموا محمداً "الامين" بينهم، فلم يتحيز فى حكمه لجانب قبيلته هو، بل حكم ان يوضع الحجر فى رداء، وأن تأخذ كل قبيلة بطرف لتساهم كلها فى هذا الشرف، وهكذا كان به حقن دمائهم والتأليف بين قلوبهم. الثانى ـ اشتراكه حين كان له من العمر خمس

وعشرون سنة فى حلف الفضول، وهو شبه مؤتمر صغير تحالفت فيه قريش على نصر المظلوم وحفظ الامن العام.

إن إثارة هذه الذكرى فى يومنا هذا وفى مكاننا هذا لها موقع خاص فى نفسى، وانى لا استطيع أن أدفع عن خيالى هذه المقارنة بين الماضى والحاضر. ويلوح لى أننا الآن إنما نطبع على غرار ذلك الماضى البعيد، وانما نترسم الخطوات الاولى للنبى العربى الكريم.

إن فكرة الاجتماع والائتلاف نفسها يرى عليها فى الاسلام مسحة من طابع القدسية، فخير يوم عند المسلمين اسمه يوم "الجمعة" أى يوم الاجتماع، وخير مكان عندهم اسمه "الجامع".

إن المحبة المتبادلة بين المؤمنين هى إحدى النعم العظمى التى يمتن الله عليهم بتحقيقها بالفعل: "واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً" . وان المحبة المتبادلة بين الناس اجمعين هى إحدى الامانى الغالية التى فتح القرآن بابها امام المسلمين: "عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة، والله قدير، والله غفور رحيم". ان اسم "السلام" نفسه واسم "الاسلام" يرجعان فى اللغة العربية إلى أصل واحد، وإن أحب التحيات إلى المسلمين هى الدعاء بالسلام.

وبعد: فاننا نستطيع أن نخلص من هذا البيان إلى النتائج الآتية:

أولاً: أن الاديان كلها، بدلاً من ان تكون سبب نزاع وخصام فى شؤون هذه الحياة، هى على الضدّ من ذلك تنادى بالائتلاف والوئام.

ثانياً: أن السبب الحقيقى لهذه الخصومات هو بالعكس تعمد الانحراف عن الدين، وان كل طائفة تثير نار الحرب باسم الدين كاذبة فى دعواها الانتساب إلى دينها.

ثالثاً: أن العلاج الوحيد للآلام الانسانية الحاضرة هو ان يعنى رجال كل دين عناية خاصة بالجانب الخلقى العام منه، فينمّوا فى اتباعهم عاطفة الاخوة الانسانية باسم الدين نفسه.

إن هذا التقارب والتعاون فى الحياة العملية ان تم على وجهه سيكون خطوة أولية فى سبيل التفاهم فى الحقائق الدينية نفسها، ويرجى من وراء ذلك تقليل فوارقها النظرية وتسهيل الوصول إلى الحقيقة بالبحث الحر، فى جو ودىّ نزيه.

وفى الختام أحب أن أعرض على هيئة المؤتمر اقتراحين عمليين ارجو ان يؤخذ الرأى عليهما:

الأول: أن تنشر خلاصة قرارات المؤتمر على رجال الدين فى كل أمة، وان يرجى منهم المساهمة فى علاج الازمات الراهنة بحث اتباعهم على اقتفاء هذه المثل العليا.

الثانى: ان يطلب باسم المؤتمر إلى مختلف الحكومات ان تنصف الشعوب المظلومة التى تحت نفوذها.

إننا إن فعلنا ذلك نكون قد قمنا بنصيبنا من الواجب الدينى والانسانى لخير الجميع .

* * * *

النص الكامل لترجمة كتاب

SHALOM / SALAAM:
A Resource for Jewish - Muslim Dialogue

مع إضافة

تعليقات اسلامية هامة بالهوامش

(التعليقات التى لم يذكر بجوارها اسم هى للاستاذ احمد الكردى ـ المعلق على الكتاب ـ أما التعليقات الأخرى فهى منسوبة إلى أصحابها).

الفهرس الأصلى للكتاب المترجم

صفحة

تنويه

إن نشر هذا الكتاب: "شالوم/ السلام: اسس مشتركة للحوار بين اليهود والمسلمين" لم يكن ليتم لولا توجيهات ومشاركة عديد من الشخصيات.
فنحن نشكر الذين شاركوا أساساً بمقالاتهم فى هذا المشروع: الاستاذ عبد الوهاب حشيش - بروفسور فى إدارة الحكومة والشئون الخارجية بجامعة جنوب فلوريدا ـ. وليونارد أ.كرافتز - بروفسور فى المدراش والمواعظ فى كولدج الاتحاد اليهودى ـ المعهد اليهودى الدينى بنيويورك ـ. و ج. دادلى وودبرى عميد واستاذ مشارك فى الدراسات الاسلامية بمدرسة الرسالة العالمية بمدرسة فولير الاكليريكية.

ونعبر عن تقديرنا لجوناثان سرنا ـ رئيس الدراسات الشرق أوسطية واليهودية بجامعة Brandeis - وسوزان وديفيد ويلشتاين بمعهد الدراسات السياسية اليهودية لتصريحهما بطباعة مقال د. سرنا وكان المقال قد نشر فى "الهوية اليهودية بامريكا Jewish Identity in America" بمعرفة ديفيد م. جورديس ويواف بن هورين (لوس انجلوس - جامعة الديانة اليهودية عام ١٩٩١). أما مقال روفن فايرستون ـ البروفسور فى التاريخ اليهودى فى العصور الوسطى بكولدج الاتحاد اليهودى ـ المعهد اليهودى الدينى بلوس انجلوس - فقد نشر بجريدة CCAR (فى ربيع ١٩٩٢). ونشكر الدكتور فايرستون والحاخام لورانس انجلندر ـ ناشرى جريدة CCAR لتصريحهما لنا بطباعة المقال.

وقد شارك كثيرون آخرون فى هذا الكتاب بعلمهم ورأيهم حول الحوار اليهودى المسلم سواء بالهاتف أو بالحضور مثل د. قطبى أحمد[١] والإمام الدكتور سالم عجوة[٢]. ، ود. محمود أيوب. ، ود. اوجين بورويتز ، والحاخام جاير

---

[١] مدير مكتب رابطة العالم الاسلامى بواشنطن

[٢] مدير وامام المركز الاسلامى بنيويورك

دافيس.، ود. ايفون يزبك حداد، والحاخام مارتين لوسن. والأخت جلادى محمد. ، ود.عظيم ننجى، والسيدة سونى رمسى احمد، ود. مزمل صديقى[1]، ود. ميكايل سجنر. والسيدة كارن وود. ونقدر جهود د.فليب ميلر، ود.ميان اشرف اللذين قرآ مسودات البرامج.

وفضلاً عن ذلك نود أن نشكر قسم الانتاج باتحاد الجمعيات الامريكية اليهودية (وبخاصة بات فالون. وفيفيان فرناندز، وهيلاين فريدلند) وقسم النشر باتحاد الجمعيات الامريكية اليهودية (ستو بنيك. وشارين افيف) وفوق كل ذلك فنحن مدينون للجهود الكبيرة التى بذلها مود برنس فى المساعدة فى نشر المخطوطات وفى طباعتها.

وينبغى أن نخص بالفضل الحاخام جيروم دافيدسن لدعمه وارشاده الدائمين كرئيس للجنة UAHC لشئون ما بين الأديان. فإنه قد أوضح هو وطائفة معبد Beth El بجريت نك، الثمار التى حققها الحوار بين اليهود والمسلمين.

الحاخام	الحاخام
جارى م. بريتون - جرانيتور	أندريا ل.ويس
مدير قسم شئون ما بين الأديان ومدير مشارك لجنة العمل الاجتماعى لليهودية الاصلاحية باتحاد الجمعيات الامريكية اليهودية UAHC	قسم شئون ما بين الأديان باتحاد الجمعيات الامريكية اليهودية UAHC

• • • •

---

[1] مدير المركز الاسلامى بلوس انجلوس

مقدمة

أ ـ الأهداف:

يقرب هذا الكتاب العلاقات بين اليهود والمسلمين من ناحيتين: التربية والمشاركة. والمقالات تمثل تمهيداً للحوار بين اليهود والمسلمين وتوضح جذور العلاقات اليهودية المسلمة. كما توفر البرامج العملية دراسة الديانة اليهودية والاسلام من خلال الحوار والعمل المشترك.

وتساعد المقالات الأربعة الأولى فى وضع أساس الحوار بإثارة الأسئلة: لماذا ندخل فى حوار بين اليهود والمسلمين؟ وكيف نحقق ذلك على أحسن وجه؟ أما المقالات الأخرى فإنها تضع الحوار اليهودى المسلم فى إطار تاريخى موضحة المنظور المسلم اليهودى للروابط الماضية بين الديانة اليهودية والاسلام.

وأما البرامج، فالمقصود منها تحقيق عدة أهداف أساسية ألا وهى تلقين المشتركين معلومات حول الاسلام وحول الديانة اليهودية، وإقامة علاقات بينهم على المستوى الفردى والجماعى ويستهدف شكل محتوى البرنامج انجاز هذه الأهداف بإتاحة الفرص العديدة للمشتركين كى يتبادلوا معرفة الأعراف الدينية لكل منهم كى يسهل عليهم أن يشارك بعضهم بعضاً فى المصاعب وفى الأعياد الخاصة بحياتهم الدينية.

وكما هو واضح من عنوان البرنامج الأول والأخير، فإن هذه الحلقات الستة للحوار هى بمثابة انطلاق لرحلة، تجعل طريق الحوار اليهودى المسلم ذا مغزى، ويرسى كل برنامج الاحترام والثقة والصداقة، ويحقق فهماً أوسع وإحساساً أعمق لما ينطوى عليه معنى أن يكون الإنسان امريكياً مسلماً أو أمريكياً يهودياً.

ب ـ الانطلاق:

الخطوة الأولى من أجل إقامة الحوار، واضحة كل الوضوح ألا وهى تجميع فريق من المهتمين بالحوار من المسلمين واليهود. بالإضافة إلى الاتصال

بالمنظمات الدينية المواتية فى منطقتكم، فإن المنظمات التالية - مع غيرها - تستطيع أن تقدم العون والمساعدة:

UAHC office of Interreligious Affairs
Rabbi Gary Bretton - Granatoor, Director
838 Fifth Avenue, New York, NY 10021
(212) 249 -0100 (ext. 485)

The Muslim World League
Dr. Dawud Assad
President, council of Mosques of the USA
134 West 26 th street, New york, Ny 10001
(212) 627 - 4033

ولقد حرصنا عند وضع هذا الدليل أن يجرى الحوار بأيسر الطرق الممكنة. فلا يتحتم أن يكون اليهودى أو المسلم عالماً من علماء الدين لكى يعمل بالبرامج، ولاأن يكون البحث المطلوب على نطاق يتجاوز الحدود. وإنما يكفى لإنجاز البرامج أن يكون مستوى إعداد المسلم واليهودى معتدلاً.

وعلى المسئولين قبل الحلقة الأولى أن يحددوا تواريخ اللقاءات وأن يعدوا عدة جداول توضح تاريخ وموضوع ومكان كل حلقة (لتوزيعها فى أول لقاء). وإن أمكن أن يكون مكان اللقاءات متبادلاً بين المعبد والمسجد.

وينبغى قبل البرنامج الأول أن يحصل المشتركون على نسخ من هذا الكتاب، وأن يقرءوا المقالات الأربعة الأولى لكى تساعد فى إعداد المشتركين للحوار (بينما تدخل المقالات الأخرى فى البرامج الأخيرة).

ويطلب وقت إعداد البرنامج الثانى شريط الفيديو "إبراهيم وذريته" من :
Jewish chautauqua city, 838 fifth Avenue, New York NY 10021, (212) 570 - 0707.

• • • •

"الحاجة إلى حوار بين المسلمين واليهود"

بقلم الحاخام جارى م. بريتون - جراناتور

سمحت الطائفة اليهودية لنفسها أن تعيش زمناً طويلاً جداً فى ظل مفاهيم خاطئة ومعلومات غير صحيحة عن طائفة المسلمين. بالإضافة إلى أن عناوين الصحافة وأساليب السياسة المعاصرة قد ألقت ظلالاً من التعتيم على ١٣٠٠عام من العلاقات مما سهل علينا نسيان تاريخ ملئ بالمشاركة التى كان لها جذور إيجابية وعميقة.

وكما أن الديانة اليهودية كان لها أثر قوى على المسلمين وثقافتهم، فقد كان للإسلام أثر هائل على شعبنا وماضيه. واين كنا نحن اليوم لولا الاعتماد على العلوم والرياضيات - المرتبطة بالفكر الاسلامى ارتباطاً وثيقاً - والتى غذت عقول كبار مفكرى اليهود مثل Yehuda Halevi , Saadia Gaon وموسى بن ميمون؟ كما اتخذ الجدل الاسلامى فى العقيدة والاعمال الصالحة بمدرسة المعتزلة طريقه إلى موسى بن ميمون وظهر فى كتابه Guide to the Perplexed (ارشاد المحتار). وكان فلاسفة اليهود فى العصور الوسطى مثل Yehuda Halevi , Saadia Gaon قد تشكلوا فى فكرهم على نفس منوال عالمهم الاسلامى. والحق إنه لم يكن لنا أن نتعرف على كبار مفكرى الاغريق مثل افلاطون أو أرسطو لولا الترجمات الإسلامية لأعمال هؤلاء التى أنجزها علماء مسلمون مثل الفارابى وابن رشد، فأتيح لمفكرى اليهود ولغيرهم أن يطلعوا عليها.

لقد شكل الافتقار إلى المعرفة علاقتنا بالمسلمين خلال العقد الماضى إلى حد بعيد. فمثلاً رغم اننا نسمع كثيراً عبارة "مسلم" وعبارة "عربى" ونستخدمهما بمعنى واحد، إلا أنه من الجدير بالذكر أن العرب لا يمثلون سوى عشرين فى المائة من العالم الاسلامى. وبالفعل كم نعرف نحن اليهود عن العالم الاسلامى؟ اننا نسمع كلمات مثل "الجهاد" و"رمضان" ولكن هل نعرف معناها الحقيقى؟ وإلى أى مدى

تقتحم المناورات السياسية الخاصة بالشرق الأوسط علاقات كان في الامكان أن تتوثق وأن تثمر؟ هذه هي المفاهيم الخاطئة التي ينبغي أن نبدأ اليوم في تبديدها. إن هذا النقص في المعرفة هو الذي يتعين علينا أن نستكمله بالتربية والحوار. هنا واليوم يجب إزالة القضايا السياسية التي تقف عقبة في طريق علاقات جديدة مع إخوتنا المسلمين والمسلمات. انه يجب أن نلزم أنفسنا بالمضي معاً في هذا الطريق. ألسنا كلنا ذرية أب واحد لإله واحد؟

في بداية علاقاتنا بالمسلمين احتل اليهود والنصارى منزلة خاصة في الأهمية في أرجاء العالم الإسلامي. وباعتبارنا "أهل الكتاب" كنا غير ملزمين باعتناق الإسلام. وشغل اليهود مناصب مرموقة في الحكومات الإسلامية حيث كانت السيادة الاسلامية تطبق الشريعة. والقرآن ـ النص المقدس في العالم الاسلامي ـ استخدم مبادئ[1] اليهود والنصارى القانونية والثقافية كأساسٍ تطورت أعرافهم عليه.

وتتفق بعض القواعد الأساسية في العقيدة الإسلامية مع العالم اليهودي. وأصول المأثورات المكتوبة والمأثورات الشفهية تشبه السنة الإسلامية. فما يطلق عليه التوراة في الأثر اليهودي هو القانون المكتوب بينما المشنا والتلمود هما الأثر الشفهي. والقرآن هو القانون المكتوب ولكنه لا يدرس وحده لإستنباط مبادئ الإسلام. والأثر الشفهي والقصص والتعليقات التي تشبه كثيراً المدراش و meforshim " موجودة في الأحاديث وقصص الأنبياء (التي يشبه عنوانها "قصص الاجداد")[2] [3] .

---

[1] لم يستخدم المسلمون مبادئ اليهود والنصارى القانونية. وإنما استخدموا المبادئ التى نزل بها الوحى من السماء. وهى مبادئ جاء كثير منها فى الكتب السابقة فهل التشابه فى هذا يعنى أن المسلمين استخدموا مبادئ اليهود والنصارى؟

[2] لا مجال للتشابه بين المشنا والتلمود وبين السنة. إذ ثبتت السنة بأسانيد نوقشت وقومت حتى عرف انقسام السنة إلى سنة متواترة وغير متواترة. وعرف من هذه الدراسة الحديث الصحيح والحسن والضعيف والموضوع.

إن قلب الإسلام فى القرآن. وهو يتضمن الوصايا العشر وأصول العقيدة الستة وأركان العقيدة الخمسة. ولا شك أن الوصايا العشر مألوفة لدى أغلب القراء.
أما أركان العقيدة الخمسة فهى: ـ

١. النطق بالشهادة
٢. إقامة الصلوات الخمس فى اليوم مستقبلاً مكة
٣. إخراج الزكاة لإعانة الفقير ونشر العقيدة
٤. مراعاة الصوم فى شهر رمضان إحياء لذكرى نزول القرآن[1] (مثل الـ shavuot عندنا)
٥. الحج إلى مكة إذا توافرت القدرة البدنية والمالية.

وأما أصول العقيدة الستة فهى:

١. الله واحد[2] [3]
٢. القرآن كتاب الله المنزل وحياً
٣. ملائكة الله كائنات مقدسة مخلوقة لعبادة الله وتقابل الارواح الشريرة
٤. الله يرسل الأنبياء إلى الأرض فى أوقات معينة لأهداف معينة ولا يفرق بينهم (آخرهم محمد. ومن الأنبياء نوح وإبراهيم وموسى وداوود وكثير من أنبياء اليهود)
٥. ويوم الحساب سوف توضع الحسنات والسيئات فى الميزان

---

[2] المشنا والمدراش هى تفسيرات لحاخامات اليهود قديماً وحديثاً (فتحى حجازى).

[1] صيام رمضان ليس لإحياء نزول القرآن، ولكنه فرض على كل مسلم لأن الله أمر به.

[2] من أصول العقيدة: الله واحد ومحمد رسول الله. وليس القرآن وحده من أصول العقيدة بل كل الكتب المنزلة بما فيها التوراة.

[3] الله واحد ومحمد رسول الله، والواو بمعنى اضافة وتأكيد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه خاتم الانبياء والمرسلين (فتحى حجازى) .

٦. إن حياة الناس واعمالهم معلومة لله إلا أن الناس يصنعون أقدارهم بأيديهم. وهم أحرار فى صنع أو إفساد مستقبلهم، وفى محاولة إقامة الحياة الشريفة.

وعلى مر الزمان قامت الخلافات بين أتباع الاسلام وبين جيرانهم اليهود والنصارى. وبينما يوجد كمٌ كبير من الكتابات الهجومية على النصارى، يوجد أقل منها ضد اليهود ومع ذلك فإنها لم تنعدم تماماً من ماضينا المشترك. ولقد كان هناك زعماء إسلاميون كانوا يميلون بالترحيب باليهود وبالديانة اليهودية، غير أنه يبدو أن أعداد النصارى الذين اعتنقوا الاسلام قد تسببوا فى قيام شعور وكتابات معادية لليهود. ومن الجدير بالملاحظة أن الهجوم ضد اليهود والديانة اليهودية فى العالم الاسلامى قد اتخذ نفس المنحى الذى اتخذته الكتابات الهجومية النصرانية. والتهمة التى وجهت لليهود كانت أنه كلما ظهرت ديانة جديدة وقف اليهود فى صلابة متمسكين بعقيدتهم[1][2] ، ورفضوا اتباع تعاليم الدعوة الجديدة. ومع ذلك فلا يستطيع أحد أن يتهرب من حقيقة أن عدداً كبيراً من التعاليم اليهودية ظهرت فى كل من القرآن والأحاديث[3] . والعكس صحيح إذ كان تأثير الفقه الاسلامى ملموساً على القانون الحاخامى (geonic halacha) وبخاصة فى مسائل المواريث والهبات والأيمان والربا والإقراض.

---

[1] ولم يكن تمسك اليهود بدينهم تهمة فى نظر المسلمين، فقد عايش اليهود المسلمين فلم يقع إيذاء لهم بسبب عقيدتهم، ولو اكتفى اليهود بصلابتهم فى التمسك بدينهم ماآذاهم أحد. بل لقد تجاوزوا التمسك بالعقيدة إلى معارضة كل دين جديد. وهذا ثابت بالنسبة للمسيحية والاسلام. فعندما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم سالمهم، وعقد معهم معاهدة دفاع مشترك عن المدينة، ولكنهم بعد ذلك نقضوا عهودهم.

[2] يسعد المسلمين ان يتمسك اليهود بكتابهم المقدس، ولو فعلوا ذلك لآمنوا بما جاء بكتابهم عن بشارة عيسى عليه السلام ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم (فتحى حجازى)

[3] ان ظهور بعض التعاليم اليهودية فى القرآن ليس لأنها مقتبسة من اليهود. ولكن القرآن نزل مصدقاً لما قبله. والذى أنزل القرآن هو الله جل جلاله ـ الذى انزل التوراة. قال تعالى ﴿ وانزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ﴾ (المائدة ٤٨).

إن ماضينا ملئ بنقاط الالتقاء والتنافر، والتبادلات الايجابية والتفاعلات السلبية. غير أن يهود اليوم يبدون اهتمامهم بالأحداث الجارية لا بهذا الماضى الغنى المعقد. إن قوالب الإزدراء والسلبية التى اصدرتها الصحافة تضفى ظلالا سوداء على شعب نبيل فى تاريخه وفى عقيدته. ونحن اليهود قد قبلنا هذه الصور المؤسفة[1] واستخدمناها لتوسيع الهوة بين شعبينا. ان هذه الفجوة هى التى نأمل أن نضيقها بفتح الطريق أمام الحوار والتعامل المتبادل المبنى على الحق.

إن خطوتنا الأولى من أبسط ما يكون. هى أن نفتح أبوابنا وأن نمد أيدينا وأن نستقبل أخوتنا المسلمين والمسلمات بالترحاب. وعندئذ علينا أن نتعلم ما يتعلق بالعالم الاسلامى والعقيدة الاسلامية وأن ندخلها إلى تراثنا الغنى. ومعنى هذا أن نتعلم أعيادهم وتقويمهم وتعاليمهم الأولية وآمالهم الدينية، وأن نطلعهم كيف نمارس عقيدتنا وأعيادنا وتقويمنا وتراثنا. وكلما تفحصنا أوجه التشابه، وادركنا وقدرنا أوجه الخلاف، كلما وجدنا اهتماماتنا المشتركة وتعرفنا على ما يؤذى به بعضنا البعض. ـ وبعد أن تكون هذه المهام[2] قد وضعتنا بكل معناها على الطريق فعندئذ فقط يمكننا أن ندخل المسائل السياسية فى الحوار. إذ بدون هذا الشرط الأساسى ـ ألا وهو الفهم المتبادل لتراث كل منا ـ فإن المناقشات السياسية قد تنتهى إلى كلام منمق وغوغائية.

يحدونا الأمل أن يؤدى استخدام هذا الكتاب إلى قيام الحوار بين الأمريكان المسلمين والامريكان اليهود. ونصلى من أجل أن يقرب هذا المشروع بيننا وبين أخوتنا المسلمين والمسلمات، وبالتالى يؤدى إلى ايجاد عالم أكثر سلاما وانسجاما ـ وهو العالم الذى أمرنا الله الواحد بأن نحققه.

---

[1] ان هذه الصورة المؤسفة لم يصنعها المسلمون. وإنما رسمها اليهود بأقلامهم وعدوانهم المسلح على أرض المسلمين. فقد عاش اليهود فى جميع بلاد المسلمين يتمتعون بكل حقوقهم. وعندما ترك المسلمون الأندلس خرج اليهود وعاشوا مع المسلمين فى بلادهم. ولا تزال بقاياهم فى المغرب وشمال افريقية تشهد بصحة ما نقول.

[2] ان المهام لا تضع أحداً، ولا أمة، على الطريق. وانما هو السلام القائم على العدالة والايمان به

"من المرض إلى الحوار - مدخل إلى الحوار بين اليهود والمسلمين"
بقلم الحاخام اندريا ل. ويس

يصف كتاب اللاويين المشهد التالي: عاد رجل إلى داره في آخر النهار وهو يتوقع أن يجدها تماماً كما تركها في الصباح. ولكن كم كانت دهشته حين فتح الباب ولاحظ على الفور أن بيته قد تعرض لتغيير غريب: إذ ملئ الهواء برائحة الطين الغليظ، وشوهت البقع الحمراء والخضراء جدران البيت، وتحطم الجص وتفتت وسقط على الأرض. فسيطر الرعب على صاحب الدار وعاد مسرعاً إلى خارجه. واندفع نحو الكاهن وهو يصرخ ويقول "قد ظهر لي شبه ضربة في البيت" (اللاويين ١٤ـ٣٥).

أمر الكاهن بنقل الأشياء خارج البيت خشية أن يصبح كل ما في البيت نجساً. وبعد ذلك اقترب الكاهن وفتح الباب وعاين الجدران. ومسح بأصبعه الأحجار وكانت باردة ورطبة وعفنة ونظر حوله وهو يقول متعجباً "ما نوع هذا البيت؟ وما الذى احدث هذا التلف بالجدران؟"

إن البيت الذى أتحدث عنه ما هو إلا بناء حجرى كان موجودا في وقت ما بأرض كنعان، وكان يسكنه واحد من بنى اسرائيل في الماضي البعيد. الا أن هذا البيت على سبيل الاستعارة يمثل صورة الموقف السائد اليوم تجاه الحوار بين المسلمين واليهود.

من المحتمل في الغالب ألا تكون هذه أول مزاملة لكم. وعلى كل حال ما علاقة بيت ملوث بما يشبه الطاعون بالحوار بين اليهود والمسلمين؟ رغم ما يبدو في ذلك من الغرابة فإن صورة البيت المصاب تفيد المعنيين بهذا الحوار اذ تساعدهم

على فهم ما ينبغى أن نتغلب عليه من أجل إقامة علاقة إيجابية، وما مدى المخاطرة التى يجب على قدرتنا مواجهتها من أجل ذلك.

إن البيت الخاوى والمبنى من الحجارة والجص تمثل امكانية بناء علاقات ذات معنى مع جيراننا المسلمين - الفرصة - كأفراد وكطوائف - كى نشارك بعضنا بعضا فى قصصنا وأن يعلّم بعضنا بعضا كيف نحن فى الحقيقة. أياً كان مكاننا سواء فى ديترويت أم فى مينيبوليس، فى نيويورك أو فيرو بيتش، فى اجتماع اكليروسى محلى، بكلية هيلل أو بالتبادل بين معبد وبين مسجد. فإن هذا البيت بمعنى من المعانى موجود حيث يوجد يهود ومسلمون يعيشون ويعملون ويلعبون جنباً إلى جنب. وحيث يمكن تحويل إحدى الصدف للتعايش السلمى إلى فرصة للتربية والصداقة. هنا نكون قد وجدنا البيت، وهنا يمكن أن يبدأ الحوار بين اليهود والمسلمين.

غير أن كثيراً من الناس يظنون أن هذا لن يتم، ويقولون "ابقوا بعيداً عن البيت" "فإن شيئاً مثل الطاعون قد ظهر على الجدران".

فى مثَل البيت الاستعارى الذى يرمز للحوار بين اليهود والمسلمين فإن ما يشبه الطاعون الذى يغطى الجدران، هو العقبات التى تهدد بإنقطاع الحوار وتمنع الحديث حتى مجرد أن يبدأ. إن قائمة العقبات الكامنة قائمة طويلة منها العقبات السياسية والعقائدية والتاريخية والخوف من غيرها ومن غير المعلوم منها. وكثير من العقبات يمكن أن يكون مصدر مواجهة ودمار محتملين.

العقبة الأولى طاعون عالم السياسة. فطبقاً لما يقرره الدكتور عظيم ننجى من جامعة فلوريدا فإن القضايا المحلية بالشرق الأوسط قد أصبحت عالمية. ونتيجة لذلك فإن يهود ومسلمى البلاد البعيدة عن الشرق الأوسط يتقابلون "وفوق رؤوسهم سحابة سياسية" تهدد بتعتيم كل المظاهر الأخرى للعلاقات[1]. ورغم أن العرب يمثلون فقط عشرين فى المائة من الشعوب الاسلامية، فإن هذه السحابة الرمادية المشئومة تظلم رؤيتنا وتجعل الكثيرين يعتقدون أن الشرق الأوسط هو كل ما يمكننا

أن نتحدث فيه، وأن الحوار بين اليهود والمسلمين والنزاع العربى الاسرائيلى هما شئ واحد ونفس الشئ. ولذلك فإن الذين حاولوا بناء الجسور بين المسلمين الامريكيين واليهود الامريكيين كادوا أن يجمعوا على أن الحوار لا يمكن أن يبدأ بالسياسات العالمية. وإذا أردنا لجهودنا أن تكلل بالنجاح فما علينا إلا أن نوجه[1] انظارنا إلى الغرب لا إلى الشرق الأوسط.

والعقبة التالية هى عقبة طاعون سوء التفاهم. فالبعض يظن أن المسلمين كلهم ارهابيون أو أصوليون. والبعض الآخر يعتقد أن الاسلام عتيق وغير متغير. ويقولون "إنهم سوف لا يتكلمون معنا"، "إنهم لا يستطيعون أن يفهمونا"، "إنهم ببساطة لا يهتمون".. فكر جامد ومكرر، وجهل وخوف.. شئ ما يشبه الطاعون قد ظهر على الجدران[2] [3] .

"اغلقوا الباب"

"سدوا النوافذ"

---

[1] توجيه الأنظار إلى الغرب وصرفها عن الشرق الأوسط يمثل هروباً من الحقيقة الواقعة. فكيف تقام جسور الحوار بين الشعوب الاسلامية واليهودية وفى الشرق الأوسط إنتهاك لأرض مسلمة وشعب مسلم ومساجد وحقوق ضائعة وسلام ناقص . وبسؤال هل قبل مشكلة الشرق الأوسط كانت هناك أدنى مشكلة بين المسلمين واليهود ؟.. ألم يكن اليهود يعيشون فى سلام ووئام فى جميع البلاد العربية والاسلامية ؟.. وهل كان هناك أى داع للحوار ؟ كانت المحبة والصداقة سائدة بين الجميع والاحترام متبادل لكل أصحاب الأديان. ومن جانب آخر هل يصرف اليهود انظارهم واهتمامهم وتأييدهم لاسرائيل من أجل إقامة الحوار ؟. (مهندس طلعت فوزى) (انظر بند ٦ فى المقال الرابع).

[2] ليس هذا هو الذى يمنع الحوار فى الشرق الأوسط أو خارج أمريكا بل اتهامكم للمسلمين بهذه التهم التى هى من صنع أوربا وأمريكا. فلا المسلمون أصوليون بالمعنى الذى تفهمونه للاصولية. ولا الإسلام عتيق. فالاسلام فى أصوله (كما يفهمها المسلمون) ثابت لا يتغير، ولكن شريعته تساير الحياة ، وتجيب بكل وضوح عن كل جديد. وباب الاجتهاد فى الشريعة الاسلامية واسع ولن يغلق.

[3] بل الاسلام يشجع على الحوار والانفتاح المستنير على غير المسلمين بصفة عامة من اجل تعايش سلمى وسلام عادل لصالح الانسانية جمعاء (فتحى حجارى).

"اهجروا البيت"

هذه هي الاجابات التي حصلت عليها حينما بدأت العمل بهذا الكتاب. ونظراً لضآلة معلوماتي عن الاسلام، ولأنه لم يحدث لي أن تحدثت مع مسلم، فقد بدأت بحثي بالتحدث مع علماء المسلمين وعلماء اليهود والزعماء الدينيين، ويجمع كل الكتب التي يمكن أن أعثر عليها وبعنوانها كلمة "اسلام" أو "مسلم".

وهكذا تعلمت ما الطاعون. وذلك عندما اكتشفت أنه بينما كثير من الكتب قد نشر عن اليهود والمسلمين بالجزيرة العربية في القرن السابع، أو بمصر أو اسبانيا في العصور الوسطى. فإنه يكاد لم يكتب شئ عن العلاقات المعاصرة بين المسلمين واليهود. وفي مقابل القدر الهائل من الوقت والجهد الذي استثمر في الاسهام وانعكس على الحوار اليهودي المسيحي، فإن العمل المشترك بين المسلمين واليهود هو حتى الآن نادر نسبياً. كما أن الحوار بين المسلمين واليهود قد تم تجاهله وتلافيه لزمن طويل بعد أن حجبه التشاؤم وعدم الثقة.

أدى هذا الاكتشاف إلى سؤال يجب أن يطرح وأن يجاب عليه لكي يتحقق الحوار بمعناه الحقيقي.. هو: لماذا نبدأ الآن؟ بدلاً من الصمت والتردد ومواجهة التحديات الكثيرة.. لماذا نبدأ هذا الطريق الطويل المحفوف بالمخاطر؟ أمام مواجهة تساقط الاحجار وتهدم الجص.. لماذا مجرد محاولة اصلاح البيت؟

الاجابة على هذه الاسئلة تقتضي منا أن ننظر عن قرب وبأمانة إلى من نحن. يجب أولا أن نعترف أننا كأمريكيين فإننا نعيش ببعض الأساطير عن أنفسنا. فحتى في عصر تعدد الثقافات يتحدث المشرعون وزعماء الطوائف عن القيم اليهودية المسيحية التي قادت بلادنا، ويعلن الساسة ورجال الدين أن الولايات المتحدة وطن ثلاثي الأطراف. أي مجتمع يشتمل على البروتستانت والكاثوليك واليهود. اننا نقسم فطيرة التفاح المنزلية إلى ثلاث قطع متساوية، زاعمين أن الأديان الثلاثة تتمتع كل منها بنفس النفوذ والتمثيل، ومدعين أن تراث عقيدتنا وحده هو الذي صنع الفطيرة.

والحقيقة أنه اذا قدرنا عدد البروتستانت بحوالي ثمانين مليون، وعدد الكاثوليك الرومان بخمسة وخمسين مليونا، وعدد اليهود بستة ملايين، فإنه يوجد الان اربعة ونصف مليون مسلم بالولايات المتحدة الأمريكية. ولقد تضاعف عدد المساجد والمراكز الإسلامية في هذه البلاد أربعة مرات خلال العشر سنوات الأخيرة. وأنه حتى عام ٢٠١٥ أي بعد اثنين وعشرين عاماً من الآن يقدر الخبراء أن عدد المسلمين سوف يتجاوز عدد اليهود وسوف يمارس تأثيراً متزايداً على الفكر الامريكي. إن الاسلام اليوم هو ثاني أكثر الأديان انتشاراً على مستوى العالم، وعن قريب سيصبح ثاني أكثر الأديان انتشارا بالولايات المتحدة[1] .

إن علم الحساب وحده يلزمنا بأن نعيد تقدير كيفية تقسيم الفطيرة. وتطالبنا الاحصائيات بأن نتساءل كيف ستتغير أولوياتنا وهويتنا في ظل تشكيل العالم الجديد. وما معنى ألا نعد نرى أنفسنا أقلية منعزلة وموزعة داخل مجتمع مسيحي؟ وبدلا من ذلك أن نكون جزءاً من أصغر الأجزاء الكثيرة التي تتكون منها الحياة الدينية الامريكية؟ وهل سيتعرض وضع اليهود السياسي والنفسي للهبوط؟ ـ طالما أن صورة الوطن ذى الهيمنة اليهودية المسيحية سوف تنزوي تدريجياً ـ أم سوف يزداد اليهود قوة في الشعور الانتمائي وفي النفوذ؟

إن المسح السكاني والتنبوات الديموغرافية تجبرنا على أن نطرح أسئلة صعبة وأن نواجه الخوف وقابلية الجراح التي تصاحب التغيير في الغالب. إلا أنها أيضاً تذكرنا اننا كأقلية دينية في امريكا لسنا وحدنا. إنه في عام١٩٩٣ وليس عام ٢٠١٥ يجب علينا أن نتحرى ماذا يعني لنا نحن اليهود تزايد نمو الاسلام. إنه اليوم وليس بعد اثنين وعشرين عاماً من الآن، يجب أن نبدأ رحلة الحوار والالتحام.

وبينما الدراسات الديموغرافية يمكن أن تحثنا على أن تمتد إلى الطائفة الاسلامية، فإن علم الحساب لا يمدنا إلا بالقليل. كما أن الاحصائيات لا تستطيع أن

[1] ولماذا يخشون هذا؟ والاسلام دين التسامح والألفة والسلام. والاسلام ليس ثاني الأديان انتشاراً في العالم بل هو أول الأديان انتشاراً لو انصف الغرب في الإحصاء

تمحو الطاعون عن حوائط المنزل، ولا يمكن للأرقام أن تبنى الجسور، أو أن تبدل القوالب، ولا أن تعلّم اليهودى معنى أن يكون الإنسان مسلماً، ولا المسلم معنى أن يكون الإنسان يهودياً.

وعلى أحسن الفروض فإن الحوار بين الأديان هو "إثراء للحياة"[2] وهو فرصة "للتطور والتسامى الذاتى"[3]. ولتحقيق هذه الاهداف فعلى اطراف الحوار أن يتصلوا ببعض، لا بسبب الخوف من الدراسات الديموغرافية، ولكن من أجل أهمية التربية والتفاهم، وفوائد الاتصال والترابط، وما يمكن أن تحققه العلاقات الطيبة من وعود.

ومن الأهمية بمكان أنه يجب أن نلزم أنفسنا بأن نواصل الحوار لا لمجرد المكاسب التى يمكن تحقيقها، وإنما من أجل من نحن. إننا مواطنون أمريكان نعيش فى مجتمع تعددى. وتقتضى التعددية منا العمل المشترك والتعاون بيننا. إننا معشر اليهود قد تعلمنا الاستقامة والرحمة، فمن تعاليمنا "وإذا نزل عندك غريب فى أرضكم فلا تظلموه. كالوطنى منكم يكون لكم الغريب النازل عندكم وتحبه كنفسك. لأنكم كنتم غرباء فى أرض مصر" (لاويين ١٩: ٢٣/٢٤).

إننا كأمريكان مسلمين وأمريكان يهود، كنا جميعاً غرباء. ترى يهودياً من بوسطن من أصل بولندى يمثل الجيل الثالث. وترى مسلماً كان أجداده قد وفدوا إلى ديترويت من لبنان. وترى إسرائيلىّ المولد يعيش فى نيويورك. وترى افريقياً امريكياً قد اعتنق الاسلام. وترى يهودياً وقد نشأ يتكلم الفارسية فى بيته، ومهندساً من باكستان، وابنة من أسرة مصرية كانت تعيش بالقرب من مسجدها المحلى.

إننا جميعاً نتجول.. لقد كنا جميعاً غرباء.. ولا شك أننا نستطيع أن نتكلم مع بعضنا البعض وجهاً لوجه، كما يتحدث الصديق إلى صديقه، ولا ريب فى أننا نستطيع أن نجد مكاناً للقاء، حيث يمكننا أن نستبدل الادعاءات والتعميمات بالأسماء والوجوه، والجهل بنفاذ البصيرة، والخوف والعداوة بالصداقة والأمل.

حين نجتمع نحن الأمريكان اليهود والأمريكان المسلمين فإننا نفعل ذلك رجالاً ونساء ونحن نضع على وجوهنا أقنعة كثيرة. فهناك الدين والعرقية والقومية فى عالمنا المعقد. إننا نأتى إلى الاجتماع كأفراد يحملون التعقيد، وكطوائف فيها الاختلاف. وعندما نكون قادرين على أن يشارك بعضنا بعضا تاريخنا.. هنا نجد "حواجز الاختلاف"[4] وقد أطلت برأسها. ففى كلامهم نستطيع أن نلحظ صدى تجاربنا السابقة ومعاركنا الحالية. وفى كلامنا نستطيع أن نجد نقطة للمراجعة وللترابط، إذ يستطيع الغرباء أن يكونوا حلفاء، ويمكن للمبعدين أن يجدوا أنفسهم أقل ضعفاً وأقل عزلة.

وعندما كنت أبحث عن وسيلة استمع بها إلى صوت المسلمين المعاصرين، عثرت على كتاب بعنوان "القيم الاسلامية بالولايات المتحدة" (Islamic Values in the United states). والكتاب دراسة اجتماعية عميقة لثلاث طوائف إسلامية، يتحرى أوجهاً كثيرة لمعنى أن يكون المسلم عاملا بدينه وهو بالولايات المتحدة. إن التحليل المركز للقاءات والتحليلات تعكس صورة طائفة تواجه السؤال الجوهرى فى كيفية أن يعيش المسلم مسلماً فى بلد غير مسلم. وإلى أية درجة يكون الإنسان قادراً - أو حريصاً - على أن يندمج اجتماعياً فى الثقافة الامريكية؟ وبصفة خاصة بالنسبة للأعداد الوفيرة لجيل المسلمين الأمريكان الأول. وكيف يدخل الفرد فى علاقة مزدوجة - لا تقوى بالتبادل - بين الولاء للاسلام وبين مسئولية الفرد تجاه الوطن الجديد؟[5].

وفى محاولة الكتاب الرد على هذه الأسئلة، يقص علينا عدة قصص. فيما يلى بعض منها:

أقامت مجموعة من المسلمين وافدة من بلد واحد مسجداً لطائفتهم. ومع ذلك عندما حدث تدفق من مهاجرين جدد وفدوا من بلد آخر بدأت جموع المصلين والممارسات التعبدية تتغير. فأصبحت السيطرة على المسجد بيد المهاجرين الجدد،

وصارت اللغة العربية هي الأولى، وتوقف النشاط الاجتماعي، وتقيدت السيدات بالملابس التقليدية وبمساحة منفصلة لصلاتهن.

ناقش أحد الاعضاء المؤسسين للمسجد نتائج هذه السيطرة الجديدة:

أصبح تسعة وتسعون في المائة من المصلين هناك يعرفون ويتكلمون العربية، وبالتالي لم يعد هناك داعٍ للتحدث بالانجليزية في هذا المسجد لتحقيق خدمة دينية ناجحة. غير أن طائفة المسلمين المولودة هنا والذين لا يعرفون غير القليل أو لا شئ من اللغة العربية تألمت واستمرت تتألم من هذا الارتداد إلى الأصل. وبما أن الآباء أنفسهم لم يكونوا يفهمون أو يتكلمون العربية فلم يكونوا يضغطون على أولادهم لذلك. وهم يقولون "إنك لا تستطيع أن تقول لابنك "عليك أن تذهب لتتعلم العربية وأن تذهب إلى المسجد لكى تستمع إلى الإمام يتحدث بالعربية" فإن الابن لن يتحمل ذلك. وهكذا كان الأمر بالنسبة للمسلمين المولودين هنا إذ كان على المساجد إما أن تزيد من تعليم الاسلام عن طريق اللغة الانجليزية وإما أن يعانى هؤلاء دائماً من الرفض أو من عدم الاهتمام[6].

وفى عام ١٩٧٣ توجهت سيدة مسلمة مع زوجها إلى الولايات المتحدة فى صحبة أسرتها الشابة. وعلى أثر أول مشاهدة لموسم أعياد الكريسماس قالت:

لا يوجد مسلمون بين جيراننا. وبعد عام من وصولنا، كانت ابنتى ذات الأربع سنوات تلعب مع أولاد البيت ورأت أنوار الكريسماس وجميع الاشياء على اختلافها. فسألتنى لماذا أعيادنا لا تشتمل على مثل اشجار وأنوار الكريسماس. ولقد حاولت أن أفهمها قائلة: "انظرى يا ابنتى إن هؤلاء مسيحيون. لهم دينهم ويجب عليهم أن يحتفلوا به. ونحن لنا ديننا ولنا احتفالاتنا التى نقيمها فى وقتها". ومنذ ذلك الوقت وحتى اليوم فإننى فى كل عيد احضر لكل واحد من أولادى هدية حتى ولو كانت امكانياتى لا تسمح بذلك فى بعض الاحيان[7].

إن الاستماع إلى هذه الأصوات هو من بعض الجوانب استماع إلى ذات أصواتنا. إننا فى ظل رابطة وصحبة مشجعة، نتذكر انفسنا ونشعر اننا لسنا وحدنا

فى معركة المحافظة على هويتنا الدينية والعرقية وسط عالم فيه الغالبية غير المتدينة. اننا نبحث فى معامل المعبد أو المسجد، فى معسكر الصيف أو فى المركز الطائفى، عن الصيغة السحرية التى تمكننا من المحافظة على التراث الثقافى من تحول القيم والممارسات الدينية، ومن حماية أنفسنا من إغراء التماثل مع المجتمع.

ورغم اننا لا نستطيع أن ننسى أو نتجاهل الفروق التى تفرق بين الامريكى المسلم والامريكى اليهودى، فإن المشاركة فى المعارف والملاحظات يمكن أن تحقق نتائج طيبة. وطالما أن بعضنا يعلّم البعض الآخر ممارساتنا واهتماماتنا الدينية، فإن الحوار سوف يؤدى إلى سبل كثيرة لإمكانات إسداء العون والترابط.

وخذ مثلاً: تحالف Kashrut الحديث. حيث أن كثيراً من المسلمين يمتنعون عن الخنزير ويأكلون اللحوم المذبوحة حسب الشريعة، فإنهم كثيراً ما يشترون المنتجات المباحة فى الشريعة اليهودية. وكان نتيجة ذلك أنه عندما اعربت طائفة اليهود الاورثوذكس عن قلقها بشأن الزيوت الحيوانية التى توجد فى الحاويات الصلب التى تستخدم فى نقل المنتجات المطابقة لشريعة اليهود، ساندها المجلس الاسلامى للقوت والغذاء Islamic Food & Nutrition Council فى جهودها من أجل تغيير هذا الوضع. وطالب بإلحاح جمعيات اتحاد اليهود الأورثوذوكس Union of Orthodox Jewish congragations ومجلس شهادات نجمة K كوشر K - Star Kosher certification board وجماعة أدفانتست اليوم السابع seventh day، Advantists بإلحاح وبنجاح شركات الصلب للتخلص من بقايا هذه الزيوت الحيوانية.

وفضلاً عن القضايا الغذائية، فإن قوائم المسائل المشتركة ومجالات امكانات التعاون سوف تستمر فى الزيادة بنمو العلاقات. من الصلاة فى المدارس والعمل من أجل استعادة الحرية الدينية Religion Freedom Restoration Act ، إلى قضايا تتعلق بالاسرة والعدالة الاجتماعية. وكلما زادت معرفتنا حول بعضنا بعضاً كان وضعنا أفضل فى بناء الجسور والعمل المشترك من أجل الخير للجميع.

أكد الدكتور قطبى احمد ـ المدير السابق لمؤثر العالم الاسلامى بأمريكا الشمالية ـ هذه الدعوة عندما نادى "بالمزيد من التعاون بين الطائفتين لكى يروا القضايا المشتركة تتحقق فى صالح المجتمع" وعندما تكلم عام ١٩٩١ [8]فى بنيال جمعية اتحاد اليهود الامريكيين، اعلن انه حضر ومعه تفويض من مؤتمر العالم الاسلامى بالبدء فوراً فى الحوار بين المسلمين واليهود.

وعندما سئل عن باعث المسلمين للدخول فى حوار مع اليهود رد الدكتور قطبى احمد بأن اليهود بوصفهم جيران امريكان، فاننا فى حاجة إلى المزيد من التفاهم والتعاون معهم. إننا نحتاج إلى أن نقف معاً لنواجه المنعطفات ونبدد الصور العقلية عن المسلمين والعرب التى تزعم انهم أعداء[9]. إن كثيراً من المسلمين لديهم استجابة لهذه الرغبة فى عقد الحوار لكى يرى الآخرون أن الإسلام ليس دين الإرهاب وإنما هو دين السلام[10]. إنهم يريدون أن يكون دينهم معروضاً عرضاً أميناً ومتمتعاً بالاحترام. انهم يرغبون فى أن يكون مقبولا كما هو، لا مصطنعاً لكى يصبح مثل الثقافة المسيطرة. وبعض المسلمين يدعو إلى إجراء تفويض دينى للحوار، مشيرين إلى الوضع الخاص فى الاسلام الذى يميز اليهود والنصارى ويصفهم بأنهم "أهل كتاب"[11]. بينما آخرون ينوهون[12] إلى أننا نعيش فى "بيئة عالمية متداخلة الصلات" وهذه البيئة تدعو إلى الحوار[13].

اننا كأمريكان مسلمين وكأمريكان يهود لدينا جميعاً الكثير من الامكانات لتقديمها من أجل الحوار. ينبغى علينا أن ننظر إلى هذا الحوار على أنه ضرورة ـ وليس ترفاً ـ وعلى أن له أولوية مباشرة لا كشئ يمكن عمله فيما بعد أو تركه ليقوم به الغير.

وحيث اننا نقف امام بيت الحوار بين اليهود والمسلمين فعلينا أن نتذكر انه طبقاً لكتاب اللاويين لا حاجة لأن نهدم البيت لمجرد أن حوائطه قد تغير لونها، أو لأن بناءه قد تخرب. وبدلاً من الهدم فإن الكاهن قد عاد بعد سبعة أيام من المعاينة الأولى لاصلاح الحوائط إذا لزم الأمر. وإذا كان الطاعون قد انتشر فإنه أمر

باستبعاد الاحجار المصابة والجص المتكسر، وباستبدال الاحجار القديمة بأحجار جديدة، وتغطية الحوائط بطبقة جديدة من الجص، وقد يعود البيت إلى حالته الصحية الأولى ويصبح قابلاً للسكنى ما دام لم يعد هناك أى تخريب آخر.

لقد طال الانتظار على المسلمين واليهود. وقد آن الأوان لكى نعود معاً إلى البيت وان ننطلق لاصلاح حوائطه.

من العداوة إلى الصداقة، ومن الغربة إلى الجوار، ومن الصمت إلى التحالف، ومن المرض إلى الحوار - أليس هذا التحول فى متناول ايدينا فى حقيقة الأمر؟.

مراجع البحث:

(1) أشكر الدكتور عظيم ننجى من جامعة فلوريدا عن التوضيحات التى اشتركنا فيها معاً خلال محادثة تليفونية فى ٥ فبراير ١٩٩٢.

(2) هانس كونج "القابلية للحوار والثبات : عن فضيلتين إضافيتين" فى "التعددية الأصولية والحقيقة" : دافيد تراسى وتفاسير الدين" الناشر ورنرج-جيلروند وجنيفر ل. رايك (نيويورك شركة كروسرود للنشر ١٩٩١) ص٢٣٩.

(3)مكايل أ. سجنر Communitas et Universitas : "من النظرى إلى العملى فى الدراسات اليهودية المسيحية" فى "عندما تقابل اليهود والنصارى" الناشر Jakob J. Peruchowak نيويورك مطابع جامعة State بنيويورك - ص٧٧.

(4) ننجى

(5) ايفون يزبك حداد وأدير ت. لوميس "القيم الاسلامية فى الولايات المتحدة" (نيويورك. مطابع جامعة اكسفورد ١٩٨٧) ص٦٥،١٥٥-١٥٦

(6) المرجع السابق ص٤٢.

(7) المرجع السابق ص٩٥.

(8) قطبى احمد بنيالى UAHC ٣ نوفمبر ١٩٩١.

(9) قطبى أحمد - محادثة تليفونية فى ٣ فبراير ١٩٩٢.

(10) القيم الاسلامية ص١٥٨.

(11) حداد ـ محادثة تليفونية فى ٣ فبراير ١٩٩٢.

(12) مزمل صديقى ـ مدير الجمعية الاسلامية بـ Orange County ٥ فبراير ١٩٩٢ محادثة تليفونية.

(13) ننجى.

"دروس مستفادة من الحوار بين النصارى والمسلمين
من أجل الحوار بين اليهود والمسلمين."

بقلم ج. دادلى وودبرى

بعد سنوات من الحوار الجيد والسئ مع المسلمين فى أنحاء العالم، سوف أحاول أن أوضح فى البداية ما الحوار الحقيقى، ثم كيفية إعداده الإعداد الجيد، وأخيراً بعض الخطوط الإرشادية المفيدة.

ما الحوار؟

يقتضى الحوار وجود فردين أو جماعتين يستمع كل منهما للآخر بقصد التعارف وفى جو يسوده الاحترام والصراحة فى الافصاح عن عقيدة كل منهما. ولقد اشتركت فى عدد من "الحوارات" بين المسلمين والنصارى فى المعسكرات الجامعية، وكانت الحوارات فى ذلك الوقت أقرب ما تكون إلى الجدل بسبب عدم وجود الانصات حباً فى التعرف على الغير.

والموقف المطلوب أولاً: هو الالتزام بالتواضع. فقد حدث مرة أننى أنا وإفريقى أمريكى مسيحى يعيش ويعمل بلوس انجلوس، شعرنا أننا مدفوعان للاعتذار لإمام المركز الاسلامى "بأورانج كاونتى" عن الآلام التى تسببنا فيها - نحن النصارى - للمسلمين على مدار التاريخ بمثل الحروب الصليبية والاستعمار. وكانت نتائج هذا الاعتذار مفيدة.

وثانياً: الاحترام ضرورى إذا كان صافياً. فالمسلمون لا يذكرون القرآن دون أن يصفوه بكلمة نبيلة. ولا يذكرون أحداً يعتبرونه نبياً إلا بوصفه بصفة التكريم. والايرانيون المسلمون يستخدمون عبارة "حضرة" مثل "حضرة إبراهيم، حضرة محمد". وفى حوار "بكانسس سيتى" تصادف أن سمعت قول أحد المسلمين أنه يشعر بالقرب من النصارى بسبب التزامهم بالاحترام فى موقفهم.

وثالثاً: الانفتاح للمعارف الجديدة. فقد ازددت فهما للتوراة من المسلمين الذين فهموا بعض الموضوعات في التوراة وفي القرآن أحسن مما فهمت.

وأخيراً: ينبغي أن تنمو الثقة. فقد كنت أنا وصديقي البروفسور محمود أيوب من جامعة تمبل، مدعوين إلى سمنار هارتفورد للمعاونة في تقويم برنامجه. وكنا نتناقش فيما يجب عمله، وأكلنا معاً وتجادلنا ثم ذهبنا سوياً إلى الفندق. وبلغت ثقتنا ببعضنا اننا تكلمنا عن ذلاتنا.

وبما أن كلا من النصرانية والإسلام ديانة سماوية، فيجب أن تكون الصراحة المتبادلة هي السمة الطبيعية للحوار الصريح الذى لا ينبغي أن يتعارض مع الرغبة في الانصات المتصف بالاحترام وحب الاندماج مع الغير. ويجب أن تتأكد لدى كلا الطرفين الرغبة في أن يتقبل الطرف الآخر فهمه للوحي المنزل من عند الله. فإن ذلك أدعى إلى زيادة الثقة.

ويمكن أن يتباين الحوار في شكله ومضمونه. ومن شأن الحياة المشتركة والعمل المشترك في خدمة مشروعات جماعية أن يسهل تحقيق التفاهم فيها كما فعلت مع المسلمين عندما اشتغلت معهم بمركز زراعي بلبنان. ويفضل عمل أشياء من باب المزاح باعتبار أن ذلك من مظاهر الصداقة في أغلب الثقافات وكذلك الأكل معاً بانتظام. ولقد كنت أحضر اسبوعياً بالقرب من كليات "كلارمنت" عشاء ومناقشات لأطراف متعددة الأديان بينما كانت زوجتي تحضر اجتماعات الجمعية العربية.

إن التجارب الجماعية لا تؤدى إلى الصراع الجدلي. ويمكن أن تقتضي احدى هذه التجارب حضور الانسان جلسة يتعبد فيها أطراف آخرون ويحاول الانسان أن يشعر بالتجربة ولو باشتراكه الشخصي إلى المدى الذى يستطيع أن يتحمله بطريقة معقولة، وحتى يشعر أصحاب العقيدة الأخرى أن التجربة ملائمة.

ويتسامى الحوار ذو الطبيعة الروحية البحتة بقيام المسلمين بعرض تجاربهم الروحية، فمثلاً عرض أحد الأئمة وابنه منذ عدة سنوات مضت أمام جماعة من

النصارى كنت بينهم - تجربتهما فى الصيام[1] بأحد مساجد القاهرة. ويمكن أيضاً أن يشتمل الحوار على المشاركة فى رواية قصص حول موضوع يكون موضع اهتمام فى التنشئة والتربية فى ظل العقيدة الأخرى، كما فعلت أخيراً جماعة من اليهود والنصارى والمسلمين "بنيو أورليانز".

وكثيراً ما يتم الحوار حول موضوع له اهتمام مشترك. كما حدث فى لجنة تعدد الأديان الامريكية من أجل السلام فى الشرق الأوسط U.S. Interreligious Committee for Peace in the Middle East ولكن هناك احتمال أن يتحول هذا الحوار إلى حقل ألغام إذا كانت العواطف مشتعلة ووجهات النظر متباينة.

أما الحوارات المتعلقة بالمفاهيم وبالعقائد فيمكن أن تتم على مستوى اكاديمى. فبوصفى عضوا بمركز الدراسات النصرانية بباكستان، كنت اشترك بانتظام فى مثل هذه الحوارات مع موظفى معهد البحوث الاسلامية المجاور. أو يمكن أن يتحقق الحوار داخل طائفة ذات عقيدة واحدة تدعو متخصصاً فى العقيدة الأخرى لكى يلقى كلمته. وقد دعت كنيسة "سان بترز" بالقرب من لوس انجلوس أخيراً مدير المركز الاسلامى "بأورانج كاونتى" ودعتنى معه للمشاركة بهذه الطريقة.

إعداد الحوار

وصف القرآن اليهود والنصارى بأنهم "أهل كتاب" مما يمكن أن يساعد كثيراً فى ادخال رؤية خاصة بالكتاب المقدس. وهذا على جانب من الأهمية نظراً لمخاوفنا المشروعة من حركة التوفيق بين العقائد ومن نسبية الحقيقة. ولقد قامت جماعة - كنت مشتركاً معها- من الكنيسة المشيخية البروتستانتية بالولايات المتحدة بمهمة التوجيه فى مثل هذه الموضوعات.

---

[1] لا يشترط لصيام المسلم إتمامه فى مكان معين كالمسجد أو غيره .. ولعل القصة عن إفطارهما بالمسجد مع جمع من الصائمين (المترجم).

وهناك بعض النصوص المشجعة على الحوار فى الكتب اليهودية المقدسة تنص على الآتى: "لا تشهد على قريبك شهادة زور" (الخروج ٢٠: ١٦) و "تحب قريبك كنفسك" (اللاويين ١٩: ١٨). أما بشأن الوعد بالعلاقة مع الله خارج نطاق شعب الله المختار، فهناك أدلة كثيرة، مثل الميثاق بعد الطوفان "لأذكر ميثاقاً أبدياً بين الله وبين كل نفس حية فى كل جسد على الأرض" (التكوين ٩: ١٦)، ولقاء ابراهيم وملكى صادق (التكوين ١٤: ١٨ــ١٩) وعظمة اسم الله بين الأمم (ملاخى ١: ١١).

ويستطيع النصارى ايضاً أن يجدوا أدلة إضافية خارج نطاق الكنيسة عن حقيقة الله وعمل الله. فمثلاً البرهان على الله فى الطبيعة وفى ذات ضمائرنا (رومية الاول والثانى)[1] . وإن الله "لم يترك نفسه بلا شاهد (أعمال ١٤: ١٦ــ١٧) و "بل فى كل أمة الذى يتقيه ويصنع البر مقبول عنده" (أعمال ١٠: ٣٤ـ٣٥).

وبالاضافة إلى ذلك يجب التحرى عن قيمة الحوار. من أجل تصحيح القوالب الفكرية والمساعدة على نمو التفاهم وتبادل الأفكار والتعاون والشهادة witness . وعلاوة على ذلك فالحوار لا يطالب الفرد بالتخلى عن الاعتقاد فى انفراد عقيدته وتميزها ما دام الحوار يتضمن شهادات صحيحة.

وكثير من الحوارات التى اشتركت فيها ارتادت نفس الطريق. ولذلك هناك فائدة من دراسة نتائج اللقاءات السابقة من أجل البناء على منوالها.

إن نسبة قوة كل طائفة ممثلة فى الحوار تؤثر على فعالية الحوار. ولذلك فإن الطرف الأقوى محلياً يحتاج إلى أن يكون حساساً عند تحديد مكان اللقاء بحيث يعقد فى المكان الذى يشعر الطرف الآخر فيه بالأمان. وكنت عادة فى الولايات المتحدة اقترح عقد اللقاءات فى مقر المسلمين باعتبارهم أقلية. وينبغى أيضاً أن يتم

---

[1] حقيقة الله فوق قدرات العقل. كما جاء فى الأثر "تفكروا فى آلاء الله، ولا تفكروا فى ذات الله فتضلوا". (الآلاء هى النعم).

التخطيط جماعياً. فقد كان لدى بعض زعماء المسلمين فى "كنساس سيتى" حساسية لهذا النوع من التخطيط المشترك.

خطوط إرشادية للحوار

تشتمل الخطوط الارشادية للحوار أولاً: على حق كل طائفة فى تعريف وتوضيح موقفها. فقد كان من أكثر تجاربى فائدة يوما بباكستان أنى إلتقيت برجل مسلم صالح. وقام كل منا بشرح عقيدته فى حضور أتباعه. وكان كل منا حريصاً على أن يتكلم فقط عن نفسه.

ثانياً: يجب عقد مقارنة بين نقاط التماثل فى العقيدتين .. فى المثل العليا أو فى الممارسات العملية لدى كل فريق. ولا تعقد المقارنة بين العقيدة المنهجية لفريق مع الممارسات الشعبية لدى الفريق الآخر. ومع ذلك فإن عرض المعتقدات الواقعية لدى الافراد قد يكون ذا فائدة علمية كبيرة. فمثلاً بينما الاسلام المنهجى ينكر أبوة الله فقد قابلت بعض المسلمين يتصورون الله كأب لهم[1] وبذلك كانوا أقرب إلى مفهوم النصارى عن الله بعكس ما يقرره الاسلام الصحيح.

وثالثاً: البحث عن طرق لتلافى وقوع أية مواجهة بين الفريقين. فمثلاً عندما كنت أوضح فى الاسلام النقاط التى كانت تبدو غير ملائمة فى نظرى، كنت أحرص فى الغالب على أن أجعل القضية قضيتى فأقول:"اننى اواجه مشكلة هنا .." أو "كيف تتعاملون مع هذه النقطة؟ ". وحينما كان يوجه لى سؤال مثل "ماذا تفهم عن محمد ..؟ " ولعلمى أن جزءاً من ردى يمكن أن يكون جارحاً، فقد كنت أجيب بسؤال آخر مثل "كيف تظنون اذا قلت ان نبياً عظيما قد جاء بعد محمد؟ ". ولعلمى انهم سوف يؤكدون ان محمدا هو خاتم الانبياء، فاننى استطيع أن أقول إننى اشعر

---

[1] لا يجوز أن تكون القضايا التى يقوم عليها الحوار مبنية على أفهام العامة، والروايات التى لم تصح، ولا الأقوال المختلف عليها. فصريح المبادئ الاسلامية يرفض ذلك فالله ﴿لم يلد ولم يولد﴾ (الاخلاص ٣).

بنفس الشئ بالنسبة لعيسى. بذلك اكون أوضحت رأيى دون أن أقول اى شئ سلبى يمكن أن يكون له نتائج عكسية[1] .

وحدث فى مدينة "سان مارينو" منذ فترة وجيزة أن نشر بالصحف مقال غير ملائم عن العرب. وكان يمكن أن يؤدى ذلك إلى مواجهة حادة، ينتج عنه بعض الانعكاسات الدينية. ولذلك اقترحت زوجتى أن يقوم ذوو الأصل العربى بكتابة رد ايجابى، وباصدار كتب مجانية توزع على المكتبات المدرسية وتوضح الفروق العرقية والدينية.

وبنفس الطريقة، بدلا من مهاجمة الحكومة الاسلامية[2] بافغانستان وبالمملكة العربية السعودية، عن القيود المفروضة على الحرية الدينية عندما كانت عائلتنا تعيش هناك. فاننى اشتركت مع بعض الموظفين الحكوميين فى إعداد مذكرة قوية تطالب بالتسامح والحرية وتستند إلى مراجع اسلامية. ان التردد فى نقد موقف الطرف الآخر يمكن أن يؤدى إلى سرعة صدور نقد من هذا الطرف الآخر لتاريخ تراث الطرف الأول. لقد وجدت ذلك صحيحاً فى مسائل الحرية والسلام.

رابعاً: ان مقر الطائفة يسهل مناقشة القضايا. وكان هذا جليا عندما كنت أعمل مع المسلمين بمركز زراعى بلبنان. وتنمو العلاقات إذا أتيح للمسلمين أن يكونوا هم المضيفين، أو باستعارة بيضة، أو بالتوقف لتناول فنجان قهوة. وتتوثق العلاقات ايضاً بالعمل من أجل صالح حقوق الاقليات فى بلادنا، وبالتأكيد على

---

[1] واذا كان المقصود من الحوار الوصول إلى قدر من التفاهم والتلاقى، فهل هذه الاجابة تصلح لذلك؟

[2] كان أولى بالمؤلف أن يذكر موضوع المذكرة التى قدمها لكى يوضح الاسباب الواقعية للمطالبة بالتسامح والحرية استنادا إلى مراجع اسلامية كما يقول لكنه لم يفعل. وكأن التسامح والحرية لا تكون موجودة فى ظل الحكومة الاسلامية. وهذا هو نهج الغرب فى تشويه صورة الاسلام حتى وصل الأمر إلى الصورة المؤسفة التى تحدث عنها مؤلف المقال الأول فى هذا الكتاب. وكأن المؤلف بهذا الاسلوب الملتوى لم يهاجم الحكومة الاسلامية بافغانستان والمملكة السعودية. (المترجم)

استياء المسلمين فى المواقف المشابهة لقضية سلمان رشدى، وكذلك بمحاولة شرح آلام المسلمين امام الغير.

خامساً: ومما يسهل سير الحوار عمل جداول للاعمال وتحديد الثوابت Parameters والقواعد الاساسية. ففى حوار حديث بين الأديان "باورليانز"، تحركنا بنجاح نحو اهدافنا بفضل مراعاتنا لذلك.

سادساً: أثبتت تجارب الحوار بين الأديان فى عديد من المعسكرات الجامعية ان التقدم يكون حليف الحوار بطريقة بناءة كلما كان اكتشاف نقاط التماثل والاتفاق يتم قبل نقاط الخلاف والتعارض سواء كان ذلك على مستوى العقيدة أم على المستوى العملى.

وأخيراً: محاولة إيجاد توازن بين عدد المشتركين فى الحوار وإن أمكن فى الجنس من حيث الانوثة والذكورة. فإن ذلك أدعى إلى التخفيف من مشاعر حب الدفاع عن النفس لدى الفريق الممثل بعدد أقل.

ولقد كان من أكثر تجاربى فى الحوار نجاحاً ما كان من أحد العلماء الباكستانيين عندما سألنى: ما الهدف الرئيسى لبنى الانسان؟ ولقد أجبته من واقع تراثى "هو تمجيد الله وارضاؤه بصفة دائمة" وبعد أن سألنى عن معنى ذلك، عكفنا معاً على وضع جدول اعمال لمناقشة اجابتى. ومن خلال هذا العمل المشترك تزايد فهمنا لكيفية تمجيد الله وإرضائه مع دوام الأمل فى أن يدخل الطرف الآخر فى تجربتنا عن الله.

* * * *

"الهوية اليهودية فى العالم المتغير للديانة بأمريكا"
بقلم "جوناثان د. سرنا"

ترجع بداية الجهود التى بذلت بشأن التنبؤ بمستقبل الطائفة اليهودية بأمريكا إلى القرن التاسع عشر. واتسم معظم النبوءات بالتشاؤم. فقد تنبأ الرئيس السابق جون آدمز فى رسالة له إلى مردخاى[1] نواح عام ١٨١٩عن احتمال "أن يصبح اليهود مع الوقت جماعة ليبرالية من النصارى الموحدين". وكتب طالب شاب يهودى امريكى يدعى "وليم روزبلات" عام ١٨٧٢ وصرح أن غالبية أحفاد اليهود المهاجرين إلى امريكا بالتأكيد سوف يتزاوجون فيما بينهم وسوف يهملون شعيرة الاختتان، وتنبأ أنه خلال خمسين سنة "على الأكثر" سوف يصبح اليهود "غير مصنفين" عن الكتل البشرية التى تحيط بهم". وبعد قرن من الزمان أى فى عام ١٩٦٤ خصصت مجلة LOOK عدداً كاملاً عن "اليهودى الامريكى الزائل" باعتباره اكثر الموضوعات جدلا فى ذلك الوقت. وبعد ذلك فى عام ١٩٨٤ حذر الحاخام "روفن بولكا" فى كتاب بعنوان "تصدع الاصلاح الأورثوذوكسى ومستقبل الشعب اليهودى" The Orthodox-Reform Rift and the Future of the Jewish People "اننا نسير نحو كارثة من عدم التكافؤ العددى الذى لن تستطيع الطائفة اليهودية بامريكا الشمالية تحمله بسهولة" .

وهكذا ولله الحمد ثبت أن كل هذه النبوءات خطأ. فالشعب اليهودى مازال يعيش. ويمكن اعتبار تلك الحقيقة تذكرة مؤقتة (كما قيل ذات مرة) "بأن التنبؤ صعب للغاية، ولا سيما فيما يختص بالمستقبل". ويرى آخرون أن استمرار حياتنا ليس إلا بفضل العناية الإلهية ودليل على أن الله يسبغ رحمته الإلهية علينا ويرعانا. وفريق ثالث وانا معه يرى فقط أنه نظراً لانشغالنا كيهود بشأن البقاء فإننا ننصت باهتمام إلى نبوءات الدمار ونستجيب لها. وتقوم نبوءات الشؤم والكآبة بدور تاريخى كنوع من الانذار المبكر لليهود إذ أن مناحات النبوءات تزعج الديار بشدة وتنتج

تغييرات لا مفر منها. لهذا السبب يقضى المتنبؤن المعاصرون حياتهم فى الغالب كأشخاص جلابين للنحس و"كمتنبئين يتنكرون لذواتهم" self-negating prophets . وينتج فى العادة عن نبوءاتهم التى تنشر على اوسع نطاق - بدلا من تحققها - انواعا من التغييرات المطلوبة "للتحذير من القرارات المشئومة".

ومع أخذ ذلك فى الاعتبار، أود أن ألفت الأنظار إلى تغيير اساسى فى الخصائص الدينية للامريكى المعاصر، يبدو مشحونا بمضامين خطيرة لهوية اليهودى الأمريكى خلال العقود القادمة وهذا الموضوع لا يحظى فى مناقشات الدوائر اليهودية المتخصصة بالاهتمام الكافى. ولا سيما ما يتعلق على وجه التحديد بأفول النموذج اليهودى المسيحى، والبروتستانتى الكاثوليكى اليهودى فى النظام الدينى بأمريكا. مقابل النمو فى النموذج الدينى غير اليهودى المسيحى، ولا سيما نمو الاسلام. وبينما أرى - ونحن نتحدث بصفة عامة - أن هذا النمو يعتبر جزءا من حركة أوسع مدى - يفهمها "روبرت ووثنو" على أنها مجرد "إعادة تشكيل فى النظام الدينى بأمريكا"[2]، فإننى سوف اركز هنا على الموضوع المطروح أمامنا، وأؤجل مناقشة المظاهر الأخرى "لإعادة التشكيل هذه" لمناسبة أخرى.

ولكى نفهم الأفول الذى طرأ على النموذج اليهودى المسيحى، والبروتستانتى الكاثوليكى اليهودى يجب أولا أن نقوم برحلة سريعة إلى الوراء عبر التاريخ. فمنذ حوالى قرن مضى من الزمان وبعد صدور الدستور ظل عدد غفير من الأمريكان يعتقدون أنهم يعيشون فى بلد مسيحى، وفى وصف أضيق فى بلد بروتستانتى. وهذا "التعديل الأول" لم يضايق هؤلاء الذين يتمسكون بهذا الرأى لأنهم كانوا يعتقدون - كما قال القاضى "جوزيف ستورى" Joseph story .

"ان الهدف الحقيقى من التعديل ليس هو احتواء، ولا حتى التقدم على الاسلام أو اليهودية أو الالحاد بتخلف المسيحية، وانما باستبعاد الصراع بين المذاهب المسيحية وبتلافى انشاء أى نظام كنسى على مستوى الوطن حتى لا تستأثر هيئة الكهنوت المنظمة بالحكومة الوطنية"[3].

وكان المحامون لـ "امريكا النصرانية" غير منزعجين من تحديات غير النصارى. حتى بعد اعلان آخر احصاء للقرن التاسع عشر الذى يبرز أن كنائس البوتستانت تجاوز عددها الكنائس الأخرى بمعدل يزيد عن نسبة عشرة إلى واحد. استناداً إلى حجة أن المنشقين يمكن طردهم بكل أمان، أو على الأقل يمكن تجاهلهم تماماً"[4].

وحتى المحكمة العليا وافقت عام ١٨٨٢ على "أن هذا الوطن وطن نصرانى". وقد قام القاضى الذى اصدر هذا القرار "ديفيد بروير" - وهو ابن أحد المبشرين - بالدفاع فيما بعد عن وجهة نظره بلا خجل فى محاضرة نشرت على أوسع نطاق بعنوان: "الولايات المتحدة وطن مسيحى" (١٩٠٥)[5]. ولقد عارض اليهود هذه الصياغة بقوة، وكافحوا بثبات ضد فكرة "أمريكا النصرانية"، غير أنهم لم يحققوا الكثير فى هذا المجال[6].

أما الفكرة الأكثر شمولاً عن أمريكا "كوطن يهودى نصرانى" - اشارة إلى القيم أو المعتقدات المشتركة بين اليهود والنصارى بنفس الدرجة - فإنها ترجع فقط إلى القرن العشرين، بينما ظلال الفكرة تعود إلى قرن مضى أو أكثر. ويحدد "مارك سيلك" الذى سأذكر روايته فيما يلى - ان الاستخدام المعاصر لهذا اللفظ كان عام ١٩٣٠. وكتب يقول "ان الذى دعا إلى استخدام هذا اللفظ فى الحديث الجارى كان الرغبة فى معارضة الفاشية. نظرا لأن الرفقاء الفاشستيين الرحالة والمعادين للسامية كانوا قد استولوا على لفظ "نصرانى" كعلامة تجارية... وصارت عبارة "يهودى مسيحى" شعاراً مقابلاً للطرف الآخر." واستخدم هذا الكاتب عديداً من الأمثلة من واقع هذه الفترة، لكى يوضح كيف اصبح لفظ "يهودى نصرانى" بالتدريج هو اللفظ الليبرالى المعيارى الذى يعبر عن الفكرة التى استندت إليها القيم الغربية فى الاجماع الدينى المشترك.

وهكذا كتب "جوليان مورجنسترن" رئيس كولدج الاتحاد العبرى عام١٩٤٢:
"إننا نتحدث الآن عن الميراث اليهودى المسيحى بفهم - وإن كان لايزال غير ملائم -

إلا أنه فى تفتح مستمر. اننا ندرك الآن ما لم ندركه فى التسعة عشر قرنا الماضية ــ ان اليهودية والمسيحية شريكتان فى هذا العمل العظيم ألا وهو خلاص العالم ونشر النهضة في عالم الروح". وبعد ذلك بعشرة اعوام تحدث الرئيس المنتخب "دوايت أيزنهاور" عن "مفهوم اليهودية المسيحية" باعتباره اساساً "لشكل حكومتنا". واستخلص "مارك سيلك" أنه "حتي عام ١٩٥٢ كان يعتبر أمريكياً صالحاً كل يهودى مسيحى صالح. كانت هذه الجملة هى شعار العقيدة الوطنية الجديدة"(7).

وجنباً إلى جنب مع شعار هذه العقيدة نما بامريكا نموذج جديد أكثر تعددية يوضح كيف أن الشخصية الدينية الوطنية ينبغى أن يصاغ وان يوصف مفهومها. وقبل ذلك بكثير انحازت المؤلفات ابتداء من "روبرت بايرد" بكتابه "الدين فى امريكا"(١٨٤٣) حتى "وليم وارين سويت" بكتابه "قصة الدين فى امريكا" (١٩٣٠) ــ انحازت إلى ما يمكن أن يطلق عليه "التوليفة البروتستانتية".. وكان الانزعاج قوياً ــ كما أشار إلى ذلك "سيدنى ألستروم" ـ من "نهضة ونمو المذهب البروتستانتى" ولكن مع أفول المذهب البروتستانتى(8) فى القرن العشرين، ونهضة الكاثوليكية اللافت للنظر، وهجمة كراهية Interreligious التعددية الدينية اثناء الحرب العالمية وبعدها، وظهور حركة تعدد العقائد interfaith، وبلوغ ذروة النضج لجيل المفكرين غير البروتستانت، كل هذه التركيبة قد تفككت. وقام مقام نموذج "التراث البروتستانتى" النموذج الثلاثى الجديد للديانة الامريكية ألا وهو الثالوث العائلى للبروتستانت والكاثوليك واليهود.

وقبيل عام ١٩٢٠ وقبل ان تتبلور هذه الايديولوجية "اجتمع قادة جماعات البروتستانت والكاثوليك واليهود فى نداء إلى الشعب الامريكى للعمل على حماية الحرية الدينية من تهديد التعصب الأعمى والتحيز والتطرف". وبعد ذلك بسبع سنوات تأسس "المؤتمر الوطنى لليهود والنصارى: NCCJ" (وقد تغير اسمه فى ١٩٣٨/١٩٣٩) وتقرر ان يكون له ثلاثة رؤساء مشتركون هم: "نيوتن د.بيكر" ــ بروتستانتى، و"كارلتون ج.هـ . هايز" ـ كاثوليكى، و"روجر و.شتراوس" ــ يهودى

وتضمن المؤتمر الوطني NCCJ في برنامجه التربوى مئات من "الموائد المستديرة" تتكون كل منها "من جماعة من زعماء البروتستانت والكاثوليك واليهود" الذين تضامنوا من أجل "تأييد أغراض المؤتمر الوطنى فى طوائفه" وفيما بعد شرح "افيريت ر. كلنشي" - الذى ظل طويلا مديرا تنفيذيا للمؤتمر الوطنى NCCJ - هذه الفكرة وعرضها كأيديولوجية كاملة، محاولا ان يبرهن على ان امريكا تضم ثلاث "جماعات ثقافية" متساوية، ساهم كل منها مساهمة فعالة فى الحياة الامريكية وينبغى تشجيعها على الازدهار.وخلال عقدين من الزمان تجسد التقارب الثلاثى للديانة الامريكية فى عدد لا حصر له من الرموز والشعارات. فمن برنامج "Equal time" (وقت متساو لكل طرف) فى حصص راديو NBC إلى الشعار الشهير "كنيسة القساوسة الأربعة" وهو "مزار متعدد العقائد" أقيم إحياءً لذكرى وفاة أربعة قساوسة غرقاً عام ١٩٤٣ كانوا ملحقين بخدمة اربعة جيوش واقفين على سطح الباخرة "دورشستر"[9] مقيدى الايدى متعبدين وكان أحدهم كاثوليكيا وآخر يهوديا واثنان من البروتستانت.

ولقد كان لظهور احد الكتب عام١٩٥٥ الأثر الاكبر فى جعل شعار "البروتستانت الكاثوليك اليهود" مفهوما أسريا. ألفه "ويل هربرج" الذى يعتبره "ديفيدج. دالن" أحد أهم المفكرين اليهود فى النصف الأخير من هذا القرن. ونجح هذا الكتاب فى أن يجعل قضية "تعميق الهوية الدينية الذاتية يكون من خلال مشروع البروتستانت الكاثوليك اليهود". وطبقا لما يقوله "هربرج" اصبحت امريكا "قدرة ذوبان ثلاثية" احتوت على ثلاث طوائف كبرى ذات لافتات دينية تمثل ثلاث "ملل " أو "عقائد". ويضيف محذرا "فإذا لم يكن الشخص بروتستانتيا أو كاثوليكيا أو يهوديا، فإنه بطريقة أو بأخرى لا يكون أمريكياً"[10].

وقبيل منتصف ١٩٥٠ صار كل من التراث اليهودى المسيحى و"قدرة الذوبان الثلاثية" مترسخاً كمكونات للهوية الامريكية. وأصبح كلا النموذجين - وقد تزاوجا تماماً - يشيران إلى مزيد من الفهم التعددى لامريكا - وقد احتضنت اليهود

كمتعادلين. وكان ذلك بالنسبة لليهود تغييرا مُرضيا باعتبار أن وضعهم جرى على أن يكونوا أقلية مضطهدة. ولقد كان من المناسب حقا أن أعلن بأسلوب إيجابي "مكسيل أبيل" - الزعيم العلماني لليهود المحافظين - في ورقة بعنوان رسالة المعبد اليهودي الاساسية في امريكا" هذه الادعاءات المدعمة تاريخيا. إذ اوضح قائلا "تحدث الامريكان دائما عن التراث اليهودي المسيحي باعتباره اساس الحياة الدينية في العالم المعاصر، واعطونا بذلك كيهود الثقة بأننا أحد العناصر الأساسية لهذا التراث. لقد تحدث الامريكان دائما عن الديانات الثلاث الكبرى بأمريكا أنها هي البروتستانتية والكاثوليكية واليهودية على الرغم من أن عدد اليهود لا يزيد عن حوالي الخمسة ملايين من حوالي ١٦٠مليون عدد الشعب كله"[11].

ولقد اعتقد "أبل" - كما اعتقد كثيرون غيره من اليهود - أن اليهود لايستحقون هذا الوضع المتعادل الذي منحه لهم الامريكان. وتعشموا صراحة ان يتمكن اليهود من ان يعوضوا عدم تعادلهم العددي الصارخ بتحقيق مشاركة فعالة في الحياة الامريكية. وهنا كان مكمن الخطر الذي أظن اننا بدأنا ندركه وهو ان هناك تفرقة واسعة وحقيقية ومتزايدة بين الاسطورة والحقيقة. فلا التراث اليهودي المسيحي ولا "قدرة الانصهار الثلاثية" قد عبرا على نحو مناسب وصحيح عن المدى الكامل لتعددية الحياة الدينية الامريكية في كامل مظاهرها المركبة. ولقد عاش الامريكان زمناً طويلاً في ظل هذه التفرقة وبرغم هذا التنافر في المعارف. وجد اليهود وضعهم المبالغ فيه مناسبا جدا. كما اعتقد عدد ساحق من الامريكان أن اليهود يمثل تعدادهم نسبة اكبر بكثير من التعداد الشعبي على غير الحقيقة، وتعاملوا مع اليهود تبعا لذلك[12]. ولكن هذه الأساطير اليوم قد تبددت. ومن الأوفق لنا أن نعرف لماذا تبددت، وماهي متطلبات الهوية اليهودية في السنوات القادمة.

أثبت "مارك سيلك" أن الفكرة اليهودية المسيحية لاقت مقاومة منذ وقت مبكر يرجع إلى سنوات١٩٤٠. وشملت الانتقادات الاتهام بان الفكرة كانت غامضة (طالب هارفرد دوجلاس بوش fuller hunts توضيح ماذا تعني فكرة التراث العبري

المسيحى ـ التى لا يوليها الجميع سوى اهتماما سطحيا غامضا أو ماذا يمكن أن تعنى هذه الفكرة بالاصطلاحات الحديثة فى نظر أولى العزم من رجال العصر الحديث) فضلا عن أنها تعتم على الفروق اليهودية المسيحية القديمة قدم الدهر. ثم تعرضت الفكرة للهجوم أيضا فى أعقاب حرب الايام الستة عام١٩٦٧ ـ وهى الحدث الذى أثار الانشقاقات العقائدية بين اليهود والنصارى ولا سيما فيما يتعلق بإسرائيل، وعجّل بظهور اتجاه متزايد من إعجاب اليهود بأنفسهم. ومنذ عهد قريب جدا تعرضت الفكرة إلى الهجوم على أنها خدعة بلاغية استخدمتها العناصر اليمينية بهدف الترويج لبرنامج سياسى قاصر على المسيحيين وحدهم[13].

ولم يعد ما يطلق عليه "قدرة الانصهار الثلاثية" تصلح كمفهوم تفسيرى. إذ أنها تهون تماما من قيمة الفروق العرقية، وتتجاهل كلية معنى البروتستانتية الانجيلية، وتستبعد بالكامل العقائد الامريكية الأخرى وكأنها لم يكن لها أى وجود. ولقد أشار "ديفيد دالين" إلى "أنه حتى فى الوقت الذى كان "هربرج" يكتب، كانت هناك فرق انجيلية جديدة تظهر، وفرق أخرى قديمة تجتاز مرحلة انبعاث الروح من جديد.

وفى أقل من خمس سنوات بعد الاعلان البروتستانتى الكاثوليكى اليهودى، استطاع عالم الاجتماع "سيمور مارتن ليبست" أن يلاحظ أن هذه الفرق المتزمتة "كانت اقوى بكثير اليوم مما كانت فى أى وقت خلال القرن العشرين" وان الزيادة الاكثر بروزا فى عضوية الكنيسة قد حدثت على وجه التحديد داخل هذه الفرق المتطرفة، وليس فى اطار ما يسمى "بالخط الأم" للتراث البروتستانتى الذى عول عليه "هربرج" كثيراً"[14]. ومما لاشك فيه ان نموذج "هربرج" قد مهد الطريق امام مناقشات مستقبلية "للديانة المدنية" بامريكا. غير أن "قدرة الانصهار الثلاثية" فى حد ذاتها لم تكن تكفى لوصف الديانة بامريكا فى اعوام ١٩٥٠ وكانت اقل كفاية لما بعد ذلك.

واليوم يواجه الطابع الامريكى اليهودى المسيحى والبنية البروتستانتية الكاثوليكية اليهودية مشكلة أشد خطرا ألا وهى النمو السريع للديانات الامريكية التى لا تنتمى إلى البروتستانتية أو الكاثوليكية أو اليهودية وانما هى خارج نطاق كل من اليهودية والمسيحية تماما. وأقصد بصفة خاصة الاسلام من بين أسرع الديانات نموا فى الولايات المتحدة. إلا انه ينبغى ان نأخذ فى الحسبان وجود ديانات مستترة (واللفظ لـ "ج. جوردون ملتون") وتشمل العقائد الميتافيزيقية، والديانات الشرقية، والديانات النفسية أو New Age وما شابهها. وفى عام١٩٨٥ لاحظ العالمان الاجتماعيان "واد كلارك روف" و "وليم ماكينى" ان العقائد غير اليهودية وغير المسيحية يدين لها من الامريكان بالولاء ضعف من يدين باليهودية، وان ما يقرب من واحد إلى عشرة لا ينتسبون إلى أى انتماء دينى. وبمعنى آخر فعلى الاقل ثلاثة عشر فى المائة من مجمل عدد الامريكان لايشاطروننا ادعاءاتنا المعتادة حول الطابع الدينى لأمريكا. وهذا يمثل زيادة لأكثر من أربعة أضعاف خلال ثلاثين عاما، وان هناك اكثر من سبب للاعتقاد بأن عدد هذه "الاستثناءات" سوف يزداد بمعدل سريع[15].

ومن وجهة نظر اليهود الامريكان، يستحق نمو الاسلام فى أمريكا عناية خاصة، ولا سيما العداوة التى تكنها الطائفة المسلمة المنظمةتجاه إسرائيل. ان بزوغ الاسلام كعقيدة رئيسية بأمريكا لم يفلح حتى الآن فى إثارة جدل كثير فى الدوائر اليهودية ربما خوفاً من الظهور بمظهر التعصب الدينى. ولم أطلع على دراسة علمية واحدة عن معنى هذا الانتشار بالنسبة لليهود. وبالتأكيد لم يبحث أحد كيف سيكون أثر ازدهار الاسلام على الهوية اليهودية وعلى الحياة اليهودية فى السنوات القادمة. ويتعذر ايضا ان نقوم هنا بدراسة مفصلة لهذا الموضوع ولكن استنادا إلى دراستى "الهوية اليهودية فى عالم الديانة الامريكية المتغير" فإنه يعن لى بعض الملاحظات الأولية.

فمن الناحية التاريخية وفد بعض الافراد المسلمين إلى أمريكا في وقت مبكر في فترة الاستعمار وعرف أن اعداداً قليلة من المسلمين قد عاشوا في طوائف مختلفة في القرن التاسع عشر، إلا انهم كانوا دائما على شكل افراد إذ لم يكن للاسلام وجود منظم. وفي فترة الهجرة الكثيفة (اعوام١٨٨٠ إلى الحرب العالمية الأولى) زادت الهجرة مما كان يسمى بسوريا الكبرى بسبب عوامل غاية في التنوع: منها عدم الأمان السياسي والاقتصادي، والمشاكل الزراعية، وزيادة الكثافة السكانية، واضمحلال الامبراطورية العثمانية، واغراء التقدم الاقتصادي في العالم الجديد. وقد كان أغلب المهاجرين في ذلك الوقت من النصارى العرب، غير أن عددا من المسلمين قد وفد أيضا "كانوا يأملون تحقيق أكبر دخول ممكنة ثم العودة إلى ديارهم"[16]. والرواية التي تتردد كثيرا تقول إن طائفة صغيرة من المسلمين استقرت في "روس" Ross و"شمال داكوتا" حوالي عام١٩٠٠ وعانت من الصعوبات التي واجهها المسلم حين عاش في بيئة غير إسلامية. القصة تبدو مألوفة جدا على أسماع اليهود.

فقبل أن يتم بناء أول مسجد عام ١٩٢٠ كانت الصلاة والشعائر تؤدى في المنازل الخاصة بإمامة أحسن الموجودين علما. ونظرا لعدم وجود مسجد لمدة تقرب من ثلاثين عاما، ولعدم وجود دعم ثقافي من القادمين الجدد، فقد المسلمون بسرعة استخدام اللغة العربية، وتسموا بأسماء نصرانية وتزوجوا من غير المسلمات. وتقلصت الجماعة بهروب الأبناء وهُجر المسجد حوالي عام١٩٤٨[17] .

أكثر المراكز الاسلامية ظهورا في وقت مبكر كانت في "متشيجان" وخاصة في مناطق "دترويت" و "ديربورن" حيث أن عديداً من العرب اشتغلوا بمصانع فورد. واستقرت طوائف مسلمة أخرى في "إيست كوست" و "ميدويست" حيث اشتغلوا بالمراكز الصناعية هناك. ولكن نظرا للقيود التي فرضت على الهجرة وذوبان المهاجرين، ظل عدد المسلمين في أمريكا صغيرا "اكثر قليلا من ١٠٠ألف" حتى ما يقرب من عام١٩٦٠. ومنذ ذلك الحين اخذ التعداد الإسلامي في الازدياد

بسرعة بسبب زيادة نسبة المهاجرين (١٤٪ من جملة المهاجرين الى الولايات المتحدة الآن مسلمون) ولاعتناق الاسلام بالآلاف وبخاصة من السود. وهناك طوائف اسلامية بارزة موجودة بنيويورك ولوس انجلوس وشيكاغو وديترويت وتوليدو - اوهايو. وتشير دراسة حديثة إلى وجود ٥٩٨ مسجدا ومركزا إسلامياً تعمل بالولايات المتحدة، وتقدر هذه الدراسة عدد المسلمين الامريكان "بما يقرب من حدود مليونين إلى ثلاثة ملايين" كتقدير متحفظ[18]. ويختتم واضعو هذه الدراسة بالخلاصة التالية: "نظرا لارتفاع معدلات المواليد، وتزايد عدد معتنقى الاسلام الجدد، واستمرار تدفق المهاجرين، فإنه من المحتمل ان نتنبأ أنه مع بداية العقد الأول من القرن الواحد والعشرين سيكون الإسلام ثانى أكبر الأديان بالولايات المتحدة"[19].

وتقف الطائفة الإسلامية كطليعة لهؤلاء الذين يسعون لتحطيم النموذج اليهودى المسيحى، والنموذج البروتستانتى الكاثوليكى اليهودى فى الحياة الدينية الأمريكية. ومن المفهوم تماما أن زعماء المسلمين يشعرون أن هذين النموذجين يستبعدان الطوائف الأخرى، وهم يلمحون إلى أن المسلمين لا يستطيعون أن يشاركوا فى المجتمع الأمريكى على قدم المساواة مع غيرهم. يقول "سلام المراياتى" - المتحدث الرسمى للجنة العمل السياسى المسلم - "اننا نود أن يبدأ الشعب فيفكر فى أن المجتمع الامريكى هو مجتمع يهودى مسيحى مسلم". وقال مسلم أخر للباحثين إنه يتطلع إلى اليوم "حين يقول الجميع "كاثوليك وبروتستانت ويهود ومسلمون"[20] وبينما هذا التغيير لن يلبى القدر الكافى لرغبات هؤلاء المسلمين الذين هدفهم الأخير هو ايجاد ولاية اسلامية فى أمريكا، فضلا عن أن هذا التغيير بالتأكيد لن يحقق مطالب هؤلاء الذين لا يدينون لا باليهودية المسيحية ولا بالاسلام. فإن ذلك يؤيد تحليلنا السابق، من أن الهوية الدينية الامريكية فى تغير دائم، وبالتالى فإن الطريقة التى يفهم بها اليهود أبعاد الحياة الدينية الامريكية يجب أيضا أن تتغير.

ما هى إذن متطلبات هذه التغيرات بالنسبة لليهود الامريكان وبالنسبة للهوية اليهودية الامريكية؟ نظرا لما سبق أن رأيناه من نتائج ضئيلة للجهود التى بذلت مبكراً للتنبؤ بمستقبل الشعب اليهودى الامريكانى، فارجو ان تسامحونى اذا قررت ــ وانا أقلد النبى Amos ـ اننى لست نبيا ولا تلميذ نبى ولذلك اتوقف عن التنبؤ. إلا انه نظرا لرغبتى فى لفت الانظار على الاقل إلى منهج متطلبات تحليلى، فاننى اقدم عشرة تغييرات محتملة يمكن ان نراها فى السنوات القادمة، على أن يؤخذ فى الاعتبار تحذيرى السابق بشأن النبوءات ذات النفى الذاتى self-negating prophecies . وبعض هذه التغيرات تتعلق على اوسع نطاق بالعالم الجديد لوضع الديانة الامريكية الذى ينبغى على اليهود مواجهته. والبعض الآخر فى نطاق اضيق يتعامل مع نمو الإسلام وعواقبه المحتملة:

١. الثالوث القديم والمألوف بين البروتستانت والكاثوليك واليهود سوف يفسح فى المستقبل الطريق أمام دائرة دينية اكثر اتساعاً. فعلى اقل تقدير سوف يتعين علينا ادخال المسلمين كأعضاء فى الجماعة الدينية. بل والأكثر احتمالاً انه سوف يتحتم علينا توسيع الدائرة لكى تضم كل طابور الطوائف الدينية الامريكية، سواء الديانات الشرقية أم الغربية.

٢. ان الصورة الحالية للديانة الامريكية سوف يتحتم أن تتغير لكى تنسجم ـ اكثر مما هى عليه الآن ـ مع الحقائق الاحصائية. وبناء عليه يمكن أن يجد اليهود انفسهم موضوعين على قدم المساواة لا مع البروتستانت والكاثوليك، ولكن بسخرية مع المسلمين باعتبار ان كليهما يمثل أكبر الديانتين العالميتين [١] ويضمان اقل من

[١] الديانة اليهودية ديانة سماوية فى أصلها إلا أنها ليست ديانة عالمية لا منهجا ولا انتشارا. بل الطابع العنصرى فيها أصيل. ففى قانونها الأخلاقى يوجد الحاجز العالى والقائم بين الاسرائيلى وغير الاسرائيلى. فاى خير يسديه الاسرائيلى اذا لم يكن مقتصرا على شعبه فانه لا ينبغى ان يتعدى وطنه ولا يشمل الغريب المقيم معه .. كالقرض بربا (تثنية ٢٣: ٢٠) ومطالبة الاجنبى بالحق (تثنية ١٥: ٣) وعدم استعباد اخيه (لاويين٢٥:

٣٪ من تعداد الشعب الامريكي. وهناك اشارة خفية لما هو مخبأ للمستقبل موجودة فعلا "بدائرة معارف الديانات الامريكية" (١٩٧٨) تأليف "ج. جوردون ملتون". إذ تدعى دائرة المعارف أنها تستكشف "المدى الرحب للديانات الامريكية وتقوم بوصف ١٢٠٠كنيسة". كما تقسم الديانات الامريكية إلى ١٧ "ديانة عشيرة"، منها عشر ديانات فقط تتبع أساساً العقائد والشرائع النصرانية. اما ديانة اليهود فانها لم تصنف على انها ديانة عشيرة فى هذا التقسيم، وانما تضم اليهود إلى المسلمين والهنود والبوذيين تحت مسمى "العشيرة الشرقية والشرق أوسطية". ويفسر "ج. جوردون ملتون" ذلك قائلا "ان ضم اليهود والهنود والبوذيين والمسلمين فى عشيرة واحدة يرجع اساساً إلى الخصائص المشتركة والمتفردة بسبب اقامتهم بامريكا دون نفى ما بينهم من اختلافات جوهرية"[21].

٣. وحيث انه من المنتظر للديانة اليهودية الخروج من فكرة "قدرة الانصهار الثلاثية" للديانة الامريكية، وهبوط منزلتها الذى لا مفر منه فى نسيج الديانة الامريكية، فإن على اليهود فى العقود القليلة القادمة أن يثبتوا أمام التجربة التى سيضطرهم التيار البروتستانتى السائد إلى خوضها قريبا فى هذا القرن: ألا وهى تجربة فقدان المنزلة والشعور بالحرمان. واعتقد ان رفعة المنزلة التى حققها اليهود عندما نجحت صورة "القدرة الثلاثية" سوف تنقلب إلى العكس جزئيا إن لم يكن كليا. ونتيجة لذلك سوف يكون على الطائفة اليهودية ان تتعلم كيف تتعايش مع صورة عن نفسها مختلفة جذريا عما كانت، وهى صورة لن تكون جذابة على اية حال.

٤. ونتيجة لكل ماسبق، سوف يقل كثيراً عن الآن ما يتمتع به اليهود الامريكان من الاعتبار فى المنزلة ومن جانب الاعلام. وبينما كان اليهود خلال عدة سنوات مضت يستفيدون من نصيب غير متكافئ فى الاعتبار الدينى الذى كان تقريبا

---

٣٩) وعدم التسلط عليه (لاويين ٢٥: ٤٣-٤٥)... الخ (د. محمد عبد الله دراز مدخل إلى القرآن الكريم) (المترجم).

على نفس مستوى البروتستانت والكاثوليك ـ فسوف يكون عليهم ان يكيفوا توقعاتهم بالنزول إلى مستوى اكثر واقعية ينسجم مع حجم الطائفة اليهودية الحالى ودلالة ذلك.

٥. وقد يتعرض كذلك النفوذ السياسى لليهود إلى الهبوط فى السنوات القادمة. إذ أن رجال السياسة سيصبحون على بينة بالتغيرات التى تطرأ على الوضع الدينى بأمريكا، وقد يشعر كثير منهم انهم غير ميالين للانصات حين يتحدث يهود اللوبى. ولا شك ان النفوذ السياسى فى امريكا يتجاوز اهمية الارقام، إذ ان التنظيم والذكاء والخبرة والمشاركة والمال أيضا لها نصيب كبير. ولكن نظرا لضرورة تعويض ضغط العناصر النشطة فى معاداتها لمصالح اليهود فمما لا شك فيه أن معلومة ان اليهود الامريكان هم اقل أهمية مما هو معتاد فى النظر اليهم، سوف يكون لها اثر الصدمة عليهم. مما سوف يحتم على اليهود فى الاعوام القادمة العمل بقوة اكبر لتحقيق اهدافهم وأنهم لن يتمكنوا من تحقيق قوتهم بسهولة.

٦. وقد يقع على اسرائيل الجانب الاكبر من المعاناة من جراء هذه التغيرات. إذ ان انحدار منزلة اليهود الامريكان ، مقترنا بصعود الاسلام بأمريكا وبنمو الرشد السياسى لطائفة المسلمين الامريكان، سوف يجعل من الصعب فى الاعوام القادمة الظفر بموافقة الكنجرس الأمريكى على منح اسرائيل المساعدات الضخمة. وبالفعل تتبع "لجنة العمل السياسى المسلم" سياسات مؤيدة للفلسطينيين. كما تعلّم المسلمون الامريكان من كثرة مراقبة كيفية عمل يهود اللوبى السياسى ولذلك فهم يعتزمون مضاعفة نشاطاتهم السياسية فى الانتخابات القادمة ويأملون انتخاب عضو مسلم بالكنجرس الامريكى بقدوم عام١٩٩٢[22].

٧. ومن المحتمل خلال العقود القليلة المقبلة على الأقل، أن نرى عودة اللهجة الطنانة لنزعة التدين الظافرة triumphalism ، فتظهر العقائد الجديدة على المسرح الامريكى وقد انتفخت بكثرة عدد معتنقيها الجدد الذين يخدعون انفسهم

حين يتصورون أن عقيدتهم هى العقيدة الحق ـ عقيدة المستقبل ـ التى سوف تحمل الحقيقة العلوية إلى الامريكان جميعا، وتجمعهم فى ظل الكنيسة (أو المسجد) الواحدة. ومما لا يمكن تلافيه تقريبا ان هذه الأمانى تثير الحماسة الدينية وتحفز المخلصين على الاشتراك فى ما يشبه الحروب الصليبية الدينية التى تتصادم مع الجهود التحررية التي تجاهد من أجل خلق الانسجام الدينى. بينما الكاثوليك واليهود والتيار البروتستانتى السائد يعرفون عن تجربة أن هذه الأمانى إن عاجلا أو آجلا مصيرها إلى خيبة الأمل. إذ ان الديانة الواحدة المتفردة monism لا تتفق مع الأسلوب الأمريكى. وهذا هو الدرس الذى ينبغى على كل طائفة دينية أن تعيه من جديد.

٨. وحتى ذلك الحين، وإلى أن تُستوعب دروس أخرى، سوف يظل الحوار بين العقائد المختلفة محفوفا بالصعوبات المتزايدة. وفى الماضى، أرسى زعماء اليهود والبروتستانت والكاثوليك بعض قواعد آداب المجتمع أتاحت لهم العمل المشترك المتبادل. لقد تعلموا جميعا ما سماه "جون موراى كوديهى" John Murray Cuddihy "ديانة الكياسة"[23]. غير ان العقائد التى سبق فى الماضى ان استبعدت من التيار الدينى السائد لا تؤيد بالضرورة قواعد الآداب هذه، ويمكنها فى بعض الحالات ان تهون من شأنها صراحة. والشاهد على ذلك النزعة البلاغية المفرطة لبعض الوعاظ المتزمتين أو لزعماء السود المسلمين مثل "لويس فرّاخان". ومالم يأت أو إلى أن يأتى جيل جديد من الزعماء الدينيين من نطاق عقيدة اكثر رحابة لهم القدرة على الدخول فى دقائق الحوار الدينى، فسوف يكون من الصعوبة بمكان إحراز أى تقدم. كما أن المناقشة سوف تثبت ما اذا كانت عاجزة عن ان يكون لها معنى أو هدف، أو انها سوف تتسم بالقسوة إلى درجة العجز عن تحقيق النفع والمصلحة.

٩. وعلى الجانب المشرق الآخر، فإن بزوغ الاسلام واتساع الثوابت فى نسيج الديانة الامريكية يمكن على المدى البعيد ان يوثق العلاقات بين المسلمين

واليهود. وبما أن النصارى واليهود والمسلمين يواجهون أنواعا من القضايا الدينية المتشابهة بشكل يثير الدهشة فى مجتمع لا يزال مسحوقاً، فإن لدى هذه الطوائف كافة الاسباب التى تجعلهم يتعلمون كيف يعملون معاً لدعم مصالحهم المشتركة. فضلا عن ان البيئة الامريكية المحايدة سوف تساعد على اتاحة مستوى من التعامل الدينى المشترك بين اليهود والمسلمين قد لايتصور حدوثه فى اى من البلاد العربية أو فى إسرائيل. ونظرا للاسباب التى سبق أن أوضحتها فإننى لا أتوقع حدوث حوارات جادة بين الاديان فى المستقبل القريب. غير أن تاريخ العلاقات الكاثوليكية اليهودية طوال القرن الماضى بامريكا يثبت احتمال حدوث التغيير. وبناء على ما يكتبه "روبرت ووثنوو" Robert Wuthnow عن Decline of Denominationalism "تقهقر التعصب الطائفى"[24] فى السنوات الحالية، فإن تحقق التحسن يمكن أن يحدث فى وقت اقرب مما نظن.

١٠.وأخيراً قد يدفع التغيير الذى يطرأ على عالم الديانة الامريكية ـ اليهود إلى إعادة التقييم الجذرى لبرامجهم وأهدافهم عن السنوات المقبلة. واذا فرض على اليهود مرة أخرى الوصف بأنهم أقلية دينية أو عقيدة منشقة، ففى امكانهم أن يلعبوا نفس الدور الذى لعبوه فى السنوات الماضية بأن يركزوا أولا وقبل كل شئ على مصالحهم الخاصة، ثم بعد ذلك على القضايا التى تهم الأقليات الدينية، وأخيرا فقط على البرامج الاجتماعية والسياسية الكبرى التى تشغل بال الاغلبية الدينية. ولقد لعبت الطائفة اليهودية عبر التاريخ دوراً هاماً جداً كزعيمة وناطقة بلسان الأقليات الدينية بأمريكا. كما عملت اكثر من غيرها على ارساء النظريات الشاملة للحياة الامريكية (قدرة الانصهار والتعددية الثقافية) والحرية الدينية للجميع. وفى رأيى أن اليهود كان لهم أثر أقل كثيراً كأعضاء ذوى أصوات ايجابية فى ظل الأغلبية الدينية، بالإضافة إلى تبديدهم موارد طائلة على قضايا ليس لديهم عنها جديد يقال. وبالعودة إلى اعادة تركيز الأولويات على قضايا جماعة الأقلية. وبخاصة القضية الامريكية القديمة المتعلقة بحقوق الاقلية ازاء

الأغلبية - فإن اليهود يستطيعون حاليا القيام بدور يفوق ما فعلوه بوصفهم اعضاء "بالمؤسسة" الدينية. كما أن عملية إعادة التركيز هذه سوف لا تقوى فقط من هوية الأقلية اليهودية، وانما سوف يكون لها ميزة إضافية هي تشجيع الابقاء على حياة جماعة هي بمثابة سلاح يقاوم التزاوج والاندماج المتبادلين.

وأختتم حديثي بالفكرة الأخيرة. فقد فعل اليهود في هذا البلد الخير الكثير إلى أبعد الحدود، سواء في الماضي عندما كان ينظر إليهم كأعضاء في أقلية دينية تشبه الاتراك والكفار. ويفعلون أكثر في الوقت الحاضر بعد أن أصبحوا جزءا من الأغلبية الدينية جنبا إلى جنب مع البروتستانت والكاثوليك داخل "قدرة الانصهار الثلاثية". ونظرا لأن هناك تغييراً جاريا حدوثه في الوقت الحالي، فإن ذلك يقتضي يقظة تامة ولا يتطلب اى انزعاج بالضرورة. ولقد رأينا في الحقيقة كيف أن بعض متطلبات هذا التغيير يمكن أن تتحول وتكون ايجابية. غير أنه من الخطأ تصور أن اليهود مستهدفون عبر التاريخ، تتقاذفهم قوى خارجة تماما عن ارادتهم. وبينما قد لا يكون في مقدور اليهود عمل شئ إزاء إعادة تنظيم الحياة الدينية الامريكية، أو إزاء نمو الاسلام بأمريكا، فإن طريقة مواجهة هذه التحديات يمكن أن تختلف اختلافا كبيراً. لقد عاش اليهود الامريكان بعد التحديات القديمة رغم نبوءات التشاؤم، لأن قيادات اليهود كانت تواجهها بطريقة إبداعية وبالحكمة والفطنة والمرونة. ونأمل من قادتنا الحاليين أن يفعلوا مثلهم.

مراجع البحث:

(1) "جون آدمز" الى "م.م. نواه" (١٥مارس١٨١٩) اعيد طبعه في "موشى داليد" With Eyes Toward Zion (بعيون نحو صهيون) (نيويورك ارنو ١٩٧٧) ص١٩ و "م.روزبلات" The Jews: What Are They Coming to (اليهود: ما العمل الذى قدموا من اجله) جلاكسى١٣ (يناير١٨٧٢) ص٦٠ "توماس ب. مورجان" The Vanishing American Jews (اليهود الزائلون) لوك٢٨ (٥ مايو ١٩٦٤) ص٤٢-٤٦. "روفن ب. بولكا" في The coming cataclysm (الطوفان القادم) (أواكفيل - انتاريو مطبعة موزاييك ١٩٨٤)ص١٤. انظر ايضاً

Stephen J. Whitfield فى American space, Jewish Time (همدن. كونكتكت. اركون بوك١٩٨٨) ص١٧١-١٩١.

(2) "روبرت ووثنو" The Restructuring of American Religion: society and Faith since world war II (اعادة تنظيم الديانة بأمريكا - مجتمعا وعقيدة منذ الحرب العالمية الثانية) (برينستون . مطبعة جامعة برينستون ١٩٨٨).

(3) "جوزيف ستورى" Commentaries on the Constitution of the United states (تعليقات على دستور الولايات المتحدة (بوسطن١٨٣٣) اعادة طباعتها بمعرفة "جون ف. ولسون" و "دونالد ل. دراكمان" فى Church and state in American History (الكنيسة والدولة فى تاريخ امريكا) (بوسطن ١٩٨٧) ص٩٢-٩٣.

(4) "روبرت ت. هاندى" A-christian America: Protestant Hopes and Historical Realities (أمريكا نصرانية: آمال البروتستانت وحقائق التاريخ) (نيويورك - اكسفورد ١٩٧١) ص١١٨.

(5) "مورتون بوردن" Jews, Turks and Infidels (اليهود والاتراك والكفار) (شابل هل - مطبعة جامعة نورث كارولينا ١٩٨٤)ص٦٢-٧٤ . "تاعومى و.كوهين"Encounter with Emancipation: The German Jews in the United states 1830 - 1914 (فى مواجهة التحرر: اليهود الألمان بالولايات المتحدة من ١٨٣٠ حتى ١٩١٤) (فيلادلفيا - شركة النشر اليهودية ١٩٨٤) ص٩٨-١٠٠، ٢٥٤-٢٥٦.

(6) "جوناثان د. سرنا" American Jews and Church state Relations: the search for "Equal Footing" (اليهود الامريكان وعلاقات الدولة بالكنيسة: البحث عن "مكانة عادلة") (نيويورك: لجنة اليهود الأمريكان ١٩٨٩) وبخاصة ص٤-١٠.

(7) "مارك سيلك" Spiritual Politics: Religion and America since world war I (السياسات الروحية: الدين وامريكا منذ الحرب العالمية الأولى) (نيويورك سيمون وشوستر ١٩٨٨) ص٤٠-٥٣. ويورد "سيلك" عديداً من الشواهد الأخرى عن هذه الحقبة بالاضافة إلى التى ذكرناها هنا. انظر أيضا 'سيلك' فى Notes on the Judeo- christian tradition in America, American quarterly 36 (ربيع ١٩٨٤) ص٦٥-٨٥ وفى مقال قادم سيحاول 'بينى كروت' ان يبرهن على أن الفكرة اليهودية النصرانية هى الآن فى نمو فى سنوات ١٩٢٠ لجزء من حركة " goodwill" متعددة الاديان فى هذه الحقبة. انا شاكر للبروفسور 'كروت' لمشاركته لى فى هذه المادة قبل النشر.

(8) "سيدنى أ.أهلستروم" .A Religious History of the American People (تاريخ دينى للشعب الأمريكى) (نيوهافن - مطبعة جامعة بيل ١٩٧٢) ص٨ ـ ١٢ انظر أيضا "ر. لورانس مور" Religious Outsiders and the Making of Americans (الغرباء المتدينون وتكوين الامريكان) (نيويورك اكسفورد ١٩٨٦). وبتوسع "هنرى و.بوودن" فى (علم التاريخ فى الديانة الامريكية) "The Historiography of American Religion in Encyclopedia of the American Religious Experience بدائرة المعارف عن التجربة الدينية الأمريكية (الناشر "شارل هـ. لبى" و "بيتر و.وليم" (نيويورك اولاد شارل سكرايبنر ١٩٨٧) المجلد الأول ص٣-١٦.

(9) "افـيرت ر.كلنشى" "Better Understanding" فـى Universal Jewish Encyclopedia (1942) (تفاهم أفضل - بدائرة المعارف العالمية اليهودية) (١٩٤٢) المجلد الثانى ص٢٥٧. "لويس منسكى" National conference of christians and Jews (المؤتمر الوطنى للنصارى واليهود) نفس المرجع المجلد الثامن ص١١٤. "بنى كروت" Towards the Establishment of the National Conference of christians and jews: The tenuous Road to Religious Goodwill in the 1920s- American Jewish History 77, N°3 (march 1988) (نحو تأسيس المؤتمر الوطنى للنصارى واليهود: طريق غير محدد المعالم نحو رضاء دينى فى اعوام ١٩٢٠ ـ تاريخ اليهود الامريكان ٧٧ ـ رقم٣ (مارس١٩٨٨) ص٣٨٨-٤١٢. نفس المرجع, "A wary collaboration: jews, catholics and the protestant goodwill movement" (تعاون حذر: اليهود والكاثوليك وحركة الرضاء البروتستانتية) (قادمة). "اكس ج. جولدمان" "ألكزندر د. جود" Aleander D. Goode in "Giants of the faith: Great American Rabbis فى "عمالقة العقيدة : كبار حاخامات أمريكا" (نيويورك ١٩٦٤) ص٣١١-٣٢٩ انظر أيضاً "لانس ج. سوسمان" فى The Rise of the Interfaith (نحو تفاهم أفضل) Towards Better Understanding Movement in America and the Role of Rabbi Isaac Landman, American Jewish Archives 34 (April 1982) (ظهور حركة تعدد العقائد بأمريكا ودور الحاخام اسحق لندمان. ارشيف اليهود الامريكان).

(10) "ويل هربرج" Protestant - catholic- jew: An Essay in American Religious sociology (البروتستانت والكاثوليك واليهود - دراسة للاجتماع الامريكى الدينى" طبعة منقحة (نيويورك - كتب أنكر ١٩٦٠) وبخاصة ص٢٥٦-٢٥٧. "ديفيدج.دالين" (تأملات ويل هربرج) will Herberg in Retrospect تعليق ٨٦ (يوليو ١٩٨٨) ص ٣٨-٤٣.

(11) "مكسويل آبل" (الواجب الأساسى للمعبـد اليهـودى بأمريكـا) The Basic Task of the synagogue in America أعيد طبعه بمعرفة: "ملتون برجر" فى (طرق بقـاء اليهـود) Roads to Jewish survival (نيويورك بلوش ١٩٦٧) ص١٥٣. (طورش شتاء ١٩٥٥).

(12) "تشارل هـ. ستمبر" فى (اليهود فى ذاكـرة امريكـا) Jews in the mind of America (نيويورك بازيك بوك ١٩٦٦) ص٧٧.

(13) "سيلك" (السياسات الروحانية) ص٤٢ـ٤٤، ١٤٢ـ١٤٦، ١٨٠،

(14) "دالين" (تأملات وِيل هربرج) ص٤٢

(15) "ويد كـلارك روف" و "وليم مـاكينى" (الخـط الرئيسـى للديانـة الامريكيـة: شـكل ومسـتقبل تغييره) American Mainline Religion: its changing shape and future (نيوبرونسويك ن.ج ١٩٨٧) وبخاصة ص١٧ "سيلك" (السياسات الروحانية) ص١٨١ وعن رؤية شاملة للديانات غـير اليهوديـة وغـير النصرانيـة انظـر "ج.جـوردن ملتـون" (دائـرة المعـارف الامريكيـة الدينيـة) (ولمنجتون شركة ماجراث للنشر ١٩٧٨ـ١٩٨٥).

ينبغـى التـأكيد علـى أن هـذه "الاسـتثناءات " ليسـوا فـى اغلبهـم غـير دينيين معـترف بهـم. اذ ان الامريكان يعرّفون الدين بطرق لم يسبق استخدامها قبل ذلك. ومن أجل تصنيـف قيـم عـن حقـائق الفحص بخصوص Unsecular America (امريكـا غـير الدنيويـة) انظـر "رتشـارد ج. نيوهـوز طبعـــة Unsecular America (جرانـــد رابيـــدز. متشـــيجان اردمـــانز ١٩٨٦) وبخاصـــة ص١١٥ـ١٥٨.

(16) "انطونى ب. توث" فى (الطائفة السورية بنيوكاسل ومكونها العلوى الوحيد)

The syrian community in new castle and its unique Alawi component-western pennsylvania Historical Magazine 69 ١٩٠٠ـ١٩٤٠

(المجلة التاريخية لغرب بنسلفانيا) (يوليو١٩٨٦) ص٢٢١ـ٢٣٩.

"تيـول س. بـوث" (جونيـور) (الاسـلام فـى شـمال امريكـا) "Islam in north America" دائرة معـارف التجربـة الدينيـة Encyclopedia of the American Religious Experience الامريكية ـ طبعة "تشارل ج. ليبى وبيتر و. وليمامز" (نيويورك ـ اولاد شـارل سكرابيز ١٩٨٧) مجلد ٢ ص٧٢٥. عن مراجع أحدث، انظر جورج ديمترى سليم The Arabs in the United States: A selected list of References (العـرب بالولايـات المتحـدة : قائمـة مختـارة مـن المراجع) بيان كتب إدارات الشرق الاوسط بمكتبة الكنجرس (واشنطون١٩٨٣).

(17) "أليكسا نافـ" "العرب" بدائرة معارف هارفرد عن الجماعات العرقية بأمريكا

Harvard Encyclopedia of American Ethnic Groups

طبعة ستيفن ثيرنستروم (كامبرج ماساشوسيت، مطبعة جامعة هارفرد ١٩٨٠) ص١٣٢.

(18) "ايفون يزبك حداد" و "أدير ت. لوميس" (القيم الاسلامية بالولايات المتحدة) (نيويورك ـ اكسفورد ١٩٨٧) ص٣ـ (time) ٢٣ مايو ١٩٨٨ ص٤٩. انظر تقدير "كارول ستون" عدد المسلمين بـ ٤,٦٤٤,٠٠٠ . ونيويورك تايمز ٢١فبراير ١٩٨٩ ص١ تتحدث عن (٦ملايين مسلم بالولايات المتحدة).

(19) "حداد ولوميس" (القيم الاسلامية بالولايات المتحدة) ص٣ Time ٢٣مايو١٩٨٨ ص٤٩. فى نفس الموضوع "ينتظر أن يتجاوز عدد المسلمين بالولايات المتحدة عدد اليهود فى أقل من ثلاثين سنة. ويصبحون ثانى اكبر طائفة فى البلد بعد النصارى".

(20) Time ٢٣مايو١٩٨٨ ص٥٠. "حداد ولوميس" (القيم الاسلامية بالولايات المتحدة) ص١٦١.

(21) "ملتون" ـــ دائرة معارف الديانة الامريكية المجلد الأول ص VII ـــ XII مجلد٢ ص٣٠٧ـ٣٥٤ خطة تصنيف ملتون عن خصوصية البنية يمكن بالطبع نقدها بسهولة. فوصفه للديانة اليهودية الامريكية ملئ بالاخطاء الجسيمة. وتضمينه عيسى لليهود تحت عنوان Mainstream Judaism (تيار اليهودية السائد) هذا التضمين هجومى.

(22) "تايم" ٢٣ اغسطس ١٩٨٨ ص٥٠ . وكتب عالم الاجتماع العربى عبده أ.الخولى فى اعقاب حرب الايام الستة وهو يحلم ببرنامج اصولى اكثر شدة للعرب الامريكان. وأشار إلى أن "كثيراً من الحركات الوطنية الكبرى التى غيرت من مجرى احداث تاريخنا الحديث انطلقت من الخارج" "فهل يمكن أن يحدث أن مؤرخى المستقبل سوف يركزون على النخبة العربية بأمريكا ودورهم فى ثورة عربية كاسحة يمكن ان توحد الشرق الاوسط وأن تحرره من كلا الصهيونية العالمية والاحتلال العسكرى والفساد" . وانظر عبده أ.الخولى فى (العرب الامريكان: الوطنية والنزعة التراثية وحفظ التراث فى العرب الامريكان: دراسات فى التماثل طبعة) "إلين س. هاجوبيان وآن بادن" (ولميت جـ٣ مطبعة جامعة المدينة ١٩٦٩) ص١٧.

The Arab-American: Nationalism and Traditionalism and Traditional Preservations in the Arab Americans: studies in Assimilation.

(23) جون موارى كوديهى (بدون مهاجمة: الديانة المدنية والذوق البروتستانت (نيويورك سيبورى ١٩٧٨) No offense: Civil Religion and Protestant taste

(24) موثنو و(اعادة بناء الديانة الامريكية) ص٧١ـ٩٩

Restructuring of American Religion.

* * *

ابراهيم: أهو اليهودى الأول أم المسلم الأول[1]؟
نص وتراث و "حقيقة" فى الحوار بين الأديان

بقلم "روفن فايرستون"

لقد أصبح الوضوح متزايدا فى هذه البلاد منذ العقد الأخير أن التراث الدينى الاسلامى وحضارة الإسلام ينبغى التعامل معها بجدية أكثر[2]. ويرجع تأثر حركة الفكر الامريكى البطيئة - وان كانت ملفتة للنظر - إلى عاملين على جانب من الأهمية هما: الوعى المتزايد بأن عدم الاستقرار فى الشرق الأوسط سوف يؤثر سلبيا على خير بلادنا، بالإضافة إلى تزايد عدد طائفة المسلمين وظهورها فى الولايات المتحدة .. ولقد زاد فضول الأمريكان عن الإسلام بسبب توقف أعداد كبيرة منهم بالجزيرة العربية خلال حرب الخليج عام ١٩٩١ وتدخل القوات بين البلدان العربية والغرب. وكان من نتائج هذه التطورات شئ واحد هو زيادة الحرص من مجموعات الحوار على وجود مسلمين للمشاركة فى الحوار.

وسوف نتعرض فى هذه الدراسة لبحث معالم القصص اليهودية والاسلامية حول سيرة ابراهيم (عليه السلام)، مما سوف يلقى الضوء على نقاط الخلاف المشتركة، مع تطبيق وسائل التقريب المستخدمة فى مقارنة الأديان على الحوار بين الأديان المتعددة[3].

إن عقد أية مقارنة بين أديان التوحيد الثلاثة الكبرى يكشف عن وجود أوجه كثيرة للتطابق والتماثل، كما يوضح فى نفس الوقت كثيراً من نقاط الاختلاف والتعارض. فمثلا تطالب جميع الأديان الثلاثة فى جوهرها بعبادة الإله الواحد. كما أن كلا منها تستمد سلطتها الدينية من النصوص المقدسة ومن تفسيرات هذه النصوص، فضلا عن أنها أيضا تعتز بمعتقدات تراثية مشتركة وشخصيات تاريخية مشتركة. وتؤكد أية دراسة متأنية للموضوعات المشتركة وجود عدد كبير من التشابه الصارخ فى النصوص والعقيدة والتشريع. غير أن الدراسة تكشف أيضا أن

كثيرا - إن لم يكن أغلب - الموضوعات التراثية المتطابقة فى ظاهرها هى فى حقيقتها فى تعارض خطير . وقد يكون موضوع شخصية إبراهيم (عليه السلام) هو الموضوع الأساسى والأكثر تعبيراً عن ذلك برغم أنه الشخصية التى كثيرا ما نشير إليها باعتباره الجد المشترك لأديان التوحيد الثلاثة الكبرى. وبينما هى حقيقة لا ريب فيها أنه فى الواقع هو فى نظر هذه الاديان الجد الأعلى والنموذج الأمثل، إلا أن كل ديانة تميل إلى رؤية ابراهيم من زاوية مختلفة حتى إن الشخص ليضطر أن يتساءل فى كثير من الأحيان عما إذا كانت هذه الأديان تتحدث عن نفس الشخصية.

إبراهيم فى القرآن

طبقا لما جاء *بالكتاب المقدس* يكون إبراهيم قد ترك أور الكلدانيين مع أبيه تارح، ثم رحل إلى حاران حيث توفى أبوه. ومن حاران رحل ابراهيم برفقة زوجته سارة وابن أخيه لوط إلى أرض شعب كنعان تلبية لأمر الله، وإلى جانب إقامة قصيرة له بمصر، تصف الكتب المقدسة حياة ابراهيم بعد ذلك بالحياة البدوية فى جوار الأرض التى وعدها الله له ولذريته، والتى عرفت فيما بعد بأرض بنى اسرائيل[4]. وبينما كان ابراهيم بمصر وُهبت هاجر كجارية لسارة[5] زوجة ابراهيم، وذلك طبقا لما جاء بالتراث اليهودى وإن لم يرد ذلك صراحة بنصوص التوراة[١] .

تعرض ابراهيم وسارة إلى عدة مغامرات أو تجارب مثيرة إلا أنهما ظلا بلا ذرية. وحين أصبح واضحا تماما أن سارة - طبقا لسفر التكوين ١٦ - قد تجاوزت سن الانجاب، منحت جاريتها المصرية لابراهيم لكى يتمكن من أن ينجب لنفسه منها وريثا. وما أن حملت هاجر حتى وقع نزاع رهيب بين المرأتين. وقامت سارة - ذات المكانة الاجتماعية العليا - بمعاملة هاجر بقسوة حتى اضطرت هاجر إلى الهروب منها إلى الصحراء، حيث قابلها ملاك الرب الذى أمرها بالعودة إلى

---

[١] حسن أن يقول الكاتب أن هذا الذى ذكره من تراث اليهود، معظمه لم يرد فى نصوص التوراة.

سارة، وأعطى هاجر نوعا من النبوءة المبهمة بشأن ابنها القادم إسماعيل ـ الذى سيكون إنساناً وحشياً[1][2] واستقلالياً كما سيكون هذا شأن ذريته التى لاتحصى عدداً والتى ستنال معه البركة. فعادت هاجر وولد اسماعيل.

وفي الباب ١٧ تأكد من جديد العهد بين ابراهيم وبين الله بعملية الختان. وتم ختان إسماعيل مع جميع ذكور أهل بيت إبراهيم. ووعد الرب إبراهيم بولد من سارة، وأخبره أن العهد سوف يتحقق فقط من خلال ابن سارة اسحق وليس من خلال اسماعيل[3] . ومع ذلك اكد الله لابراهيم أن اسماعيل سيكون أبا لأمة كبيرة يولد منها ١٢ أميراً[4] .

---

[1] إن النص القرآنى الذى هو منزل من عند الله ـ وليس من أقاويل المؤرخين يقول ﴿رب هب لى من الصالحين. فبشرناه بغلام حليم﴾ ثم قال بعد ذلك ﴿وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين ﴾ (الصافات ١٠٠ـ١٠١،١١٢) وقال ﴿واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا، وكان يأمر اهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا ﴾ (مريم ٥٤ـ٥٥).

[2] عبارة التوراة العبرانية هكذا "وهى بهى فرء آدم" ومعناها "انه يكون انسانا قويا" (التناقض فى تواريخ واحداث التوراة ـ محمد قاسم محمد ـ جامعة قطر) (المترجم).

[3] كيف يكون العهد منقطعا عن اسماعيل؟ وقد جاء بكتاب أشعيا الباب٤٢ ان الدين الجديد فى بيوت قيدار بن اسماعيل. وفى اشعيا ص٦٠: ١ـ٧ "كل غنم قيدار تجتمع اليك. كباش نايوت تخدمك ـ تصعد اليك مذبوحة على مذبحى" وقيدار ونايوت هما ابنا اسماعيل. وفى سفر الاستثناء الباب٣٦ "جاء الرب من سيناء، واشرق من ساعير واستعلن من جبل فاران". واستعلانه من فاران كناية عن انزاله القرآن لأن فاران جبل من جبال مكة. وحسب التوراة "سكن اسماعيل فى برية فاران" (المترجم)

[4] كيف يفترى على الله أنه جعل العهد فى اسحاق وذريته وليس فى ولد هاجر اسماعيل. والله تعالى هو الذى اوحى إلى ابراهيم ان يذهب إلى مكة ويقيم البيت اذ يقول ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بى شيئا. وطهر بيتى للطائفين والقائمين ... ﴾ (الحج٢٦). ويتحدث عن ابراهيم واسماعيل انهما معاً اشتركا فى رفع قواعد البيت الذى كان أول بيت وضع للناس ليعبدوا ربهم إذ يقول ﴿وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ... ﴾ (البقرة ١٢٧) بل ان الله يخبر بصريح العبارة انه أعطى العهد لابراهيم واسماعيل إذ يقول ﴿وعهدنا إلى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود ﴾ (البقرة ١٢٥).

وعندما تتركز القصة على ميلاد اسحق بالباب٢١، نعلم أن ابراهيم وابن سارة تم ختانهما، إلا أنه أثناء حفل الفطام الذى يقام بعد عام أو[1] ما يقرب من العام كان النزاع لا يزال محتدما بين سارة وهاجر وانفجر كالحريق الهائل. وأصرت سارة على نفى هاجر[2] وابنها من شمل العائلة. وحزن لذلك ابراهيم حزنا شديداً. غير أن الله أمره ان يحقق رغبة سارة. وبناء عليه صعد ابراهيم مبكرا يوم رحيلهما لكى يزودهما بالمؤن التى سوف يستهلكانها أثناء السفر بالصحراء.

ووضعت هاجر اسماعيل تحت شجرة، ومشيت بعيدا جدا حتى لا تسمع صراخ ابنها وهو يموت عطشا لأنها لن تتحمل الألم. ثم جلست وأخذت تبكى بمرارة. فسمع الرب صوت اسماعيل وأرسل الملك الذى أكد الوعد الإلهى بأن اسماعيل سيكون أمة عظيمة. وأمدهم الله بعين ماء خارقة واستمر فى امداد الطفل وهو ينمو ويكبر فى صحراء فاران الموحشة.

هذه هى نهاية خلاصة قصة اسماعيل فى الكتاب المقدس. ونجد تعليقا قصيرا بسفر التكوين ٢٥: ٩ اذ بعد وفاة ابراهيم قام اسماعيل واسحق مجتمعين بدفن أبيهما: وذكرت هنا أيضا أسماء أولاد اسماعيل الاثنى عشر بالاضافة إلى ذكر أن اسماعيل عاش حتى بلغ من العمر ١٣٧عاماً. وهناك اشارات قليلة مبعثرة عن

---

[1] حادثة رحيل هاجر واسماعيل مع ابراهيم عليهم السلام وقعت قبل ميلاد اسحاق. وكان اسماعيل طفلا رضيعا حملته امه على كتفها كما جاء بسفر التكوين ٢١: ١٥ اذ كان عمر ابراهيم عليه السلام عند ميلاد اسماعيل ٨٦عاماً (التكوين ١٦: ١٦) وعند ميلاد اسحاق ١٠٠عاماً (التكوين٢١: ٥) وبالتالى كان عمر اسماعيل وقت ميلاد اسحاق ١٤عاماً. ولكن سفر التكوين ٢١: ١٤-١٩ يقول ان رحيل اسماعيل كان بعد فطام اسحاق اى كما يقول المفسرون فى الثالثة أى أن عمر اسماعيل كان ١٧عاماً. فكيف يمكن ان تضعه امه على كتفها (التكوين ٢١: ١٥)؟ وكيف تضعه تحت الشجرة (التكوين ٢١: ١٥)؟ وكيف تبحث له عن الماء وتخشى عليه الموت عطشا؟ (كتاب محمد فى الكتاب المقدس بالانجليزية د.جمال بدوى ص٣٧) (المترجم).

[2] وهذا افتراء أخر على الله. فاسماعيل وامه لم ينفيا إلى مكة. وإنما ذهب بهما ابراهيم لبناء البيت كما اشارت الآيتان السابقتان.

أن شعبا من أهل الصحراء عرفوا باسم Yishma'elim (الاسماعيليون) ظلوا يعيشون بالأراضى[6] المتاخمة. ولكن لاشئ بعد ذلك يمكن أن نجده بالكتاب المقدس عن اسماعيل. لقد اختفى بعد استبعاده من التاريخ المقدس الخاص بعهد الله لبنى اسرائيل.

إلا أنه طبقا لوحى القرآن فان علاقة ابراهيم باسماعيل لم تنته بنفى هاجر وإسماعيل. إذ أن ابراهيم بنفسه قد اسكن بعض ذريته بموقع مدينة مكة المقدسة. وبنى هو واسماعيل بيت الله (الكعبة) هناك وطهراه للعبادة. وتم تفويض ابراهيم بأن يؤذن فى البشرية جميعا بالحج وبأدائه بالبيت الحرام وحول مكة[7].

ولما كان القرآن غير منظم بحسب تواريخ الأحداث كما هو شأن معظم الكتاب المقدس، فإن الاشارات إلى إبراهيم وإسماعيل مبعثرة خلال ٢٤ سورة ذات صياغات متنوعة. فالقرآن يذكر فى سورة إبراهيم ـ٣٧ أن ابراهيم قد أحضر بعضا من ذريته لكى يعيشوا فى واد غير ذى زرع مجاور لبيت الله الحرام ليقيموا الصلاة بانتظام. وموقع هذا المكان المقدس ليس محدداً فى هذه الاشارة. غير أن سورة (آل عمران ـ٩٦) تذكر أن أول بيت للعبادة وضع لبنى البشر كان ببكة المباركة وهو اسم مرادف كما يقول المفسرون ـ لمدينة مكة المقدسة (كما تكتب وتنطق بالعربية)[8]. ويواصل القرآن فى الآية الآتية القول إن "مقام إبراهيم" الشهير يقع هناك. وبالفعل يوجد اليوم مقام ابراهيم فى الرقعة الفسيحة المقدسة التى تقع فيها الكعبة، مركز الشعائر الاسلامى الذى لا تنتهك حرمته. ويذكر القرآن أيضا أن هذا هو المكان الذى تؤدى فيه فريضة الحج. والواقع أن القرآن يخبرنا فى سورة البقرة ١٢٤ـ١٢٩ كيف قام إبراهيم وإسماعيل بإرساء أسس الكعبة وطهراها للحج وللعبادة.

ومع ذلك فالقرآن لا يشرح كيف حضر إبراهيم إلى مكة. إذ الأحرى الافتراض بأن المخاطبين يعلمون الاجابة. والحقيقة أن مفسرى السنة الاسلامية يلجئون إلى الروايات القديمة التى تحكى رحلة إبراهيم من الأرض المقدسة بالقرب من أورشليم إلى الأرض المقدسة بمكة وضواحيها[9]. والرواية التالية يمكن العثور

عليها فى أصح التفاسير القرآنية. إذ أنها تروى بصفة عامة منسوبة إلى احد اكبر مفسرى القرآن المحدثين وأحد صحابة الرسول وهو عبد الله بن عباس[١] .[10]

ورغم أنه لا يوجد أى نص فى التوراة، ولا أية إشارة مباشرة عنها، فإن القصة مألوفة لدى الذين لديهم إلمام بنزاع سارة وهاجر كما يصوره سفر التكوين ٢١،١٦ . وبما يتفق مع سفر التكوين٢١: ١٤، تصور الروايات الاسلامية ابراهيم وهو يزود هاجر بالمؤن من أجل السفر. إلا أنه بخلاف ما جاء بالكتاب المقدس، تذكر المراجع الاسلامية أن إبراهيم صاحب هاجر واسماعيل لكى يوصلهما بنفسه إلى الموقع الصحراوى لمدينة مكة المستقبلة المباركة[11]. وأن ابراهيم تركهما بالقرب من شجرة خفيضة أقرب إلى مكان الكعبة، مما يذكّر بترك هاجر لاسماعيل "تحت إحدى الأشجار" كما جاء بسفر التكوين ٢١: ١٥. وعندئذ انطلق ابراهيم فى رحلة طويلة عائدا إلى أورشليم غير أن هاجر تبعته وسألته إلى من يتركهما فى مثل هذا المكان المهجور. وبعد سكوت طويل أجابها "لله" وقبل أن يستأنف رحلة العودة أخذ يدعو بالدعاء الذى ذكر بالقرآن بسورة إبراهيم ـ٣٧ ﴿ ربنا إنى أسكنت من ذريتى بوادٍ غير ذى زرع عند بيتك المحرم. ربنا ليقيموا الصلاة ﴾.

لم يكن اسماعيل سوى طفل فى ذلك الوقت. ولما نفد الماء من قربة هاجر، جف جسمها وتوقف لبنها عن تغذية ابنها. وحين أصبح عطش اسماعيل فوق احتماله أخذ يتلوى من آلام الاحتضار. ولم يكن فى قدرة هاجر أن تطيق رويته يموت، فتركته تحت الشجرة (انظر سفر التكوين ٢١: ١٦)، وتسلقت تلاً بالقرب منها بحثا عن أية مساعدة. ولما لم تجد أحداً، أسرعت فوق التل المقابل فى الناحية

---

[١] مثل هذه الروايات نأخذها طبقا للقاعدة الاسلامية التى تقول :ما جاءكم عن أهل الكتاب مما كان موافقا لما جاءنا أخذناه (تطبيقا للحديث الصحيح "وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج") وما كان مخالفا رفضناه. وما كان غير ذلك توقفنا فيه، فلا نقبله ولا نكذبه. طبقا للحديث النبوى عن ابن مسعود رضى الله عنه فى حديث رواه ونقله الطبرى فى تفسيره، ورواه ابن كثير عند تفسيره قوله تعالى ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن ﴾ إذ يقول ﴿ إما يُكذّبوا بحق أو يُصدّقوا بباطل ﴾.

الأخرى، وألقت بنظرة هناك أيضا إلا أنها لم تر شيئا. ثم أخذت تعدو بلا أمل بين التلين سبع مرات. وحين فقدت الأمل تماماً ـ سمعت صوتا .. فعادت مسرعة إلى ابنها فرأته فى صحبة ملك ـ تذكر النصوص أن اسمه جبريل ـ الذى أحضر لهما ماء غزيراً من الأرض، فسكبته هاجر فى قربتها فوراً وانقذت بذلك حياة طفلها (سفر التكوين ١٦: ٧، ٢١: ١٧ـ٢٠) وأخبر الملك هاجر أن الولد وأباه سوف يبنيان يوما بيت الله فى هذه البقعة.

وطبقا للإسلام فإن هذه القصة توضح الأصل المقدس لهذه البئر المقدسة. وهى البئر الموجودة فى البقعة المقدسة بمكة والتى يرتوى منها الحجيج حتى اليوم عندما يؤدون الحج بمكة. والتلان اللذان جرت هاجر بينهما طلباً للنجدة، هما التلان المقدسان الصفا والمروة واللذان يجرى بينهما كل مسلم منتسكاً ومقلداً عدو هاجر بينهما سبع مرات وذلك حتى يومنا هذا.

ومع ذلك فالقصة لم تنته بعد. إذ بعد أن استقرت هاجر واسماعيل بمكة، مرت مصادفة جماعات من العرب من قبيلة جرهم، ولاحظوا مظاهر الحياة فى الوادى الذى كان يظن أنه جاف وقاحل. فأرسلوا من يستكشف لهم الأمر. فوجد هاجر واسماعيل إلى جوار هذه البئر العجيبة. ولما شاهدوا غزارة هذا النبع المبارك، طلب زعماء القبيلة الإذن من هاجر للاقامة معها هناك. فأذنت لهم هاجر وأحضرت قبيلة جرهم أهلها إلى مكة، واستوطنوا فى هذه البقعة المقدسة.

ولما شب اسماعيل تعلم اللغة العربية[1] والثقافة من قبيلة جرهم وفى آخر الأمر تزوج بإحدى نسائهم[2] [3] .

---

[1] يقول عباس محمود العقاد "ان ابراهيم كان عربيا وكان يتكلم العربية.. وليست العربية التى نتكلمها اليوم.. وإنما هى لغة الاقوام التى كانت تعيش فى شبه الجزيرة العربية. وقد كانت لغة واحدة من اليمن إلى مشارف العراق والشام وتخوم فلسطين وسيناء .. وان ابراهيم لم يكن عبريا من العبريين (ابراهيم ابو الانبياء ص١٢٤) (المترجم).ـ

قد تبدو هذه نهاية مناسبة للقصة، غير أن القصة استمرت. إذ لم يكن إبراهيم راضيا أن يترك ابنه وحده مع هاجر في الصحراء رغم أنه يعلم أن الله سيكون مع أبنه (حسب سفر التكوين ٢١: ٢٠). ولكونه أباً حنوناً ومسئولاً ولم يكن قد طرد ابنه البكر، فإنه شعر بالحاجة إلى زيارة ابنه لكي يرى بنفسه كيف صار حاله. ولهذا رحل إلى مكة[12]. ولم يكن اسماعيل بداره في ذلك الوقت، فقابل إبراهيم زوجته الغليظة غير الكريمة. ونتيجة لهذه المقابلة غير السارة طلب منها إبراهيم أن تبلغ زوجها رسالة رمزية يفهم منها اسماعيل أن عليه أن يطلقها. وانطلق عندئذ ابراهيم في رحلة العودة نحو الشمال دون أن يرى اسماعيل. ولما عاد إسماعيل أحس على الفور أن أباه كان هناك وسأل زوجته عما حدث. وبكل سذاجة حدثته عن الشيخ الغريب الذى حضر إليهما فجأة، وعرف اسماعيل من الرسالة الرمزية ومن وراء الكلمات أنه ينبغي عليه أن يطلقها. وعلى الفور قام الابن البار بتطليق زوجته ثم تزوج من امرأة أخرى من قبيلة جرهم.

ومرة أخرى شعر إبراهيم بالحاجة إلى زيارة ابنه إلا أنه لدى وصوله وجد اسماعيل أيضا غائبا، لكن هذه المرة استقبل ابراهيم بحفاوة بالغة وبوقار من زوجة اسماعيل الجديدة (لاحظ كيف أن ابراهيم يمثل صورة مصغرة للكرم والحفاوة في كل من اليهودية والإسلام). وطلب إبراهيم من زوجة إسماعيل أن تبلغ زوجها

- [٢] ﴿ فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك ..﴾ (الصافات ١٠٢) أشار الكاتب إلى رقم الآية بالهامش رقم١٢ دون أن يذكر نصها ودون أن يتحدث في المقال عن موضوع الدبح. وكأن أهميته ضئيلة. وعبارة "بلغ معه السعي" يفهم منها أن تربية اسماعيل كانت تحت بصر ورعاية أبيه حتى بلغ سن المشي وهو معه (المترجم).

[٣] ﴿وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا﴾ ثم جاء بعدها ﴿وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين﴾ (الصافات ١٠٤ـ١٠٥ ، ١١٢). ومعنى ذلك ان اسحق كان هدية من الله لابراهيم كابن ثان جزاء طاعته في تنفيذ امر الله بذبح ابنه الوحيد في ذلك الوقت وهو اسماعيل. وكلمة اسماعيل معناها (سمع الله) حيث أن الله سمع دعاء ابراهيم بطلب الذرية الصالحة ﴿رب هب لي من الصالحين﴾ ومعنى كلمة اسحق (ضحوك) لأن سارة ضحكت عندما جاءتها البشرى ﴿وامرأته قائمة فضحكت.. ﴾ (فتحي حجازي).

رسالة رمزية بأن هذه الزوجة قد تأكد أنها الزوجة ذات الاختيار المناسب للزوجية. ثم رزقا بالذرية. ومن خلال سلسلة طويلة من الأنساب لم ترد بهذه الرواية وإنما ذكرت فى رواية عن مصادر إسلامية أخرى، يتجلى منها أن النتيجة النهائية لهذا الزواج المؤيد من العناية الإلهية (وبتدخل من إبراهيم نبى الله) كان ميلاد محمد (صلى الله عليه وسلم) .. آخر وأكبر رسل الله جميعا.

وبعد ذلك زار إبراهيم مكة للمرة الثالثة. وقابل اسماعيل هذه المرة ببيته وهو يحد السهام فى ظل نفس الشجرة التى تركه إبراهيم تحتها هو وأمه منذ سنين مضت. وأبلغ ابراهيم اسماعيل أن الله قد أصدر إليه أمراً. فأجابه اسماعيل أنه إذا أمر الله ابراهيم بأى شئ فإنه سينفذه على الفور. فأخبر ابراهيم اسماعيل عن أمر الله لهما ببناء الكعبة كما جاء بالقرآن (سورة البقرة - ١٢٧). ولقد أطاعا أمر الله بكل تفان، وكان اسماعيل يناول أباه الحجارة بينما كان ابراهيم يضعها فى مكانها فى هذا البناء المبارك. وهما يبنيان، كانا يدعوان بهذا الدعاء الوارد بالقرآن: ﴿ ربنا تقبل منا، إنك انت السميع العليم ﴾ (البقرة ١٢٧)[1] [2] .

[1] لكن المؤلف ذكر امر الله ببناء الكعبة، ولم يذكر أمر الله فى رؤيا ابراهيم ان يذبح اسماعيل، ولم يذكر موقف اسماعيل من هذا الأمر الإلهى ﴿ قال يـاأبت افعل ما تؤمر، ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ﴾ (الصافات ١٠٢) لأن هذا الأمر يخالف ما روته كتبهم المقدسة من أن الذبيح هو اسحاق وليس اسماعيل مع أن رواية القرآن تجعل حادثة الذبح (فى سورة الصافات) قبل بشرى ابراهيم بابنه اسحاق. فبعد أن ذكر القرآن قصة ذبح اسماعيل قال ﴿ وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين ﴾ (الصافات ١١٢).

[2] ذكر المؤلف هذا الدعاء، ولم يذكر الدعاء الذى بعده ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك . ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ... ربنا وابعث فيهم رسولا منهم (أى من آل اسماعيل) يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ...﴾ (البقرة ١٢٧) وهذا النص خير رد على سؤاله عن ابراهيم أهو مسلم أم يهودى؟.

الرواية فى الكتاب المقدس مقابل قصة القرآن التاريخية

تشتمل المصادر اليهودية والاسلامية على روايتين عن إبراهيم وإسماعيل مختلفتين ومتناقضتين من وجوه كثيرة ـ كل منهما تستند إلى مقاطع مختلفة من الكتب الدينية Sacred Scripture. فطبقا لرؤية الكتاب المقدس يكون عهد الله مع ابراهيم مبرماً مع اسحق وليس مع اسماعيل المطرود[١] . أما يعقوب ابن اسحق الذى سماه ملاك الله فيما بعد باسم إسرائيل فقد أنجب القبائل الاثنتى عشرة التى تكوّن منها الشعب الاسرائيلى[٢] . فالعهد مبرم مع اسحق وليس مع اسماعيل. واسحق هو ذبيح الله عن طيب خاطر على جبل Moriah وهو بالضبط مكان معبد المستقبل بأورشليم: بيت الله. وتمتد ذرية ابراهيم من خلال اسحق وتنتهى بداود اكبر ملوك بنى اسرائيل، ورمز الوحدة والخلاص المسيحى المستقبل للشعب اليهودى.

أما طبقا للرؤية الإسلامية، فكان ابراهيم قد أخذ بنفسه ابنه البكر اسماعيل ـ الذى لم يطرد أبداً ـ إلى المكان المقدس بمكة. وانهما بمكة قاما شخصيا ببناء بيت الله الحرام[13]. وأن ابراهيم كان معنيا أن يأخذ على عاتقه أن يجعل اسماعيل يتزوج بالمرأة المناسبة التى سوف تكون جديرة بالمنزلة الأممية فى سلسلة الأنساب التى سوف تؤدى إلى ميلاد محمد (صلى الله عليه وسلم) اكبر الأنبياء، وأداة نقل أعظم هدية من الله ألا وهى القرآن.

---

[١] لم يكن العهد لاسحاق وحده كما تقول روايتهم. وانما كان عهد الله لاسماعيل كما عهد إلى اسحاق قال تعالى ﴿ وعهدنا إلى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتى...﴾ (البقرة ١٢٥) وما مبررات طرده؟

[٢] ومع دلك ومن خلال نصوصهم، فابراهيم ليس يهوديا. فباعترافهم أن اسرائيل هو ابو القبائل الاثنى عشرة التى هى اصل اليهود. وهؤلاء جاءوا بعد ابراهيم واسحاق ويعقوب. يقول الله تعالى ﴿ ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا، ولكن كان حنيفا مسلما ﴾ (آل عمران ٦٧) وقبل هذه الآية يقول الله تعالى ﴿ياأهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده ﴾ (آل عمران ٦٥).

وطبقا للتراث اليهودى، يكون تاريخ اسماعيل غير متصل بالتاريخ المقدس لشعب الله[14]. فالتاريخ المقدس[1] يظل فى خط اسحق. أما فى الاسلام فإن اسماعيل يكون الجد الأعلى لأكبر رسل الله الذى سوف يقود شعبه يوما ليحقق حكم الله على الأرض. ويظل التاريخ المقدس لخلاص البشرية عن طريق الخضوع للإسلام كلية فى خط اسماعيل.

---

[1] يقول د.جمال بدوى فى كتابه (محمد فى الكتاب المقدس بالانجليزية ص٣١ــ٣٤): هل كان اسماعيل وذريته خارج عهد الله ووعده؟ هناك اجابة مألوفة وان كانت خطأ الرد بالايجاب. وقدمت لها مبررات:

١. ان اسماعيل ليس ابنا شرعيا لابراهيم: ويقول المفسرون فى The Interpreter`s Bible "ان اسماعيل مثل اسحاق من ذرية ابراهيم إلا أن اسحاق هو الوعد الأخير ومولود من سارة الزوجة الحقيقية . بينما اسماعيل مولود من ام جارية. ورغم أنه من نسل ابراهيم إلا أنه يجب أن ينفصل عن الابن الشرعى". غير أن هذه الحجة لا تستند إلى المنطق أو الاخلاق بل ولا إلى نصوص الكتاب المقدس ذاته. فهل كان رق هاجر يمنعها من أن تكون زوجة شرعية لابراهيم؟ واذا لم تكن زوجة شرعية .. فأى زوجة تكون؟ ويصف سفر التكوين ١٦: ٣ هاجر بأنها زوجة ابراهيم "وأخذت سارای امرأة ابرام هاجر المصرية جاريتها ... واعطتها لابراهيم زوجة له" فإذا كانت زوجة شرعية فلا اساس للسؤال عن شرعية بنوة اسماعيل ابنها "ابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك (التكوين ٢١: ١٣)". وطبقا للقانون اليهودى يكون للمولود الأول نصيب مضاعف فى الشرف والميراث. وان هذا الحق لا يمكن أن يتغير بسبب وضع امه (انظر التثنية ٢١: ١٥-١٧).

٢. ان اسحاق وحده هو ابن العهد والوعد .. ان دراسة نصوص التكوين ١٧: ٢١، ٢١: ١٢ مع نصوص أخرى من نفس الكتاب توضح أن الاسماعيليين يدخلون فى وعد الله وعهده مع ابراهيم: إذ أن عهد الله مع ابراهيم تم قبل ان يكون له اولاد (التكوين ١٢: ٢-٣) وتكرر بعد ميلاد اسماعيل وقبل ميلاد اسحاق (التكوين ١٧: ٤). ويوضح سفر التكوين ٢١: ١٢ ان اسحاق سوف يسمى نسل ابراهيم. والنصوص التالية (التكوين ٢١: ١٣) تسمى اسماعيل نسل ابراهيم. وكما ان اسحاق مبارك (التكوين) فإن اسماعيل ايضا مبارك (التكوين ٢١: ١٣). وتأكد ذلك فى سفر التكوين ٢١: ١٨. ويلاحظ ان حديث الله عن "العظمة" لا ينحصر معناها فى العدد فقط وانما فوق كل شئ فى الايمان والميراث الروحى والزعامة الدينية

٣. ولماذا حصر العهد والوعد إما فى اسماعيل وإما فى اسحاق؟ أى فى واحد منهما فقط. الا تقتضى العدالة الإلهية المساواة بين الأخوين؟ (المترجم)

وتمثل الروايات اليهودية والإسلامية عن قصة ابراهيم وذريته نموذجا تقليديا عن تراث الديانتين الذى يقص قصصا مختلفة بل ومتنافسة عن نفس الشخصيات المثالية. هذه الملاحظة ليست جديدة. فمنذ العصور القديمة، كان أتباع الديانات المختلفة يعرفون أن الديانات الأخرى تفهم التاريخ ووسيلة الخلاص بطرق مختلفة، وأنهم كثيرا ما تناقشوا، وتجادلوا، وتنازعوا بل وشنوا الحروب بينهم بسبب خلافاتهم.

الأفكار الدينية المتنافسة:

إن تراث كل ديانة من ديانات التوحيد يطور من دفاعه ذى النزعة الطاردة ضد ادعاءات الآخرين[1] . فالتراث اليهودى والنصرانى يميل إلى اعتبار الادعاءات الاسلامية أخطاء أو محاولات لتحريف الحقيقة الدينية باسم قوة الإسلام الزمنية[2] . وفى المقابل يميل التراث الاسلامى إلى اعتبار الادعاءات اليهودية والنصرانية أنها نتيجة التلاعب فى نصوص الوحى، التى كانت فى الأصل تحمل نبوءات واضحة تبشر بقدوم محمد (صلى الله عليه وسلم) وظهور الاسلام. وكل من روايات الكتاب المقدس والرويات القرآنية فى نظر أتباعها هى قديمة قدم الخلق والادعاءات المتناقضة لا يمكن التسامح فيها، وحيث أن المؤسسات التى تمثل ديانات التوحيد تميل تقليديا إلى قبول حقيقة واحدة فقط، فإن تراثا واحدا فقط هو الذى يمكن أن يكون صحيحا. وبالتالى تكون الأخرى أما خطأ وإما محرفة عن عمد.

---

[1] الاسلام لم يطور شيئا ضد ادعاءات الآخرين. وما يتعلق بالعقائد وقصة ابراهيم واسماعيل واسحاق وغيرها ثابت منذ عهد الاسلام الأول بلا أدنى تغيير أو تطوير وبنصوص صحيحة وموثقة وقصص الانبياء نزلت فى السور المكية قبل أن يكون للاسلام سلطة زمنية. (المترجم)

[2] الروايات عن الامم السابقة لا تقبل فيها اقوال البشر لأنها غيب فلا تقبل منها إلا ما وافق نصا قرآنيا أو سنة نبوية والنص القرآنى مقطوع بثبوته. والسنة يقبل منها ما صحت روايته أو حسنت فالقول بأخطاء الروايات الاسلامية إذا استندت إلى النص القرآنى أو النبوى ضلال عن الحقيقة وتزييف لها إذا رفضت.

وفـي العصـر الحـاضر، حـاول المهتمـون بـالحوار بيـن التراثـات الدينيـة المتعارضة تجاوز هذه الفجوة بطرق متعددة. فـالمدخل الأكـاديمي التقليدي[1] كـان يميل إلى تحليل النصوص لكـلا التراثين من أجل محاولـة تحديد مـا إذا كـان أحد التراثين قد "استعار"[2] من التراث الآخر، أو لمحاولة تحديد ما إذا كـان التراثـان قد تطورا بعيدا عن التراث المشترك. هذا المنهج يفتت ويحلـل الوحدات المختلفـة لكل روايـة خاصـة بـالتراث لمحاولـة استخراج أسـرارها. إلا أن الأسـلوب الأكـاديمي للأسف كان يميـل مـع ذلـك إلـى النزعـة الانتقاصيـة reductionism التـي مـن أثرهـا إنقاص سلطان الرواية إلى مجرد جملة أجزاء بسيطة بل وقليلة الأهميـة. انهـا تميل

---

[1] النصوص الاسلامية ترحب بالاسلوب الاكاديمي النزيه. وتدوين السنة وتسجيل القرآن يتفقـان مـع احـدث المناهج العلمية. اما جمع التوراة فان الدراسة الاكاديمية العلمية اثبت غير ذلك. اذ ابتداء من القرن الأول قبـل الميلاد كان هناك دفاع عن الرأى القائل بان موسى عليه السلام قد كتب الاسفار الخمسة كلها. أما اليوم فقد هجر هذا الفرض تماما، وبدأ العلماء يشككون فيه حيث رأى احدهم استحالة ان يكون موسـى عليـه السـلام قد كتب عن نفسه كيف مات. ثم قام "ريشار سيمون" بدراسة هـذه القضيـة بكتابـه "التـاريخ النقـدى للعهـد القديم" نشـره ١٦٧٨م وفيـه يؤكـد الصعوبـات الخاصـة بتسلسـل الاحـداث والتكـرارات وفوضـى الروايـات وفوارق الاسلوب فى الاسفار الخمسة. ثم قام "جان استروك" عام ١٧٥٣م بدراسة اخرى نشرها علـى المـلأ بناء على ملاحظة اساسية هي وجود نصين جنبا إلى جنب فى سفر التكوين يحتوى كـل منهمـا علـى خاصيـة مختلفة فى تسمية الرب: اذ يسميه احدهما يهوه ويسـميه الثـاني بـالوهيم. وهنـاك اخطـاء اخـرى ذات طـابع تاريخي اكتشفها عدة مفسرين يهود ونصـارى حيـث وقفـوا علـى عـدة تعديـلات مختلفـة واضافـات لاحقـة للنصوص الاصلية ... وخلـص "موريـس بوكـاى" فـى دراسـته إلـى القـول بـأن سـفر التكويـن يتضمـن اكـثر المتناقضات وضوحا مع العلم الحديث ويحصرها فـى ثـلاث نقـاط جوهريـة (١) خلـق العـالم ومراحلـه (٢) تاريخ خلق العالم وتاريخ ظهور الانسان على الارض (٣) رواية الطوفان. (انظر كتـاب الاسـلام والاديـان.. د. مصطفى حلمي ص١٤٩-١٥١) (المترجم)

[2] نظرية الاستعارة هذه مبنية - فى نظر الدارسين الغربيين - على ان الاسلام ملفق من الديانتين السابقتين. غـير أن أى دراسة جادة وصادقة لابد أن تؤكد أن الاسلام تبثت أصوله وقصص انبيائه منذ ايام الوحى المنزل علـى محمد صلى الله عليه وسلم فى كتاب ﴿ لا يأتيه الباطل من بيـن يديـه ولا مـن خلفـه ﴾ (فصلـت ٤٢) فليس هناك استعارة إلا عند الذين لا تقوم دراستهم على الحق والانصاف.

إلى تجاهل السلطة الكبرى- بل حتى السمو - فى المنهج الأدبى والحقائق الدينية التى تقدمها مثل هذه الروايات.

إن أسلوبا ليس به نزعة انتقاصية فى تناول الادعاءات الدينية المتنافسة - مثل هذه - مطلوب بشدة، إلا أن الجهود المتصفة بالتسامح من جانب بعض علماء الدين المتحررين تبدو غير متوافرة. ولقد قام مفكرون دينيون متسامحون بين الحين والآخر ببناء شعارات دينية لإيجاد حلول مشتركة لبعض القضايا المذهبية الخاصة مثل التى أثيرت هنا. غير أن هذه المحاولات تميل لأن تظل غير مرضية على الأقل لواحد، وفى بعض الأحيان لكل الأطراف المتنازعة[15]. وهناك رؤية ثالثة، ألا وهى رؤية الملحدين غير المتعاطفين مع الدين، الذين يلوحون بأن مثل هذه الإدعاءات المتناقضة ليست إلا دليلا على تحكم الدين، ويشيرون إلى أن الدين ينحصر دوره فقط فى تفسير الظواهر البشرية والطبيعية، ولا أمل فيه للتوفيق بين الشعوب المتدينة.

أما أسلوب التقريب بين المعتقدات الدينية المتنافسة أو حتى المتعارضة كالمثال الذى سقناه هنا عن ابراهيم واسحاق واسماعيل[1] فيمكن أن يكون مساهمة تقدم للمهتمين بعملية الحوار بين الأديان. ويتطلب هذا الاسلوب أولاً وقبل كل شئ أن نكون على استعداد للتسليم بعدم الاهتمام بتحديد النص "الأصلى" أبداً. فاليهود يميلون إلى الادعاء بأنه باعتبار أن شريعة التوراة قد سنت قبل شريعة القرآن بوقت

---

[1] ليس فى نظرة الاسلام إلى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب اى تباين أو تعارض مع ما يصح ثبوته عن الله فى الكتب المقدسة فالإسلام يرى ابراهيم عليه السلام رسولا عظيما من الخمسة أولى العزم، ويراه الأب للانبياء من بعده. وقال عنه الله تعالى ﴿ وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب ﴾ (العنكبوت ٢٧) وهكذا قال الكتاب المقدس. واما ان الله أخبر ابراهيم بان العهد فقط سيكون فى ولد سارة اسحاق، وليس فى ولد هاجر اسماعيل، فينفيه ان ابراهيم ذهب بابنه اسماعيل ليبنى أول بيت وضع فى مكة. وكان وهو يبنيه يدعو هو وابنه قائلين: ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾ (البقرة ١٢٥) ثم يقول فى دعائه بعد ذلك: ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ﴾ (البقرة ١٢٦).

مبكر جداً، فإن القصص القرآني الذى يشتمل على شخصيات ورد ذكرها فى التوراة تمثل روايات متعارضة. (أى "أخطاء" أو "تحريفات متعمدة") لقصص التوراة.

غير أن المسلمين يدّعون أيضا بأن وجود القرآن سابق لنزول التوراة[1] بجبل سيناء لأنه سابق لخلق الكون. وباعتباره "أم الكتاب"[2] أى الأصل أو URTEXT الوحى، يكون القرآن هو الأساس الذى تستمد منه كل الكتب المقدسة التى نزلت بالوحى. وبناء على ذلك يكون زعماء بنى إسرائيل القدماء قد اطلعوا على النص الحقيقى للتوراة الذى ورد فيه ذكر اسماعيل فى أول الأمر بشكل أكيد، وأنهم تعمدوا تحريف الكتب المقدسة لتبرير ادعائهم بأن الديانة اليهودية ستظل هى دين الله المفضل. إذن كل من اليهودية والاسلام يدّعى أنه "الأصل" وبالتالى هو الذى يقدم القصة "الحقيقية".

غير أن الدراسات الحديثة للنظرية الأدبية تحاول التشكيك فى كلتا النظرتين[3] . فمنذ وقت بعيد كان ثابتا أن القصص المتعلق بموضوعات التوراة التى كانت معاصرة أو سابقة على تلقى روايات التوراة، كان قد عثر عليها فى الحضارات القديمة التى قامت فى بلاد ما بين النهرين وحتى مصر. ويحتمل أن تكون قد وجدت ترجمات لعديد من هذه الأساطير على اشكال مختلفة منذ زمن ممعن فى القدم. ويمكن الرد على ذلك أنه حتى بالمفهوم الأدبى لم يحدث أبداً أن

---

(1) حجية القرآن لا ترجع إلى أنه فى ام الكتاب فقط. وانما تتركز فى انه كلام الله المعجز المنزل على الرسول بلفظه، والمتواتر على مر الزمن من جيل إلى جيل. ولا يوجد فى العالم سوى نص قرآنى واحد متفق عليه من الجميع بلا أدنى اختلاف (المترجم).

(2) هذا تفسير سئ "لأم الكتاب" فالقرآن ليس أم الكتاب، وانما هو مأخوذ منه ﴿إنه لقرآن كريم. فى كتاب مكنون﴾ (الواقعة ٧٧-٧٨) والكتاب المكنون هو أم الكتاب. وهو اللوح المحفوظ ﴿ بل هو قرآن مجيد. فى لوح محفوظ﴾ (البروج ٢١-٢٢) وهذا الكتاب المكنون أو اللوح المحفوظ منسوخ من علم الله، ومنه القرآن وكل الكتب المقدسة.

(3) قصة ابراهيم عليه السلام عندنا ليست نظرة، وانما هى نص إلهى ثابت.

وجد "أصل" لرواية عن قصة ابراهيم[16]. فلا يستطيع إذن أى دين أن يثبت ملكيته الخاصة أو حقه فى "حقيقة خاصة به فى هذا الشأن[1] .

فالسؤال عن أيهما هو النص "الأصلى" سؤال يفرض نفسه، غير أنه فى النهاية هو السؤال الخطأ لأناس راغبين فى الحوار. فالحجج حول أى الوحيين جاء أولا لا يمكن الفصل فيها وانما هى تعوق التقدم. انها لا تشجع على الحوار والتفاهم وانما تدعو إلى الجدل والنزاع. وعلى زعماء الدين تجاوزها وسرعة إثناء أتباعهم (وأنفسهم) عن الاقتناع[2] بأنهم وحدهم الذين لديهم الحقيقة المطلقة الفريدة، وأن يتحركوا قدماً إلى قضايا أخرى.

الحوار بين العقائد:

على الذين يشتركون فى حوار أن يكونوا على استعداد لاحترام الاندفاع الدينى لدى الآخرين الذين يتبعوه سبلا مختلفة فى معرفة الله. وهذا يتطلب ايمانا عميقا فى أن حقيقة وجود الله يتجاوز مطلب الإنسانية الدينى. وأن نكون راغبين على حد قول الكاتب عن الإسلام "مارشال هُدجسون" ... "فى بذل الجهد من أجل الأمل فى أن شيئا غاليا على الأذكياء وذوى الحساسية من الناس طوال عدة أجيال لايمكن أن يكون شيئا مبتذلا على أقل تقدير"(17). إذ من الأرجح أن يتضمن حقائق نستطيع أن نتعلم منها.

فبالنسبة لليهودى الذى نشأ وهو يؤمن بحقيقة العهد الإلهى مع الشعب اليهودى، تبدو المقالة الإسلامية حول قصة ابراهيم واسماعيل فى نظره تحديا ولكن ليس بالضرورة أن يكون التحدى تجاه عقيدة شخصية لأحد، أو تجاه غرور شخص،

---

[1] نحن المسلمين لا نثبت قصة ابراهيم ولا انتساب ديننا إلى منهجه بروايات عثر عليها هنا وهناك، وانما نثبت ذلك بالوحى المنزل الذى يحمل كل منصف يقر بصحته وبعده عن التزييف.

[2] هذه الدعوة لا تتفق مع ما سبق أن قيل من أن الحوار لا يحتم على أحد التنازل عن صحة عقيدته وانفرادها بالحقيقة المطلقة (المترجم).

وإنما تجاه موقف عام لشخص ما نحو الأديان الأخرى. إن دراسة كيفية تناول الاسلام لأى موضوع لا يحتاج منا أن نترك عقائدنا. بل إنه يفتح أعيننا لكى نفهم أن المسلمين شأنهم شأن اليهود يرون أنفسهم فى علاقة خاصة مع الله وهم يحققون وصايا الله. وعندما نصل إلى فهم مدى عمق هذه العلاقة، نتعلم كيف نحترم ونقدر الدافع الروحانى والدينى لدى أبناء عمومتنا المسلمين، حتى ونحن نقر باختلاف طرقنا.

وعلينا أن نسلم بأن الدعوة إلى الاقتراب من تراث نظام دينى آخر وادعاءاته مع توافر الاحترام العميق والانفتاح الرحب هى دعوة مثيرة للخوف. إذ أن الشخص إذا كان على استعداد لقبول شرعية ديانة أخرى، ألا يحتمل أن ذلك يضع الأسس الجوهرية فى عقيدته موضع الشك آخر الأمر؟ هذا ممكن .. غير أن المشكلة تبدو خطيرة تماما إذا قبل هذا الشخص تعريفا لحقيقة دينية على أنها مطلقة وثابته وتنتمى إلى تراث دينى واحد. ولقد أثبتت الدراسات الحديثة أن بعض الحقائق الأساسية فى الكون الطبيعى[1] غير جديرة بأن يستمر الظن بثباتها. وحتى بعض الحقائق الراسخة مثل جوهر المادة والزمن .. اتضح أنها عرضة لمرونة نسبية. وعلى ضوء علمنا الحالى عن عالم الطبيعة، يبدو أنه من الغطرسة الادعاء فى ظل تمامية entirety هذا الكون، أن يكون الله قد سمح بأن تكون "الحقيقة" الدينية مودعة فى تراث دينى واحد لاغير[2] . والحاخامات أنفسهم يقرون بأنهم لا يستحوزون على ملكية الحقيقة الدينية ملكية خاصة، فى الوقت الذى يعلمون فيه أن عقيدتهم هى الحق فى نظرهم. إنهم يسلمون بأن الاتقياء من كل الشعوب لهم نصيب فى

---

[1] الحقيقة الدينية تختلف عن النظرية العلمية المتعلقة بالطبيعة. فالأولى ثابتة بأنها منزلة من عند الله. والثانية عرضة للتغير بحسب نتائج الابحاث البشرية. ولا معنى هنا للربط بين القضيتين بقصد زعزعة قوة وثبات الحقيقة الدينية. (المترجم)

[2] بل الغطرسة هى فى الادعاء بأن الحقيقة تائهة وضائعة فى أديان وتراثات متعارضة ومتناقضة ﴿ ان الدين عند الله الاسلام ... ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ﴾ (آل عمران ١٩، ٨٥) (المترجم)

الآخرة[18]، ويذهب الحاخام "يوهنان" إلى حد القول بأن أى شخص يرفض الوثنية يمكن اعتباره يهوديا[19]. وحتى فى عرض الكتاب المقدس لتراثنا، وعلى الرغم من طرد اسماعيل طرداً نهائياً، فإنه يمنحه بركة ربانية ويقبل أبناءه الاثنى عشر كأمراء ومؤسسين للقبائل الاثنى عشر[20] وهو تشبيه للاثنى عشر ولدا بالاثنتى عشرة قبيلة لإسرائيل. وزيارات ابراهيم لاسماعيل فى التراث اليهودى المتأخر هى اعتراف آخر بأننا نأخذ ادعاء ذريته بجدية[21].

والاسلام بطريقة مماثلة يشتمل على أسانيد تقر ادعاءات دينية لدى الغير. فالقرآن نفسه ينص على أن المسلم واليهودى والنصرانى والصابئ وأى إنسان يؤمن بالله واليوم الآخر ويعمل الصالحات. سوف يستحق الجزاء الحسن فى الآخرة[22]. وفى موضع آخر يقرر القرآن أنه لا إكراه فى الدين. وأن أى شخص يرفض الشر ويؤمن بالله سوف ينجو[1] [23].

وليست هناك صعوبة بالطبع فى أن نذكر الشعور المتقابل فى التراث اليهودى والتراث الإسلامى. فعلى الرغم - لأسباب تاريخية - من أن المؤسسات التى تتمتع وتخلد سلطان بعض الروايات الدينية كانت تميل إلى النزعة الخصوصية، فقد كانت هناك دائما تيارات فكرية لها قيمتها تحترم السلوك والفكر الدينى لدى الملل الأخرى، بل وحتى حقيقة ادعاءاتهم الدينية.

وليس معنى هذا القول أن الحقيقة الدينية حقيقة نسبية. إذ أن الله لايتغير فالله واحد وهو خالد. إلا أن الإدراك البشرى وفهمه لله يختلفان. ويتأثر إدراكنا بأشياء كثيرة منها اللغة والثقافة والتكنولوجيا والتاريخ. وكل تراث ينظر إلى الله من زاوية مختلفة، ويرى بالضرورة الحقيقة الواحدة بطرق مختلفة إلى حد ما. ولا توجد

---

[1] هذه الادعاءات مرفوضة فى الاسلام. فكل إنسان لا يؤمن بالانبياء جميعا لا ثواب له فى الآخرة. فالله تعالى يطالب المؤمنين بالايمان بهم وألا يفرقوا بين احد من رسله، وينص على أن الذين لا يؤمنون بكل الرسل كفارا ﴿ إن الذين لا يؤمنون بالله ورسله، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا، أولئك هم الكافرون حقا ﴾ (النساء ١٥٠-١٥١)

نظرة واحدة وفريدة يمكن ان تحيط بكل مظاهر الأصل The Source . وفي الوقت الذى نتعلم فيه من ديانة وروحانية تراث الآخرين، نوقن بعمق وثراء عقيدتنا، ونعلم أننا لم نعد نحتاج إلى مزيد من الألم بسبب المواجهات ولا عدم الأمن عندما نلاحظ الاختلافات التى بيننا. اننا لانحتاج إلى محاولة اقناع غيرنا أن يقبل رؤيتنا الدينية. وبمعنى آخر اننا لا نحتاج إلى البحث عن معتنقين جدد لديننا. إنما الأجدر ملاحظة اختلافاتنا فى الوقت الذى نؤكد فيه عموميتنا المشتركة Commonalities .

عندما نعمل معا ونتعلم المزيد حول بعضنا البعض ولو لمدد قصيرة من الزمن فإننا حتما نتعلم أن بعضا من الادعاءات السلبية التى نحملها عن بعضنا البعض لا وجود لها فى حقيقة الأمر إننا نتعلم كيف نستبعد الآراء المقولبة، وبالتالى نتعلم كيفية التعامل مع القضايا الهامة بطريقة جديدة وبناءة. إننا فقط فى حاجة إلى احترام ما يتعلق بالتراثات القديمة والعقائد الدينية، ونتوقع نفس الشئ فى المقابل.

وقضية أى من ابنى ابراهيم هو الذى يجب أن ننظر إليه على أنه وحده الذى تلقى بركات الله العظمى هذه القضية لا يمكن أن نجد لها حلاً بمعرفتنا. والسؤال الاكثر فائدة هو هل يمكننا التسليم بحقيقة أن لدينا ادعاءات وعقائد مختلفة، وأننا مازلنا نعيش معاً؟ عبارة "الاحترام المتبادل" هى المفتاح فى عالم الحوار. وليست عبارة "حق" أو "باطل" ومع أخذ ذلك فى اعتبارنا، فإننا جميعا ـ أبناء إسماعيل وأبناء إسرائيل ـ كلنا أبناء إبراهيم. فهل فى مقدورنا أن نعمل معا هنا وفى خارج البلاد على أمل بناء مستقبل أكثر فائدة لنا جميعاً.

هوامش البحث:

(1) هذا العنوان يستند إلى النص القرآنى بسورة آل عمران ـ٦٧ ﴿ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا، ولكن كان حنيفا مسلماً وما كان من المشركين ﴾.

(2) الواقع ان ما كان الغرب ينظر إليه على أنه عطاء "للتراث اليهودى المسيحى" اصبح يختلف اليوم بدون الأثر الخطير لمنهج التفكير الذى كان متقدما فى ظل الاسلام خلال العصور الوسطى.

(3) هذه الدراسة تأخذ الترابط المتسلسل فى التراث اليهودى الاسلامى كنقطة انطلاق. ويمكن أن تشمل النصرانية أيضا ولكن ذلك قد يخدع فى مدى صحة الحدود المشتركة بين اليهودية والاسلام مما يقتضى التوسع فى الشرح وهذا يتجاوز حدود هذه الدراسة.

(4) أول ذكر لهذا الاسم لا يظهر حاليا حتى إصحاح ١ ملوك١٣: ١٩

(5) Bereshit Rabbah 45: 1; Targum Yonatan on Genesis 16: 1; Pirkey D'Rabbi Eliezer Chapter 26 (61b); Sefer Hayashar (tel Aviv: Alter - Bergman, 1980): Lekh Lekha pp. 42.44 etc ..

(6) سفر التكوين ٣٧: ٢٥ـ٢٨، ٣٩: ١ سفر القضاة ٨: ٢٢ـ ٢٣ المزمور٨٣: ٧ هؤلاء الاسماعيليون قد يكونون اشتركوا مع أهل مدين الذين كانوا هم أيضا اهل بادية وتجار قوافل (سفر التكوين ٣٧: ٢٥ـ٢٨ سفر القضاة ٨: ٢٢ـ ٢٣).

(7) المراجع القرآنية موضحة أدناه

(8) العلاقة الصوتية الوثيقة بين الحرف الساكن الأول لكل كلمة قد يؤيد وجهة نظرهم.

(9) ارض اسرائيل لا يشار إليها كما هى فى المصادر الاسلامية. وانما يشار إليها عموما على أنها سوريا (الشام) بالعربية. "The Holy Land" ("الاراضى المقدسة" قارن مع HA'ERETZ HAM-QUDDESHET) نادراً ما تستخدم ولاشك انها مستمدة من القرآن سورة المائدة ـ٢١ حيث يحدث موسى شعبه على دخول الارض المقدسة التى كتب الله لهم ..

(10) تاريخ وفاته ٦٨٧ CE ومن أهم المراجع الاسلامية فى التراث دائرة المعارف فى تفسير القرآن والتاريخ العالمى لمحمد بن جرير الطبرى (المتوفى٩٢٣)، ومجموعة احاديث ابن حنبل (المتوفى٨٥٦) والبخارى (المتوفى٨٧٠) ومسلم (المتوفى٨٧٤) والسير الشعبية للثعلبى (المتوفى١٠٣٥) والكسائى (القرن١٢). ولمزيد من التفاصيل التحليلية وترجمة المراجع الاسلامية الأولية انظر "روفن فارستون ـ رحلات بالأرض المقدسة: تطور قصة[1] ابراهيم واسماعيل فى التفاسير الاسلامية (ولاية البانيا ـ مطابع جامعة نيويورك ١٩٩٠)" .

(11) فى اغلب ترجمات رحلتهم، يكون ابراهيم قد اهتدى إلى المكان المقدس لكعبة المستقبل بارشاد جبريل أو قوة ملائكية خارقة يشار إليها على أنها "السكينة".

---

[1] ما روته التفاسير الاسلامية بالنسبة لقصة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام، انما هو القصص القرآنى الثابت لا بالروايات ولكن بالتواتر الذى يعطى القطع بالصحة والثبوت. اما الاساطير التى فى كتب التفسير فهى مما رواه بعض المفسرين عن بنى اسرائيل.

(12) الحلقة التالية هى الجزء الوحيد من القصة الاسلامية التى لها مقابل قريب الشبه فى المراجع اليهودية. انظر:

Pirkey d'Rabbi Eli'ezer 30 (68a-B) sefer Hayashar, Vayera 55-7; Yalqut shim'omi, genesis 95 vayera (Jerusalem: Mosad Harav Kook, 1973) 1: 424-25; and the palestinian targum on genesis 21: 21.

(13) من[1] المحتمل ان الاسلام جاء فرأى اسماعيل مقيدا بالمذبح بمكة وبالتالى تأمل وصف الكتاب المقدس لاسحق وهو مقيد بأورشليم. هذه النظرة مع ذلك أصبحت مقبولة بعد القرن الأول الهجرى فقط عندما اعتبر أغلب المسلمين ان ابراهيم هو الذى طرح اسحق على المذبح (انظر "روفن فايرستون" فى (ابن ابراهيم الذبيح المقصود) Abraham's son as the intended sacrifice (الذبيح ـ القرآن سورة الصافات ـ٩٩ـ١١٣)، (قضايا فى التفسير القرآنى) Issues in qur'anic Exegesis بجريدة الدراسات السامية ٣٤(١٩٨٩) ص ٩٥ـ١٣١).

(14) رحلة ابراهيم إلى اسماعيل الواردة بالمدراش تميل إلى أن يفهمها العلماء المحدثين على أنها دفاع عن سلوك ابراهيم المختلف عليه والوارد بسفر التكوين. ومع ذلك ترى Aviva schussman انها رد على الاسلام. انظر كتابها "زيارات ابراهيم لاسماعيل ـ اصل وسمة اليهود" (Hebrew), Tarbiz 49 (1980) ص٣٢٥ـ٣٤٥ . "وجوزيف هيتمان": -Aggadot ve toldoteihen (jerusalem 1974) ص١٨٩ ف.

(15) انظر مثلا خطاب "هانز كونج" فى اول اجتماع لحوار مدرسة هارفرد اللاهوتية، جيروم هول عدد ١٦أكتوبر١٩٨٤، وردود السيد حسين نصر وفيناداس Veena das و "بيتر كوفمان" والمناقشات اللاحقة المسجلة بـ Muslim world 77 (١٩٨٧) ص ٨٠ ـ ١٣٦.

(16) انظر Jonathan culler فى "Presupposition and Intertextuality" MLN91 (١٩٧٦) ص١٣٨٠ـ١٣٩٦.

Thai E.Morgan, Is there an Intertext ?Lit.Interdisc· ary Approaches to Intertextuality" American journal of semiotics 3 (1985) pp.1-40 Barbara Herrnstien smith "Narrative Versions, وبخاصة Narrative

---

[1] ان ارتباط اسماعيل بالكعبة ليس ارتباطا بشريا حتى يقال مثل هذا القول، وانما هو ارتباط مقدس بنصوص قرآنية بعيدة عن التأويل والاحتمالات. فأين بشرية هذا الارتباط بعد أن يقول الله تعالى ﴿ وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل .. ﴾ (البقرة ١٢٧). وهذا هو اعتقاد كل مسلم منذ نزول القرآن وليس بعد القرن الأول. وليس هناك من المسلمين من يرى ان الذبيح هو اسحاق بعد قراءة سورة الصافات (الآيات من ١٠٠ إلى ١١٢).

theories" in W.J.T. Mitchell "On Narrative (University of chicago press 1981) pp. 209-232

(17) Marshall G.S. Hodgson "Two pre-Modern Muslim Historians: Pitfalls and opportunities in presenting them to moderns" in John Nef (ed), towards world community (the Hague: Dr. W. Junk 1968) p.67

(18) Toselta, sanhedrin 13.10

(19) Megillah 13a tosephot (s.v. kol) يقلل من قيمة الطبيعة الجذرية لبيان الحاخام "يوهانان" بأن اعتبره يشير فقط إلى اليهود الذين يرفضون الوثنية. والبيان يؤيد هذا الزعم مع الاشارة إلى مناقشة مماثلة فى sanhedrein 93b الذى كانت موضوعات المناقشة فيه تعتبر أفراد قبيلة Judah معارضين لقبيلة أخرى من قبائل اسرائيل. يبدو أن Tosephot وجد صعوبة فى الموافقة على كرم عبارات الحاخام "يوهانان". نص هذا التصريح بـ Megillah ومع ذلك فهو لايوضح مقصده تماماً.

(20) سفر التكوين ١٥: ١٦

(21) انظر الهامش رقم ١٢ أعلاه

(22) القرآن سورة البقرة ٦٢

(23) القرآن سورة البقرة ٢٥٦

• • •

النمو الفلسفى[1] فى الإسلام واليهودية
(نموذج من العصور الوسطى نقدمه للعصر الحاضر)
ليونارد كرافيتز

إن تقلبات التاريخ من الغرابة بحيث ان الذين كانوا أعداء ألداء فى وقت من الأوقات ربما صاروا اصدقاء وشركاء فى وقت آخر. وتاريخ اليهود والمسلمين يقدم لنا هذه الصورة المتقلبة. فمهما تكن المشاكل السياسية التى تواجههم فى الوقت الحاضر، فلا يجوز لأحد أن ينسى التاريخ الطويل الذى شاطروه. فقد كانت علاقاتهم المتبادلة فى الماضى ايجابية وسلبية فى كلا المجالين المادى والروحى. ولم يكن لبعض سمات النهضة الدينية والثقافية لتتحقق لكل منهما دون وجود الطرف الآخر[2] . فقد يقول قائل مثلا ان مواضع من القرآن ـ وهو النص الأساسى للإسلام ـ يعكس بعض الأفكار اليهودية[3]. وما أن نهض الإسلام، وانتشر أولاً بين العرب ثم

---

[1] الفلسفة هى محاولة الفكر البشرى الوصول إلى حقيقة الكون والحياة والانسان. واذا نظرنا إلى الفلسفة الاسلامية على أنها انتاج فكرى لمفكرين عاشوا فى الحضارة الاسلامية، فإن هذا التراث الفكرى يتضمن من المبادئ والافكار والقضايا والانظمة والمصطلحات ما هو مخالف للاسلام الذى هو سماوى الاصل والاهداف. إذ أنها لم تكن سوى تقليدا وتكرارا لفلسفة ارسطو مع قليل من الاضافات.

اما علم الكلام فهو احد مظاهر تفرق المسلمين، حفل بانحرافات كثيرة تمثلت فى عقائد الجهمية والقدرية والخوارج وكثير من آراء المعتزلة، والدارس لهذه الفرق ولانتاجها من آراء وافكار متعارضة ومتقابلة لا يجد فيها للحق مكانا.

ومع ذلك وللأسف ينظر كثير من الباحثين المحدثين للفسلفة الاسلامية على انها ما ساهم به المسلمون فى مجال إثراء الفكر الانسانى والحضارة الانسانية وهذا خطأ بالغ .. لأن اصالة الفكر الاسلامى والابداع الحضارى للمسلمين، هى فى اعمال الفقهاء والاصوليين والمحدثين، وفى توصل المسلمين إلى قواعد المنهج العلمى التجريبى، وتطبيقاته، مما أدى إلى تقدم العلوم التجريبية والرياضية والفلكية وغيرها.. لم تشهده اى حضارة اخرى (د. فاروق دسوقى فى مقدمة "القضاء والقدر" جـ١) (المترجم)

[2] هل معنى ذلك أن النهضة الدينية التى حققها الاسلام لم تكن لتحدث لولا وجود اليهود؟. وماذا فعل اليهود فى هذا الشأن قبل ظهور الاسلام؟ (المترجم)

بين شعوب أخرى، تعرضت العلاقات بين الشعب اليهودى[1] وشعوب الاسلام الناشئة لتقلبات هائلة بسبب العوامل السياسية فضلا عن العوامل الدينية.

فاليهود والعرب (والمسلمون من غير العرب) قامت بينهم علاقات كأفراد وكأتباع لنظم دينية مختلفة ومتنافسة. تلك العلاقات لم تكن واحدة رغم أنها كانت وثيقة. فباعتبارهم أفراداً تعاملوا من خلال حساب الربح والتكلفة Cost-Benefit calculus ككل الشعوب اى بلغة القوة والحاجة. وباعتبارهم متحمسين لرسالة دينية، تحققت هويتهم فى نصوص وتراثات تفانوا فى الاخلاص لها، وتكوَّن لهم منها عالمهم الفكرى. فاليهود والمسلمون "أهل كتاب" وان تكن كتبا مختلفة إلا أنها أثارت النزاعات والادعاءات الخاصة المتبادلة. واستطاعت هذه الادعاءات ـ كما حدث أحيانا ـ أن تطلق المحاولات من أحد الاطراف للقضاء على الآخر، إلا أن وجود الحاجة وغياب القوة أعاقا هذا الإفناء.

ومهما تكن مناهضة الاسلام للجماعات اليهودية فى المرحلة الأولى[2]، إلا أنه فى مراحل انتشار الاسلام اللاحقة، ناهض الإسلام قوى نصرانية فى أراض متنوعة وقضى عليها. وحيث أن اليهود قد خضعوا للنصارى وصاروا تابعين لهم، فقد أصبحوا الآن يرون فى الاسلام خلفا مرحبا به وحليفا جديدا. أما المسلمون فقد يجدون فى اليهود جماعة تجارية نافعة، ومستودعا من الكفاءات.

وحيثما سيطر المنتصرون الجدد، حملوا اليه القرآن واللغة العربية. أما اليهود الذين لم يكونوا يتكلمون العربية فقد تعلموها واستوعبوا فيما بعد النهضة اللغوية التى تحققت فى العالم الاسلامى، مثل النحو والشعر. واهتم اليهود بنحو وشعر العبرية نظرا لانهم عاشوا بين شعب يبدى اهتماما بنحو العربية وشعرها.

---

[1] بل تعرضت العلاقات بين المسلمين واليهود فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم للتوتر بسبب عداء اليهود للاسلام ونقضهم لعهدهم، وتحالفهم مع المشركين على المسلمين. (المترجم)

[2] العكس هو الصحيح .. (المترجم)

ولم يعكس النحو والشعر فعالية العرب واليهود بوصفهم متحمسين للدين وكأتباع لمجتمعات لها عقيدة خاصة وانما على الأرجح كشعوب. وهذا هو السبب فى أن مثل هذه العوامل الثقافية كانت قابلة للانتقال من طرف للطرف الآخر. فبمجرد قبول النحو، امكن استخدامه لشرح نصوص فى التوراة، وبالتسليم بالشعر امكن استخدامه فى عمل تسبيحة للواحد الأحد الذى منح التوراة. إلا أنه من الواجب أن نوضح أن التوراة قد تمت دراستها بعيدا عن دقة النحو، وكان اليهود فى تعبدهم يستخدمون فقط الشعر الوارد بالكتب المقدسة. وبناء عليه فإن اليهود استطاعوا تجميل تراثهم بشئ كان موجودا فى الثقافة الإسلامية وإن لم يكن من خصائص الإسلام.

والفلسفة تمثل تشابها مع النحو والشعر فى العالم الاسلامى والعالم اليهودى فيما يختص بقابليتها للانتقال باعتبار أنها لم تكن من خصائص أحدهما وأنه يمكن أن تجمل الآخر. وفيما يختص بتجاوب العالم العربى والاسلام للأدب ولمبادئ الفلسفة عند تزاوج المعتقدات القديمة بالأفكار الجديدة ـ تكوّن قالب على منوال نموذج التوليفة اللاهوتية فى اليهودية والمسيحية عندما واجه اليهود والنصارى نفس القضايا المتعلقة بكيفية الاستجابة للمعتقدات القديمة وللأفكار الجديدة.

وأمكن للغة العربية المشتركة والتفاعل الاجتماعى الإيجابى للجماعات الاسلامية والجماعات اليهودية أن يصبح النموذج الذى طوره المسلمون مقبولا لدى الجماعات اليهودية. ولقد اتاحت اللغة المشتركة تحقيق المشاطرة فى الكتب والأفكار .. ، كما سمحت العلاقة الايجابية بالمحاكاة فى مبادئ الفلسفة. ونظرا لأن اقتحام الأفكار الفلسفية قد أصاب كلا الجماعتين ـ الجماعة الاسلامية أولا ثم الجماعة اليهودية ـ فإن تطور وتدهور الانماط المختلفة للتوليف حدث أولا فى العالم الاسلامى ثم بعد ذلك فى العالم اليهودى. وكان هذا الترابط بين اليهودية والاسلام فى هذا المجال من القوة إلى درجة أنه يمكن أن نستخلص أنه ما لم تكن هناك فلسفة اسلامية، لم يكن لتكون هناك فلسفة يهودية. إن الدَّيْن الكبير الذى تدين به الفلسفة

اليهودية للفلسفة الاسلامية يتجلى بوضوح عند دراسة التشابه فى النمو الفلسفى فى اليهودية والاسلام وبخاصة فى افكار Saadia gaon و Judah Halevi وموسى بن ميمون.

دخلت الفلسفة القرون الوسطى بطريقة متناقضة. فبعد أن نشأت باليونان لتمجيد دور العقل، انتشر تأثيرها بسبب حروب الاسكندر الأكبر. ثم احتلت روما مكان اليونان كقوة امبريالية، واسرت الثقافة اليونانية - التى تشتمل على الفلسفة - زعماءها الجدد مما زاد من انتشارها. كما ساهمت النصرانية[1] كعامل آخر من عوامل انتشار الفلسفة. ولما كانت لغة العهد الجديد هى اليونانية، فقد وقر فى الأذهان أن كل ما هو مكتوب باليونانية ينتمى إلى النصرانية. هذا الربط أوجد الدافع لدراسة اليونانية وقراءة النصوص اليونانية، وبعضها كان فلسفيا. ولما كانت الأديرة قد نشأت بقيام الكنائس النصرانية، فقد اوجدت الايدى العاملة اللازمة لنسخ هذه النصوص. وفى وقت معين لم تكن هذه المخطوطات اليونانية قد نسخت فقط بل ترجمت ايضا إلى السريانية.

وعندما ظهر الإسلام على المسرح، واجتاح الشرق الأوسط، أُخذت النصوص التى كانت قد ترجمت إلى السريانية، وترجمت إلى العربية وبخاصة ما كان يتعلق منها بالطب والفلسفة. وبنفس الأسلوب الذى استخدمت به النصرانية[2]

---

[1] لقد اتخذت النصرانية من الفلسفة اليونانية اسلوبا لشرح عقائدها وذلك فى اتجاهين: اتجاه افلاطون، وقد اخذ به القديس اغسطين، والاتجاه الآخر اتجاه ارسطو الذى اخذ به طوماس الاكوينى. (الاسلام والمذاهب الفلسفية المعاصرة د. مصطفى حلمى).

[2] رفض علماء الاسلام الفلسفة اليونانية بتصوراتها الوثنية لتعارضها مع عقيدة التوحيد. ولقد تأثر بمصطلحاتها بعض المعتزلة. ولكن جاء الامام الغزالى فقصمها بكتابه "تهافت الفلاسفة". ولقد عورضت عملية التوفيق والتلفيق بين التصورات الفلسفية اليونانية والعقائد الاسلامية التى تمت على يد فلاسفة مسلمين يعدون على اصابع اليد الواحدة وهم الكندى والفارابى وابن سينا وابن رشد. ولكنها عورضت معارضة شديدة .. ومن هنا يتضح أن دور الاسلام لم يكن كما زعم المؤلف هو نشر الفلسفة بدون وعى. بل على

دون وعى كقوة دافعة لانتشار الفلسفة، قام الاسلام بنفس الدور. وبطبيعة الاشياء، دخلت النصوص والأفكار ذات الأصل اليوناني إلى الهرم الاجتماعي من قمته. فأصبح أمراء المؤمنين وزعماء المجتمع، هم الذين يقرأون هذا الأدب القديم الجديد وبالتالي واجهوا الفلسفة ومفاهيمها عن الله، وعن الانسان، وعن واجب الإنسان ـ وقد كانت بعيدة عما يقدمه القرآن.

ولقد حركت الفروق بين الفكر الفلسفي اليوناني وبين القرآن أول محاولة لاجراء نوع من التوفيق بين هذين العالمين. وهذا التوفيق هو ما يسمى 'بعلم الكلام" الذى كان هدفه محاولة الربط بين حرفية القرآن وبين الأفكار الفلسفية. هذه العلاقة ـ المتنافرة في نهاية المطاف ـ حاولت أن تتوقف عند بعض عناصر التراث الاسلامي التي ينبني عليها الكيان التشريعي للمجتمع، وان كانت قد احتفظت ببعض المبادئ الأخرى التى بزغت من التراث الفلسفي، والتي تعتبر عند دراستها مدمرة للكيان الإسلامي.

والاشعرى (٨٧٣ـ٩٣٥) من بغداد ـ هو من أوائل من طور علم الكلام وبدأ منهجا من التفكير الديني انتشر في العالم الاسلامي. ولم يكن مصادفة ان Saadia Gaon (٨٨٢ـ٩٤٢) من Sura (ايضا ببابل) كتب دفاعاً عن اليهودية تحت عنوان "كتاب العقائد والآراء" The Book of Beliefs and Opinions[2]. متبعا النموذج الاسلامي في علم الكلام، ومتناولا قضية التوحيد والعدل، أولا باستخدام الخلق لاثبات توحيد الله ثم مجادلا من أجل إثبات حرية الإنسان معلنا أنه "لايمكن لإنسان أن يحاسب عن عمل عمله ما لم يكن يملك حرية الإختيار"[3]. ونجد في Saadia مفكراً يهودياً في علم الكلام يحاول أن يربط الفلسفة بالتوراة تماما كما حاول كتّاب علم الكلام أن يوفقوا بين الفلسفة والقرآن.

العكس فإن علماء الاسلام قبلوا ما تضمنته الفلسفة اليونانية من علوم ومعارف مثل الفلك والطب .. مما لاصلة له بالعقيدة. وعارضوا فقط التصورات الميتافيزيقية كما ذكرنا.

(الاسلام والمذاهب الفلسفية المعاصرة د. مصطفى حلمي)

وعندما حدثت تطورات فى العالم الاسلامى، ظهر ما يشبهها فى العالم اليهودى. فمثلا كانت شخصية وفكر الإمام الغزالى (١٠٥٨ـ١١١١) حركة جديدة بعيدة عن منهج علم الكلام. أثبت فى كتابه "تهافت الفلاسفة" The Incoherence of Philosopby ان محاولة مفكرى علم الكلام فى التوليف بين الدين وبين الفلسفة محاولة فاشلة، وأن المعرفة الدينية لا يمكن أن تستقى إلا من الوحى الإلهى.

وقدم "جودا هاليفى" Judah Halevi (١٠٨٥ـ١١٤١) حجة مماثلة فى قصته الفلسفية The Book of the Kuzari [4]. اعتمد فيها على حقيقة واقعة ـ إن لم تكن مذهلة ـ حدثت منذ ٤٠٠ سنة مضت ـ وهى اعتناق جميع شعب Khazar للديانة اليهودية. ويتخيل الكتاب الحجج التى سيقت لإقناع ملكهم بصحة الديانة اليهودية. فعندما انزعج الملك من حلم متكرر دعا ـ فى أول الأمر ـ فيلسوفا، ثم رجل دين نصرانى، ثم عالماً مسلماً فى التوحيد لكى يقدم كل منهم وجهة نظره. فالأول لم يقدم أى عون للملك لمواساته، بينما الآخران قدما حججا تشبه مفكرى علم الكلام. ولما لم يقتنع الملك دعا عالماً يهودياً ليبدى رأيه. وبعكس كل من النصرانى والمسلم، لم يقدم اليهودى حجج علم الكلام مبتدئا بالخلق، وإنما انطلق من الوحى الذى نزل بسيناء. وفى النهاية ثبت أن الممارسة الدينية أقدر من التفكير العقلى اللاهوتى فى توصيل المعرفة الدينية.

وفى رده على الغزالى، استخدم ابن رشد (١١٢٦ـ١١٩٨) أسلوبا أكثر فلسفة للنصوص الدينية الاسلامية. وهو ـ اى ابن رشد ـ ولد بقرطبة، حيث عمل قاضيا وطبيبا، واشتهر فى العالم الاسلامى وخارجه كفيلسوف، وعرف بأنه المعلق على فلسفة أرسطو. وفى هجومه على الغزالى فى كتابه "تهافت التهافت" حاول أن يبرهن أن الفلسفة والدين يعملان على مستويين مختلفيين. الفلسفة تقدم الحكمة إلى مجموعة محدودة من الناس، بينما الدين يمد غالبية الشعب بالمعرفة. وبالتالى فإن الفلاسفة يدافعون عن الدين، معتقدين "أن الشرائع الدينية هى فنون سياسية ضرورية، وهى مبادئ مستمدة من التفكير العقلى الطبيعى والالهام الطبيعى"[5] هذا

العرض للدين بالاضافة إلى رأيه فى أن الكون لم يخلق فى لحظة محددة، وإنما خلق بيد إلـه خـالد وبالتـالى أصبح خـالداً، أثـار عليـه غضـب علمـاء الدين ذوى النزعـة التحفظية الزائدة. وانتهى به الحال إلى أن نفى من قرطبة. واضطر إلى قضاء أيامـه الأخير مطرودا فى Lucena ، وتوفى بمراكش.

وهناك رجل آخر ولـد أيضـا بقرطبـة، وكـانت لـه نفس الظـروف كقـاضى وكطبيب وكان له تأثير ممـاثل كفيلسوف. هـو موسـى بـن ميمـون (١١٣٥ـ١٢٠٤) الذى صار بفضل تعليقه على المشناه Mishnah وعلى أكبر تشريع للقانون اليهودى فى The Mishneh Torah ـ اكبر مشرع دينى يهودى فـى عصـره. ألـف كتابـا أثـار الجدل والخلاف إلى درجة أن بعض الجماعات اليهودية لعنت جماعات أخرى، وأن اليهود قاتل بعضـهم البعض. هذا الكتاب هو The Guide of the Perplexed (دليل المحتار). وعلى الرغم من أن الكتاب كان موجها ـ كما ذكـر ابـن ميمـون ذلـك فـى المقدمة ـ إلى الشخص المحتار من التناقض بيـن ادعـاءات الفلسـفة والتـوراة، إلا أن الكتاب فى الواقع ترك كثيرا من قرائه اكثر حيرة وارتباكا. فقـد أوحـت مقدمتـه بـأن بعض الافكار كانت مستترة تحت سطح عبارات ابن ميمون، وان بعض القراء فقط هـم الذيـن كـان يمكنهـم أن يسبروا غـور معانيهـا. فقد ابتـدأ الكتـاب بمناقشـة كلمـة "image" (صـورة)، وعرفهـا علـى أنهـا الفكـر، واختتمـه بمناقشـة كلمـة "wisdom" (حكمـة) وكـان الكتـاب يوحـى بمنهـج لتحسـين الفكـر، ولتحقيـق بعـض التقدم نحــو الحكمة.

كان الخلق موضع جدل ونقاش فى نظر موسى بن ميمون كما كان فى نظر ابن رشد. وكان ابن ميمون يسلم بالخلق، لا لأن التوراة ذكرته، وإنما لأن الخلـود لا يمكن إثباته فلسفيا. وعلى نفس المنوال كان يسلم بالوحى إلا أنه كان يقترح له إعداداً فلسفياً. وأيضا كان يسلم بالعناية الإلهية ولكنه كان يقول إنها تتوقف على مدى نضج الانسان الفرد فى فكره، مما كان يتطلب دراسة الفلسفة.

هذا الإلحاح على الفلسفة كان يمثل مشكلة لدى قراء ابن ميمون. لأنه كان يجعلهم فى حيرة مما إذا كانت الفلسفة عنده أكثر أهمية من التوراة. وبالاضافة إلى ذلك، كانت رؤية ابن ميمون للخلق - كمذهب حاسم فى اللاهوت - تبدو فى نظر الكثيرين - على أحسن الفروض - فاترة وتعوزها الحماسة - وعلى أسوء الفروض - تخفى إنكاره للخلق. فالمطالبة باعداد فلسفى للنبوة - حتى ولو كان غير كاف - كان يوحى بفكرة بعيدة عن فهم التوراة. وبعض القراء كان يرتاب فى أن ابن ميمون فى حقيقته كان يعتقد أن الإعداد الفلسفى كان كافيا[6]. وعلى نفس المنوال عندما جعل رؤيته للعناية الإلهية متوقفة على نمو الفكر، فقد أصبحت العناية الإلهية عملا للاعداد الفلسفي المطلوب لنمو الفكر.

لقد كان لكتاب "دليل المحتار" تأثير الانفجار على الجماعة اليهودية فور ترجمته إلى العبرية وبالتالى صار فى متناول اكبر عدد من القراء. كان الكتاب محل هجوم أو دفاع، وكانت قراءته محرمة أو مباحة بحسب موقف الجماعات المتنازعة حول معانيه. ولقد كتبت تعليقات متنوعة لشرحه (باقى منها حوالى ستين تعليقا)، إلا أنه حتى يومنا هذا ليس هناك اجماع على ما كان يقصده ابن ميمون. وفى نظر عدد من الأجيال وكثير من اليهود، ظل كتاب "دليل المحتار" رمزا لإباحة أو عدم إباحة خلط الفلسفة بالديانة اليهودية.

أما بالنسبة لـ saadia و هاليڤى فإنه يمكن العثور على تشابه بين آراء ابن ميمون وابن رشد. وكثير من فلاسفة اليهود الذين جاءوا بعد ابن ميمون قرأوا ابن رشد، كما أن كثيرا من المعلقين اعتمدوا على فكر ابن رشد لمحاولة شرح معانى كتاب "دليل المحتار". والواقع ان ابن رشد كان مرجعاً باعتباره "احد علماء اللاهوت"[7].

وكما يتضح من الامثلة الثلاثة السابقة، كانت فلسفة اليهود تعكس تفاعل المسلمين واليهود فى العصور الوسطى فى معاركهم مع المفاهيم الجديدة لعالمهم مع

عقائدهم، وفي محاولاتهم الربط بين ما يعتقدون وبين مـا يفكرون فيه. هذه الأمثلة من القرون الوسطى يجب أن تكون مرشدة للمسلمين واليهود المعاصرين.

مراجع البحث:

(1) انظر Judaism and Islam مقدمة نقدية "لموشيه بيرلمان" ـ ترجمة من الالمانية لكتاب Was Hat Mohammed ausden Judenthum aufgenommen أعيد طبعه عام ١٨٩٨ (نيويورك: دار كتاف للنشر ١٩٧٠) وأبراهام اسحق كاتش في كتاب Judaism in Islam: Biblical and Talmukic Backgrounds of the Koran and its Commentaries (New York: NYU Press 1954).

(2) سعدية جاوون The Book of Beliefs and Opinions ترجمة صمويل روزنتال (نيوهافن ـ مطبعة ييل ١٩٤٨).

(3) سعدية جاوون نفس المرجع ص١٨٧

(4) جودا هاليفى The Book of Kuzari ترجمة هارتويج هيرشفيلد (نيويورك شركة باردس للنشر ١٩٤٦).

(5) ابن رشد "تهافت التهافت" ترجمة سيمون فان دن برج (أوكسفورد: مطبعة أكسفورد ١٩٦٤) ص٣٥٩ المجلد الأول.

(6) انظر تعليقات Shem Tov Efodi على "دليل المحتار" جـ٢ ص٣٢ وبخاصة تصريح Abarbanel "فهم جميع المعلقين من لغة ابن ميمون أنه كان يدمر مذهبه الذاتي، ويتناقض مع ذات كلماته، حيث أن المقاطع الشعرية التى أوردها لا تؤيد رأيه ... " يمكن العثور على Shem Tov Efodi و Abarbanel فى Sefer Moreh Nebuchim المطبوعة تصويريا (اورشليم ١٩٦٠).

Moses Narboni "Introduction" commentary on the Guide(on press 1946). (7)

* * *

اكتشاف أخوة اليهود والعرب من جديد: "احدى اللوازم الملحة للقرن الواحد والعشرين"

عبد الوهاب حشيش

"أينما تكون، فهناك دائما أناس يتجسسون عليك إلى ما تحت جلدك، وفي صلواتك. احرص يا بنى على ألا تخدع غرائزهم .. تأكد ألا تنحنى امام الجماهير الغفيرة ... المسلم أو اليهودى أو المسيحى سوف يكون عليهم أن يقبلوك كما أنت .. أو أن يفقدوك. وعندما يبدو لك أن صدر الناس قد ضاق بك. فقل لنفسك إن أرض الله واسعة .. واسعة اتساع أيدى الله ورحمته .. لا تتردد أن ترحل بعيدا .. بعيدا عن جميع البحار .. بعيدا جدا عن جميع الحدود .. عن كل الأوطان .. عن كل المعتقدات .. " أمين معلوف Leon L'Africain

---

"إن فهم دين الغير شرط لاغنى عنه للاعتراف بذلك الدين والتعاون معه. وعليه تتوقف حركة العقل لاسقاط التحامل والتحيز المسبق .. ان استبعاد النزعات أمر لازم لإدراك الدين الآخر عن حق كطريقة شرعية للتعامل مع الله. وهذه شروط ضرورية لحركة القلب نحو التقدير والرغبة في التعاون مع جماعة الدين الآخر. إن تفهم الإسلام لليهودية يقوم على ثلاثة مستويات: إنه يرى أن أتباع هذا الدين بشر، وأنهم ورثة لتراث دينى ذى نزعة نبيلة، وأنهم بصفة خاصة يهود"

دكتور اسماعيل د. الفاروقى

فى "اليهودية والصهيونية والإسلام"

من "اليهودية أو الصهيونية .. ماالفرق بالنسبة للشرق الأوسط؟"

لقد قبلت شرف المشاركة فى هذا الجهد الجماعى لسببين بسيطين: أن رحلتى الحديثة للشرق الأوسط مع اللجنة الأمريكية متعددة الاديان من أجل السلام بالشرق الأوسط أثرتنى أكاديميا وروحيا، وكان وعيى السامى الاسلامى المغربى محل اختبار حتى عندما كان اسمى العربى الصرف يثير الخوف والارتياب لدى

طاقم الامن الحدودى الاسرائيلى. واستطيع أن أقول إننى وجدت قلقهم اكثر شرعية واكثر قبولا مما يبدو من ظاهر مواقفهم العنصرية أو ذات النزعة العنصرية التى كان اسمى العربى يثيرها فى أى وقت وكنت موضع "تحقيق" بمعرفة ضباط أمن غربيين. ورغم قبولى هذا الطلب الكريم من أخى الجديد وزميلى الحاخام "جارى بريتون جراناتور". فاننى أنبه القراء إلى نقطتين هامتين: الأولى عن الضعف: فليس عندى سلطة علمية عن تاريخ اليهود والمسلمين فى القرون الوسطى. والثانية عن القوة: إذ لدى إيمان كامل فى ثقتى فى الأخوة اليهودية العربية الاسلامية. فان جميع الحروب العربية الاسرائيلية، والاقتتال شبه العسكرى المشترك، فضلا عن أعمال الدولة الارهابية، واعمال الارهاب الفردية أو الجماعية، كل ذلك لم يكن ليضعف من أملى أو تفاؤلى فى إعادة إيقاظ القرابة اليهودية الاسلامية، كشرط مطلق لاعادة اكتشاف الأخوة اليهودية العربية

اليهود والعرب:

بين التراث والتراثات

عندما دخل الاسلام القرن الخامس عشر من تاريخه الهجرى فى ديسمبر ١٩٧٩ (محرم ١٤٠٠ من هجرة النبى محمد صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة التى افتتحت التأريخ الهجرى الاسلامى)، مر العالم الغربى بصدمة. إذ فجأة لم يعد ينظر إلى الاسلام على أنه ظاهرة دينية راكدة ومهجورة. فقد روعت الثورة الإيرانية الإسلامية فجأة العلماء ورجال الدولة بسبب أنه قبل ذلك بشهور قليلة فقط كان الرئيس جيمى كارتر يشاطر الشاهنشاه نخباً رمزياً مهنئاً إياه "باستقرار" إيران. وكل من يعلم أن أحد آخر مبادرات الرئيس كارتر كانت بإنشاء صندوق خاص لدراسة الإسلام، يستطيع أن يدرك مدى العمق السياسى والنفسى لتأثير الاسلام على شئون العالم. فأعمق من الأبعاد القومية والأيديولوجية للنزاع العربى الاسرائيلى، كاد الاسلام كدين وكأيديولوجية أن يسبب دماراً أكبر من أى وقت مضى فى العلاقات اليهودية العربية، واليهودية الاسلامية، والنصرانية الاسلامية.

أ ـ أسلمة الأيديولوجية

أو جعل الاسلام أيديولوجية

بينما الرغبة والكفاح من أجل عودة تطهرية إلى منابع الإسلام ترجع إلى منتصف القرن التاسع عشر، فإن الاهتمام المؤيد للاسلام من جانب بلاد الغرب هو حديث نسبى. وما يعبر عنه بالسلفية قد تشكل وانتظم نحو نهاية القرن التاسع عشر بإرشاد مفكرين أمثال جمال الدين الأفغانى واثنين من أهم أتباعه، المصرى الشيخ محمد عبده (١٨٤٩ـ١٩٠٥)، والسورى الشيخ رشيد رضا (١٨٦٥ـ١٩٣٥)[1]. وكانت هذه الحركة فى نظر على مراد ـ وهو جزائرى إسلامى كان يلقى الدروس بأوروبا ـ قبل كل شئ تعبيرا عن الحاجة والقلق بشأن "الوفاء للجماعة الأصلية الأولى التى يعتقد أنها حققت الرسالة الإسلامية بتمامها وصحتها"[2] أما الاتجاه الآخر الحديث فهو "جعل الاسلام أيديولوجية" وهو اتجاه يبدو أنه ينتشر فى أنحاء العالم الاسلامى كله من خلال الرؤية المتنامية أو باستخدام الاصطلاح الجديد (Newsibility of "Islamic Fundamentalism") أى الرؤية الجديدة "لنزعة العصمة الحرفية الاسلامية"[1] .

وبعد أن أعلنت طبيعة مشاركتى أى جهدى لموازنة ذاتيتى الايجابية بعمل متخصص جاد عن طريق التحليل العلمى، اخترت أن نركز انتباها أكبر على هؤلاء المسلمين وغير المسلمين الذين حاولوا العودة إلى "المنبع" لمزيد من الفهم البنّاء للوحى، وليس فقط إلى النبى محمد صلى الله عليه وسلم، وانما أيضا إلى أسلافه أى إلى جميع الأنبياء الذين ورد ذكرهم فى القرآن، وبصفة خاصة موسى وعيسى "مجدهما" الله بحسب تعبير موسى بن ميمون عند اشارته إلى أنبياء دينه.

---

[1] اى الايمان بعصمة تعاليم الاسلام من الخطأ، ووجوب تطبيقها حرفيا (المترجم)

ب ـ تراث التعايش اليهودى العربى الإسلامى معاً

على الرغم من أننى وجدت تناقضات خطيرة فى تعليقات البروفسور "برنارد لويس" على "حركة الاستشراق" فى سياق الكلام عن الحرب الباردة[3]، فإن آراءه عن الاسلام فى علاقته مع "أهل الكتاب" وثيقة الصلة وتجسد الاقتباسات المأخوذة من القرآن وتعزز بحوثا أخرى لبعض العلماء. فبعد التشديد عن أتباع الإسلام "كأمة دون الناس"ـ أى شعب أو جماعة مختلفة عن بقية البشر ـ يذكرنا البروفسور "لويس" برفض الاسلام للوثنية رفضا تاما. ومن هنا "كانت المعارك[١] التى لا مفر منها ضد الوثنية والتى قربت الإسلام أكثر من اليهودية والنصرانية اللتين كان ينظر اليهما ـ لا كحلفاء وقتئذ ـ وانما كملل من أصل واحد تعارض خصما مشتركاً"[4]. والأهم من ذلك أن البروفسور "لويس" كان يؤكد على ظهور "معنى القرابة والنسب ـ على الأقل فى الأوقات المتأخرة ـ داخل شعور الجماعات الثلاث" وكان البروفسور على ثقة تامة انه يستطيع ان يتكلم عن "التعددية الدينية وأيضا عن التعايش معا" فى الاسلام، استنادا إلى القرآن وإلى المفسرين المتأخرين:

"فى معظم العصور الوسطى كان اليهود فى أرض الإسلام يمثلون اكبر جزء من الشعب اليهودى واكثرهم نشاطاً. بينما اليهود الذين عاشوا فى البلاد النصرانية ـ أى فى أوروبا ـ كانوا أقلية غير ذات اهمية نسبيا. ومع بعض الاستثناءات فإن كل ما كان خلاّقا وذا معنى فى الحياة اليهودية حدث فى الأراضى الإسلامية"[5].

فى ظل مثل هذا العرف يمكن أن نجد الأصل لتجديد العلاقات اليهودية العربية الإسلامية، فإن لم تكن علاقات أخوية، فعلى الأقل علاقات من أجل "سياسة حسن الجوار". ولقد قدم زميلى البروفسور على مراد ابلغ إيضاح عن الفروق الدقيقة

---

[١] هذه المعارك لم تبدأ من جانب المسلمين الذين صبروا ثلاثة عشر عاما على اذى المشركين دون ان يستل سيف واحد فى وجههم.ثم بعد هجرة المسلمين كانت حروبهم دفاعية. اذ لما عجز المشركون عن رد الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان لجأوا إلى الاضطهاد قبل الهجرة، والى العدوان المسلح بعد الهجرة، ولحقتهم الهزيمة فى كل حال. (المترجم).

داخل السنة الاسلامية (Islamic Tradition)، والأعراف الاسلامية (Islamic traditions) "تركز النصوص القرآنية العديدة على مفهوم "الدين"، وتضعه فى مجال بلاغى Semantic حيث تتكرر المفاهيم الثلاثة التالية إيمان faith ، عبادة cult ، عرف روحانى spiritual tradition. وفى هذه الحالة تكون السنة الابراهيمية هى التى من المفروض أنها كانت تتحقق كل فترة من خلال تعاقب الأنبياء".

وهذه الفكرة هى بالضبط التى سمعناها من فضيلة مفتى سوريا خلال بعثتنا السلمية إلى الشرق الأوسط. فإلى الذين يمكن أن يكونوا أو الذين لا يزالون يخافون من منافسة دين توحيدى ثالث يقدم على مراد التفسير الذى يحقق اقوى طمأنينة بين الأديان "فإذا كان الاسلام قد ظهر فى هذا المجال البلاغى semantic على وجه التحديد، فإن ذلك ليس باسم نظام له قيم جديدة يقطع الصلة بالتراث السابق، وإنما لتأكيد هذا التراث القديم من جديد، وبأسلوب جديد فى التعبير وفى اللغة وفى الثقافة". ويستند على مراد إلى القرآن للتأكيد على هذه النظرة المطمئنة لأتباع "أهل الكتاب" الثلاث ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾ (سورة ابراهيم٤)[6].

ثانيا: العرقية والديانة والقومية فى العلاقات اليهودية العربية.

أ ـ يهود شمال افريقيا:

بين القومية العربية والصهيونية

وراء اقتناعى الاسلامى بأخوتى مع اليهود والنصارى، تقف تجربتى كشمال إفريقى تونسى التى أضافت بشكل هائل الكثير إلى وعيى بهويتى السامية المغربية. وأتجرأ فأقول إن ما كان مسلماً به من مؤسسة الدعوة Fondation de la Vocation كالتزام علىّ بشأن "الأخوة اليهودية العربية. والتقارب العربى الاسرائيلى" بباريس عام١٩٦٥ صار اهتمامى التخصصى الأكاديمى، والفكرة الوجودية المستحوذة على كيانى. غير أنه فى عام١٩٨٣ـ وشكرا لرفقة الصيف فى NEH

بمركز الدراسات الشرق أوسطية بجامعة هارفرد ـ حيث شرعت فى أول بحث "علمى" لى عن الأدوار الكامنة والواقعية ليهود شمال إفريقيا فى العلاقات العربية الاسرائيلية[7]. إذ أن مولفات ابن خلدون فتحت أمامى آفاقا جديدة لوعيى الفكرى والانسانى حول منازعات العرقية الوطنية، والعرقية الدينية. وأحفظ فى ذهنى وفى قلبى جوهر الموقف الاسلامى تجاه "أهل الكتاب" الذى تعبر عنه هذه الآية "لكم دينكم ولىّ دين"[(١)] . وإن جهدى هنا سيكون من أجل التوفيق بين موقفى الذاتى وبين نضالى الاكاديمى للتوصل إلى سند قوى يثبت وجود الأدوار الايجابية والواقعية والكامنة لليهود الشرقيين Sephardim فى مجال بناء الثقة بين دولة إسرائيل والعالم العربى بأجمعه. وفى رأيى انه باعادة اكتشاف الأخوة القديمة يمكن لليهود والعرب (النصارى والمسلمين) أن يجعلوا الدولة الفلسطينية 'البعيدة عن التصور[8]' ليست فقط ممكنة التحقيق بل ومرغوبة التحقيق ايضا.

ب ـ العنصر الاستعمارى
فى العلاقات اليهودية العربية

اعتمد (ماريون وولفسن) على السلطة العلمية ليهود شمال افريقيا أمثال أندريه شوراكى، وديفد كركوس وغيرهما، لكى يجرى تفرقة حاسمة بين تجارب اليهود فى الشرق وتجاربهم فى الغرب.

"يقع كثير من الغربيين فى الوقت الحاضر فى خطأ كبير عندما يعقدون مقارنة بين بلاد الشرق الاوسط والبلاد الغربية، حيث يتوقعون ان يجدوا ظروفا اجتماعية

---

(١) هذه الآية موجهة إلى كفار قريش ﴿ قل يأيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون. ولا انتم عابدون ما اعبد. ولا انا عابد ما عبدتم. ولا انتم عابدون ما اعبد. لكم دينكم ولى دين ﴾ (سورة الكافرون) وليس لأهل الكتاب. أما دعوة القرآن الموجهة إلى اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فهى ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله .. آل عمران ٦٤﴾ (المترجم)

متطابقة، على الرغم من أنه لا يوجد أى اساس منطقى للمقارنة بين هذه المناطق. فمعدل النمو ومستويات المعيشة مختلفة تمام الاختلاف. وعلى نفس المنوال يطبق نفس المقياس على الماضى. فرغم أن تاريخ يهود الشرق الاوسط ويهود شمال افريقيا هو فى اساسه مختلف عن تاريخ يهود بلاد الغرب، إلا أن اليهودى الغربى فشل فى فهم هذا الفرق لأنه يميل إلى تفسير مشكلة يهود الشرق على ضوء تجاربه التاريخية المتباينة، ويراهم بعين اليهودى الغربى. فحتى نهاية عهد "الجيتو" (أحياء اليهود فى المدن)، ظل يهود الغرب ينتمون إلى مجموعات ذات اكتفاء ذاتى لها تقاليدها وتراثها، وتعيش منفصلة تماما عن غير اليهود المحليين. أما فى الشرق الاوسط، فإن اليهود كانوا دائما ينتمون عرقيا إلى نفس المجتمع .. والاساطير والخرافات والطقوس والأوهام اليهودية كانت جزءا من تراث الشرق.. ولما اخذ الناس يدركون شيئا فشيئا انهم اعضاء فى هذه الاوطان، صاروا يشعرون نحو اليهود بانطباق المعنى الجماعى عليهم وهم يعيشون بينهم: غير أن هذه النظرة الخارجية غابت تماما عن الشرق بظهور النزعات القومية فى العصر الحديث.[9]"

فى نظر "شوراكى" أن سبب العنف العرضى الذى وقع ضد اليهود يرجع فى معظمه إلى "البؤس المذل الذى أغرق فيه الاقطاع شعوب المنطقة بأجمعها"[1] .
وهذه بالضبط هى حجتى الاساسية فى وجه الذين ـ باخلاص ام بغير اخلاص ـ يعتقدون أو يحاولون أن يجعلوا العالم يعتقد ان "اليهود تعرضوا للاضطهاد" فى الاراضى العربية الاسلامية. ومن المؤكد حقا ان اليهود لم يمارسوا او يستفيدوا من القيم الديمقراطية فى بلاد أصلهم العربية. ومن ذا الذى استفاد؟ إذ أغلب هذه البلدان

---

[1] من العجيب أن نسمع هذا عن منطقتنا .. ! فالاقطاع الذى عرفته اوربا لم تعرفه البلاد التى كان الاسلام يحكمها. لأن الشريعة الاسلامية التى حكمت هذه الشعوب ـ ولا سيما نظام الميراث ـ لا تتيح للاقطاع ان يظهر. والذى شاع فى مصر فى الآونة الاخيرة، من وصف اصحاب الاملاك الزراعية بالاقطاعيين، هو تعبير مجازى لا يمثل الحقيقة. إذ ليس هناك صلة بين ملكية كبيرة من الارض، وبين ما عرف عن نظام الاقطاع فى اوربا.

كان تحت نير الاستعمار الاوروبى المباشر أو غير المباشر. ونظرة فاحصة للتغلغل الفرنسى فى شمال افريقيا، وتغلغل بريطانيا العظمى فى المشرق، تكشف لنا السياسة المكيافيللية "فرق تسد" التى شاركت فى صنع المأزق الذى واجهته الجماعات اليهودية: هل كان عليهم ان يظلوا متمسكين بالنزعة التقليدية التحفظية أم يعتنقون الوعود التى قدمها التحديث الأوروبى من خلال التعليم فى التكنولوجيا والعلوم؟

ان أثر الاستعمار الفرنسى المزمن على شمال افريقيا يفسر فى يسر رد الفعل الكمى والكيفى للجماعات اليهودية فى الجزائر (منذ ١٨٣٠) وفى تونس (منذ١٨٨١ــ٨٢)، وفى المغرب حيث انتهت المقاومة ضد فرنسا حتى ١٩١٢. واستنادا إلى اقوال "ديفيد كركوس وجورج فاجدا"، يرسم لنا "شوراكي" الصورة النهائية لما أطلق عليه كثيرا فى الماضى اسم "التكافل اليهودى الاسلامى":

"فى العصور الوسطى كانت العلاقات بين اليهود والمسلمين فى اسبانيا وفى المغرب متماسكة الى درجة ان بعض اليهود لم يكن يتردد فى ان يصلى بالمسجد مختلطا بالمسلمين. وعندما كان المسلمون ينطقون بالشهادة[١]، [٢] كان اليهود يعلنون الشهادة اليهودية shemaIsrael دون اى خوف من أن النزعة التخصصية اليهودية يمكن أن تصطدم بدعوة الاسلام الجديدة.[10]"

وحين ننتقل إلى الممارسات الدينية الاكثر شعبية، نجد تكافلا يهوديا عربيا متعادلا فى الاساطير والسحر وتقديس الأولياء[٣] . ودراسة البروفسور Issaacha Ben Ami الشاملة عن الأولياء المغاربة توضح ذلك بجلاء فمن ستمائة وخمسين

---

[١] لعله يعنى الشهادة التى هى العنصر الأول فى اركان الاسلام (أشهد أن لا إله إلا الله. واشهد ان محمدا رسول الله).

[٢] النطق بالشهادة فى صلاة المسلمين يتم سراً فى قراءة التشهد. فكيف يسمعها اليهود الحاضرون؟ وقد يقصد المؤلف الجزء الأول فقط من الشهادة دون الجزء الثانى الخاص بأن محمد رسول الله (المترجم)

[٣] هذه امور دخيلة على المسلمين ولا تتفق مع عقيدة الاسلام. وما عرفها المسلمون إلا فى عصور تخلفهم. (المترجم)

ولى - على تفاوت بينهم فى الأهمية - مائة وستة وعشرون يتمتعون بتقديس اليهود والمسلمين سواء بسواء[11]. وهذا بالتأكيد السبب الحقيقى للصدمة الثقافية التى لاقاها اليهود الشرقيون واليهود الغربيون اثناء "اجتماعهم" بالارض الموعودة. و Albert Memmi العالم والكاتب اليهودى التونسى - الذى اشترك مع الوطنيين التونسيين فى نضالهم ضد الاستعمار، ولم يفلت العالم العربى من نقده الشديد، إلا أنه لم ينكر يوما "انتماءه العربى". بل على العكس عندما تعرض اليهود الشرقيون - وبخاصة يهود شمال افريقيا - لما يشبه التمييز العنصرى (على قدر ما قد يبدو فى هذا من تناقض ظاهرى) استل "ألبير ميمى" أشد اسلحته مضاء - وهو قلمه - لكى يكتب إلى زعماء اسرائيل، ويحتج على مثل هذا الذل الذى أصاب إخوانه اليهود العرب.

ولا استطيع أن أنهى هذا الجزء من بحثى دون أن أعود إلى ظاهرة اكثر ايجابية فى التكافل اليهودى العربى. وهى اللغة التى يستخدمها كل من اليهود والمسلمين بالأراضى العربية: ألا وهى اللغة العربية الفصحى ولهجاتها المحلية. ومع ذلك يعتبر "اندريه شوراكى" السمات السابقة للتراث اليهودى العربى أقل دلالة وتعبيرا عن الآتى:

"على مدى ثمانية قرون كتب علماء اللاهوت فى اكبر معبد لليهود مؤلفاتهم الرئيسية باللغة المقدسة فى الإسلام وهى العربية. هذا التجمع اللغوى هو العلامة البارزة على وحدة التجمع الثقافى والسياسى. ومن ناحية أخرى لم يخطر على بال أى يهودى أن يكتب باللاتينية فى منتصف القرون الوسطى النصرانية.[12]"

وهناك نقطة أخرى وهى أن "ديفيد بن جوريون" - رئيس الوزراء - كان يؤيد رأى "شوراكى". ففى بداية الخمسينيات اعتاد بن جوريون ان يقضى وقت تناول الغذاء فى تعلم اللغة العربية حتى يستطيع قراءة مؤلفات "موسى بن ميمون" فى نصها الأصلى[13] العربى.

ثالثا: السلام Shalom, Pax, Peace, Salaam

- النظرية والتطبيق:

أ - العقل والايمان فى الفكر اليهودى الإسلامى:

اعلن Elie Wiesel فى خطاب قبول جائزة نوبل للسلام عام١٩٨٦:

"فى بعض الأوقات يتحتم علينا أن نتدخل. عندما تتعرض حياة الناس للهلاك، وحين تواجه الكرامة الانسانية المخاطر، عندئذ تصبح الحدود والحساسية الوطنية غير ذات موضوع. وحيثما يضطهد الرجال أو النساء بسبب العرق أو الدين أو الآراء السياسية، فإن هذا المكان يتحتم - فى ذلك الوقت - ان يصبح هو بؤرة الاهتمام العالمى"[14].

ومما لا شك فيه أنه كلما اقتربنا من القرن الواحد والعشرين، فإن ظروفنا البشرية تبدو أشد تعاسة من أى وقت. وهذا أكثر شئ يدعو إلى الأسى، لأن نهاية الحرب الباردة كانت تحملنا على الاعتقاد انها سوف تفتح المجال لنظام دولى جديد. ولقد كان البروفسور Phillip E. Hammond و Ninian smart ثاقبى البصر إلى حد كبير فى اعدادهما المشترك لسمينار NEH عام ١٩٨٦ عن "الدين والقومية: مأزق المواطنة" فكتبا:

"من أجل فهم عالمنا، فمن الأهمية بمكان أن نفهم أنه عالم تعددى، وأن التعددية الدينية تسهم بشكل جوهرى فى تنوع الأمم. وليس العالم غير متدين، بعكس بعض الآراء. والدين لا يتجه نحو الزوال، ومع ذلك فهو بالتأكيد يتعرض حاليا للتغيير، وبالتالى تتغير العلاقة بينه وبين القومية. وأحداث بولندا وإيران وشمال ايرلندا ... على سبيل المثال، لا يمكن فهمها دون أخذ الأحوال الدينية فى هذه البلاد فى الاعتبار. هذه الأحوال التى تتجسد فى حركات من أجل الحقوق السياسية، والهوية الثقافية، واستقلال السلطة الوطنية. واننا نرى أن (حركة الغالبية الأخلاقية) Moral

Majority[1] ليست مجرد ظاهرة دينية بالمعنى الضيق وإنما هى عنصر ذو شأن خطير فى الكفاح فى مجال الثقافة الأمريكية."

ولقد تألم "اليهود العرب" و "العرب الاسرائيليون" جدليا من مأزق المواطنة وشاركوا فى صنعه تحت الضغوط المتعاقبة للحركة الصهيونية والقومية العربية فى اسرائيل اكثر من أى مكان آخر. وبين عام ١٩٨٤ واغسطس ١٩٨٦ ادهش الملك الحسن الثانى ملك المغرب ـ العالم مرتين باستضافته لمؤتمر يهودى به اعضاء فى الكنيست من اصل مغربى، ثم استضافة رئيس الوزراء "شيمون بيريز". ونشرت Jerusalem Post فى ابريل ١٩٨٦ حديثا لمسلم اسرائيلى هو الدكتور سامى مآرى Dr Sami Ma'ari اخصائى علم نفس ـ اكد فيه ان "شعور الكراهية الذى يقال عنه ان الاسرائيليين من أصل شرق أوسطى يكنونه لعامة العرب، هو قول سطحى وليس له أى أساس أيديولوجى". وهناك رأى متفائل للبروفسور "شارل هوفمان" الذى يرى: "ان الطرق المتوافقة مع القواعد والمستخدمة فى دراسة مواقف اليهود العرب تجاه العرب ومدى احتمالات السلام قد جعلت المرآة تشوه صورة ثقافة اليهود العرب وتاريخهم".[15]

فى عام ١٩٧٩ كان البروفسور "عمانويل جتمان" قد لاحظ "أن الدين يلعب دوراً غامضاً ومتعدد الأوجه فى عملية الادماج التى تتم داخل المجتمع الاسرائيلى اليهودى" وأضاف أن الدين "يحقق وظيفتين متناقضتين: فمن ناحية هو مصدر للنفور والانشقاق والنزاع" ومن ناحية أخرى "وإلى حد ما يحقق شعورا مشتركا، ويحمى روابط وولاءات مشتركة، وبالتالى يفيد كعامل للصهر" وهذا فى الواقع صحيح بكل تأكيد عن كل الجماعات اليهودية كأقليات تعيش من سواحل المغرب إلى الصين. إلا اننى أجد صعوبة فى مشاركة البروفسور "جتمان" فى تصريحه الواثق "بأن الديانة اليهودية ـ بعكس كثير من الديانات الأخرى ـ انطلقت دائما بشجاعة من أسلوبها

---

[1] وهى حركة امريكية للانجيليين المسيحيين تسعى لإدخال تغييرات اخلاقية فى السياسة والمجتمع (عن قاموس World Book Dictionary) (المترجم)

كديانة ذات عرقية واحدة. وهذا الأمر قد قوى من الالتحام العرقى القومى بين اليهود سواء فى الواقع العملى ام فـى الغايـة". ومـن جهـة اخـرى، ينطبـق رأى البروفسـور "جتمان" فقط على حالة اليهود عندما يكونون أقلية. وفى تأمله لنظام الحكم العثمـانى كتب يقول:

"كـانت الجماعـة اليهوديـة تمثـل أقـل الصعوبـات أمـام العثمـانيين عنـد إعـادة تنظيـم الجماعـات الدينيـة غيـر المسـلمة، لأن العرقيـة والديـن والجماعـة تلتقـى معـا داخـل الطائفــة اليهوديــة. وبالتــالى فــإن "الملــة" Millet المنشــأة مــع الرئيــس الحاخـــام (Hahambashi) مستمرة فى سلطتها كنظام يبدو فريدا جدا فى نوعه."

والواقع أنه طبقا لرأى "كمال كربات": "كانت الجماعة اليهوديـة منـذ البدايـة قريبة من المثـال العثمـانى الظـاهر فـى التوليفـة العرقيـة والدينيـة والجماعيـة بحيـث صـارت لبنة البناء فى بنيانه السياسـى"[16]. وكـان اليهـود "السـيفرديم" فـى تركيـا فـى سبتمبر ١٩٩٢ يحتفلون بالعام السعيد الـ ٥٠٠ Gook years [17]

ب ـ العرقية فى العلاقات العربية الإسرائيلية الحديثة

١ ـ التقارب الفكرى

طبقا لقول Harold R. Isaacs: "ينتمى أى فرد إلى جماعته الأساسية بـأعمق وأدق ما يكون فى هذا من معنى أى أنه ليس وحده.. انه ليس وحده فقط، وانمـا مـا دام قد اختار أن يظل فى جماعته فإنـه لا يمكـن طـرده أو التنكـر لـه. انهـا هويـة لا يستطيع أحد أن ينتزعها عنه" وهذا يثير فكرة قد تكـون اصبحـت مبتذلـة، ومـع ذلـك فانها تظل سارية المفعول. إذ يؤكد Isaacs "انكم تستطيعون اخراج الفلسـطينيين مـن فلسطين، ولكنكم لن تستطيعوا اخراج فلسطين من الفلسطينيين" وبصـراحة تامة اقـول إنه مع إعجابى باليهود أنهم ظلوا يتذكرون ويحلمون "العـام القـادم باورشـليم" طـوال

ألفى عام، فاننى لا أستطيع أن اكف عن الدهشة كيف يمكن أن ننتظر من الفلسطينيين أن ينسوا قبل أقل من خمسين عاما[1] .

قال Daniel Moynihan, Nathan Glazier فى مقدمتهما عن العرقية Ethnicity ببساطة ولكن عن حق: "الكلمة الجديدة تعكس واقعا جديدا، والاستخدام الجديد يعكس تغييرا فى هذا الواقع" ولقد قدما الكلمة الجديدة وهى العرقية Ethnicity، واستخداماً جديداً فى التوسع المتطرد فى اصطلاح "مجموعة عرقية مكونة من اقلية ومن اجزاء من مجموعات من اطراف المجتمع تتحول لتكون العناصر الرئيسية للمجتمع. وكان المتوقع لهذه المجموعات ان تذوب وان تتلاشى. أو أن تدوم كمجموعة الناجين المجلوبين أو المزعجين" والاكثر لفتا للانظار فى مثل هذه الدراسات هو تأكد صحتها من خلال أكثر الأحداث معاصرة فى أهم مناطق العالم مثل افريقيا وجنوب آسيا وقلب أوربا.

ويعرّف R.S. Mclaurin الأقلية بأنها جماعة من الأشخاص تجمعهم حاسة التماسك، وتمثل فى مجموعها اقل من نصف تعداد الشعب فى كينونته" وذكر أيضا "ان الأقليات يمكن نظريا ان تشتمل على مجموعات سياسية، ومجموعات اجتماعية أو اقتصادية، وطوائف دينية، ومجموعات بحسب النوع أو السن، ومجموعات مهنية، ومجموعات بحسب اللغة أو العرق"[18]وفى محاولته لعرض الاقليات كجزء من مكونات القوة السياسية، اقترح Mclaurin أن عملية التكيف الفعالة مع المجتمع يمكن أن تكون مصدر "قوة لهوية الأقلية فى هذه المجموعات" و "العمود الفقرى لمقاومة عملية الامتصاص". ومن أجل مزيد من الايضاح، أود ان انقل نصا مطولا من مقدمة Mclaurin فى كتابه "الاقليات والسياسة فى الشرق الاوسط":[19]

"الاقليات المتماسكة يمكن ان تمثل مشاكل مستعصية بالنسبة لحكومات البلاد التى يكون فيها النظام السياسى وشكل الحكومة ـ لا يتمتعان بشرعية رسمية. أما ولاء

---

(1) لن ينسى الفلسطينيون فلسطين لا قبل خمسين عاما ولا قبل الف عام. وسيعودون مهما طالت الأيام. كما أشارت إلى ذلك النصوص الثابتة.

مجموعة الاقليات فهو في الغالب اكثر واقعية من ولاء الدولة، وبالتالى فإن القرارات التى على مستوى الدولة تتخذ عادة مع مراعاة الابقاء على الاخلاص المشروط لهذه المجموعات. والواقع أن سياسة الدولة تظل رهينة بإرادة الأقلية. وحيثما يكون هناك عدد من هذه المجموعات ذات السياسة الموحدة، تصبح قومية الدولة اسطورة - أى فكرة لا تشعر بها شريحة الاغلبية الشعبية. صحيح أنه إذا أشير إلى المؤلفات الغزيرة التى تساند فكرة "التحديث المتكامل" integrative modernization فانه يصبح طبيعيا أن وجود مجموعات الأقليات وقوتها الكامنة يمكن النظر إليهما على انهما حالة شاذة، تنطوى على مفارقة تاريخية، وتؤدى إلى اختلال وظيفى - والأهم أنها سريعة الزوال.[20]"

٢ - حالة اسرائيل - اليهود العرب والعرب الإسرائيليون:
ما الدور من اجل السلام؟

استعين بملاحظة Glazier و Moynihan (بعيدا عن بوتقة الانصهار) (Beyond the Melting pot) بشأن ظهور الوعى العرقى فى وقت كان مفترضا فيه ان تختفى المجموعات العرقية[21]. إن خرافة الوحدة العربية[١] ، وقد غذاها شعور "الأخوة" الإسلامية - قد شاركت بلا جدال فى استمرار بقاء وحدة ثقافية وسياسية ودينية فى المجتمعات العربية الاسلامية حيث لعب اليهود دوراً كبيرا فى تاريخ هذه البلاد بما فيها المعارك الوطنية ضد الاستعمار[٢] . وفى مقابل هذه الخلفية، فإننى لازلت أرى فى يهود شمال افريقيا "حالة شتات كبيرة واضحة المعالم، تختلف من عدة وجوه عن مجموعات اليهود عامة، بل وحتى عن يهود بلاد المشرق والمغرب

---

[١] الوحدة العربية ليست خرافة. اذ ان عناصرها الاساسية متوفرة اكثر من اية وحدة اخرى على مستوى شعوب العالم. واسباب عدم تحقيقها بصورة كاملة معروفة.. ولا تغيب عن كل لبيب .. ولقد كانت الوحدة متحققة حتى مطلع القرن العشرين قبل بداية الاستعمار الغربى للبلاد العربية. (المترجم)

[٢] هل كان لليهود دور كبير فى المعارك الوطنية ضد الاستعمار الاجنبى؟ (المترجم)

الاسلامية بصفة خاصة"[22]. ومن جهة اخرى، تبدو لى عملية اعادة ايجاد دولة اليهود ـ الإعجازية ـ انها كانت مغلفة بخرافات متعددة الابعاد، شأنها شأن خرافة توحيد العالم العربى وخرافة "دار السلام".

ويشرح N.S. Eisenstadt فى أهم كتبه (المجتمع الاسرائيلى Israeli Society) ديناميكية السياسة الاسرائيلية الداخلية، وبصفة خاصة عندما كان يتحتم على الدولة الجديدة أن تملأ فراغات متنوعة مثل سلطة الانتداب، والعرب الذين هربوا[١] ، وحتى Yishuv. وبسبب ضيق المساحة سوف أذكر عدة نقاط غاية فى الأهمية من تحليل Eisenstadt. فقد رأت الدولة تزايد المطالب التى قدمتها المجموعات المتنوعة بشأن حصص الموارد Allocation of resources مما غير اساس التضامن خلال الـ Yishuv. ثم أصبحت الزيادة الملموسة فى تعداد سكان اسرائيل سببا ثانيا جوهريا يؤدى إلى التغيير الاجتماعى. وعلى هذا النحو أصبح اليهود العرب ـ وبخاصة يهود شمال افريقيا ـ يكسبون ـ كماً وكيفاً ـ اهمية فى تطور المجتمع الاسرائيلى، مما سوف يجعل منهم ـ طوعاً أو كرهاً ـ أكبر عامل يحسم اتجاه اسرائيل نحو السلام او نحو الحرب فى الشرق الاوسط[23]. ولاينبغى ان ننسى ان عدم توافر التجانس ـ نقول فى حده الأدنى ـ فى العالم الاسلامى [٢] يمكن مقارنته بالانقسام فى العالم اليهودى الذى امكن تلافيه عندما تجنب الكنيست التعرض لقضية "من هو اليهودى؟ ".

وإلى هذه الدراسات الفكرية الاساسية، يمكننا ان نضم دراسات Joseph Rotschild و Walker Connor بشأن السياسات العرقية والقومية العرقية (ethnopolitics, ethnonationalism). ومع ذلك وبما اننا أصبحنا ندرك أن حب السلام Peace-Loving هو فى ذاته شكل من أشكال الايمان، فإن جهدى القادم فى

---

[١] ولعل العالم باكمله لم ينس مذابح الهجانا والمنظمات الصهيونية وقتل وترويع سكان الاراضى الفلسطينية الذين اجبروا على النجاة بارواحهم (فتحى حجازى).

[٢] فى هذا الحديث مبالغة. (المترجم)

دراسة العلاقات اليهودية العربية سوف يتجاوز التصور السلبى بأن "الانقسامات العرقية سوف تظل باقية فى المستقبل وأنها بشير شر على استقرار النظام السياسى الاسرائيلى على المدى البعيد، وبالتالى على كفاءة اسرائيل فى التعامل بفاعلية مع جيرانها العرب"[24] ويعبر R.Bar Yosef عن مخاوفه الكبيرة قائلا: يمكن ان تتحول المجموعات العرقية إلى مجموعات ضغط بحيث يصبح "الكنيست ساحة لمعارك الاقليات القومية فى غياب رؤية سياسية أخرى بعيدة عن مجرد المحافظة على مصالحها العرقية الخاصة ورعايتها". وهذه الآراء تثير السؤال التالى: إلى أين سوف يقودنا كل ذلك إذا تأملنا العلاقات اليهودية النصرانية العربية الاسلامية بأمريكا؟

رابعاً: فرصة جديدة لأخوّة يهودية عربية بالولايات المتحدة الامريكية.

يبدو لى أن بعض الظواهر الاجتماعية التى لاحظها Alexis de Tocqueville لازالت قابلة للتحديد مع أحدث موجات للمهاجرين. فإن أمريكا التى تخيلها Walt Whitman رآها وقد تسامت منزلتها القارية لتصل إلى الحجم الدولى الحقيقى. وتبدو الدعوة العابرة للوطنية والعابرة للاديان والعابرة للعرقية والصادرة من "أرض الفرص Land of Opportunity" كأنها هدية ربانية للجنس البشرى لا ليعيشوا حياة سعيدة دائمة فحسب وانما ايضا لاستخدام هذه الأرض فى المصالحة وتسوية الخلافات Reconciliation . فكم من الخصوم والأعداء السابقين قد وجدوا أنفسهم فى أمريكا وجها لوجه: ألماناً وفرنسيين، يونانيين وأتراكاً ... الخ ورغم أن اليهود منتشرون فى عدد من أقوى وأقدم الجماعات ـ فإن تباينهم ينعكس فى تباين المهاجرين الأوربيين (من المحيط الاطلنطى إلى الأورال). أما بالنسبة للعرب فإن وجودهم بأمريكا بدأ بالعرب النصارى، مما يفسر سبب تأخر ظهور ثقافة العرب

المسلمين وديانتهم بشمال امريكا. ولكن الطفل kid الحقيقى الجديد على الساحة هو جماعة اليهود العرب Sephandim التى تعتبر "اقلية داخل اقلية"[25]

وهذا يمثل سبباً اضافيا لليهود والعرب (نصارى ومسلمين) لكى يعملوا معاً لاحياء التعايش الأخوى الماضى بين الاديان وبين الثقافات. واذا كان حقا ان حكومة الولايات المتحدة هى القناة الدبلوماسية الوحيدة لتحقيق السلام العربى الاسرائيلى الفلسطينى، فاننى لا استطيع أن أتصور أى أناس يهودا أم عربا لديهم العزم والتصميم ولا يلتزمون بعلاقات اخوية بين جماعاتهم. ان الغالبية الدائمة لمثل هذه العلاقات ينبغى أن تكون العمل من أجل تحقيق السلام بالشرق الاوسط، وايضا السلام بين اليهود والنصارى والمسلمين حيثما كانوا.

مراجع البحث:

(1) السلفية هى حركة من خلال جريدتها " المنار" ترى اعادة تحقيق المبادئ التقليدية من اجل الاصلاح الاسلامى السياسى والتشريعى والفكرى.انظر Voices of Resurgent Islam للناشر J. Esposito (اكسفورد ١٩٨٣) ص٦.

(2) على مراد "الاسلام فى أفق عام ٢٠٠٠ (القرن الخامس عشر الهجرى) L'Islam A L'Horizon 2000 بجريدة العالم الثالث المجلد ٢٣ رقم ٩٢ (اكتوبر ديسمبر ١٩٨٢) ص٧٥٨.

(3) عبد الوهاب حشيش (الدراسات العربية والاسلامية والبحر المتوسطية ومتعددة الثقافات بالولايات المتحدة" بالدراسات الدولية تونس ربيع ١٩٨٨

(Les Etudes Arabes, Islamiques, Me'diterrane'ennes et inter-culturelles aux Etats-unis) in Etudes Internationales

(4) "برنارد لويس" (يهود البلاد الاسلامية The Jews of Islam) (برنستون: مطابع جامعة برلستون ١٩٨٤) ص١٢.

(5) "برنارد لويس" "التراث اليهودى الاسلامى The Judaeo-Islamic Tradition" فى "يهود البلاد الاسلامية"٦٧. اعتقد أن هذه الكلمات هى أول ما كتبه S.D. Goitein الذى نال اعتبارا كبيرا بالمذكرة ٢ فصل ٢ ص٢٠٣.

(6) على مراد "الرسالة الأصلية Le Message Originel" فى "الإسلام فى أفق عام٢٠٠٠" ص٧٦٢.

(7) السيمنار الذى عقد مع "أقليات المسلمين بالشرق الاوسط وبالاتحاد السوفيتى" تحت الادارة المشتركة لـ Drs. E. Naby & R. Frye . ورغم ان مشروع بحثى كان يركز على البربر، فقد عكفت على الشروع فى دراسة مبدئية حول يهود شمال افريقيا بسبب سبق نسبتهم إلى العرب، وسبق وجودهم بالمغرب قبل الإسلام.

(8) وليد خالدى "التفكير فيما لا يمكن التفكير فيه: دولة فلسطينية" فى الشئون الخارجية Foreign Affairs "Thiking the Unthinkable: Apalestinian state" (يوليو ١٩٧٨) ص ٦٩٥-٧١٣.

(9) ماريون وولفسن "أنبياء ببابل: اليهود فى العالم العربى (فابر ١٩٨٠) ص٣٩
"Prophets in Babylon: Jews in the Arab World"

(10) اندريه شوراكى "انفجار مدينة" فى "يهود شمال افريقيا" ص٣٥٤-٣٦٠
"L'Eclatement d'une Cite'" in "Les Juifs d'Afrique du Nord"

(11) انييس بنسيمان Agnes Bensiman "حسن الثانى واليهود" "Hassan II et Les Juifs" (Editions Du Seuil (Paris 1991) ص٢٣.

(12) شوراكى ص ٣٥٦

(13) شكراً لمؤتمر مجلة المغرب Magberb Review عن الاسلام فى المغرب، الذى عقد بجامعة كمبردج فى منتصف الثمانينات عندما نظمت المكتبة Library معرضاً خاصاً عن النصوص العربية فى اسلام القرون الوسطى. لقد كانت أول مرة لى أن يكون لى الامتياز المحرك للمشاعر برؤية بعض اعمال موسى بن ميمون، وبعض روشتات لأطباء يهود بالاسكندرية أو القاهرة.

(14) "إيليه ويسل" Elie Wiesel خطبة القبول Acceptance Speech لجائزة نوبل للسلام عام ١٩٨٦ أوسلو.

(15) "شارل هوفمان" "كيف يشعر يهود العرب نحو العرب"
"How Sephardim Feel About Arabs" The Jerusalem Post ١٢نوفمبر ١٩٨٦

(16) كمال كربات "العرقية العثمانية والتراث العقيدى بالشرق الاوسط"
The Ottoman Ethnic and Confessional Legacy in the Middle East in (Ethnicity, Pluralism and the state in the middle East)
فى (العرقية والتعددية والدولة بالشرق الاوسط) الناشر ed. Milton J.Esman and Itamar Rabinovich (مطابع جامعة كورنل ١٩٨٨).

(17) "ألن كويل" (اليهود العرب يحتفلون بـ ٥٠٠ عام طيب
"Sephardim Celebrate 500 Good Years"
نيويورك تايمز الدولية ـ ١٤ سبتمبر ١٩٩٢ ص A4 .

(18) "ر.د. مكلورين" "الاقليات والسياسة فى الشرق الاوسط: مقدمة فى "الدور السياسى لجماعات الاقليات فى الشرق الاوسط" نشر "ر.د.مكلورين" (نيويورك: Praeger ١٩٧٩) ص٤.
Minorities and Politics in the Middle East: An Introduction in The Political Role of Minority Groups in the Middle East.

(19) انظر هامش ١٦

(20) نفس المرجع

(21) N. Glazier 7 P.D. Moynihan فى (وراء بوتقة الانصهار: الزنوج وسكان بورتوريكو واليهود والايطاليون والايرلنديون بنيويورك.
Beyond The Melting Pot: The Negroes, Puerto-Ricans, Jews, Italians and Irish of New York (كمبردج: مطبعة Mit ١٩٧٠).

(22) H.z. Hirsbergg "من العصور القديمة حتى القرن السادس عشر" فى (تاريخ يهود شمال افريقيا) المجلد الأول (ليدن : أ .. ج بريل ١٩٨١)
"From Antiquity to the Sixteenth Century" in "A History of the Jews in North Africa".

(23) تقارن جداول Eisenstadt عن (بيانات العرقية الديمغرافية) Ethnic-Demographic Data مع كتاب (الناخبون المهاجرون باسرائيل) تأليف Shlomo Deshen ص٦٥-٦٦.

(24) Lee E.Dutter فى (اليهود الشرقيون والغربيون ـ الانقسامات العرقية بالمجتمع الاسرائيلى، بجريدة الشرق الاوسط (صيف ١٩٧٧) ص٤٥١. مؤلفات هذا الكاتب غنية بالمراجع عن العرقية.

(25) أولى "ابراهام د. لاندر" عناية جادة للاهمية الديمغرافية والثقافية لليهود الامريكان الجدد الذين من أصل عربى بدراسة "محاولاتهم للحياة العرقية" Attempts at ethnic revival وامكانية 'المكاسب الاجتماعية من دراسة اليهود العرب" Sociological benefits from the study of the sephardim وأيضاً "الحياة الجديدة لليهود العرب بالولايات المتحدة: حالة للحياة العرقية الجديدة فى أقلية داخل أقلية" بجريدة الدراسات العرقية ١٩٧٥ (٣) ص٢١-٣١

The Sephardic Revival in the United States: A case of Ethnic Revival in a minority-Within a Minority.

* * *

البرامج العملية

اشتمل الكتاب على ٨ برامج عملية. بيانها كالآتى:

البرنامج رقم١: تمهيد .. الرحلة بدأت

البرنامج رقم٢: ابراهيم (عليه السلام) اجداد مشتركون ونصوص مقدسة

البرنامج رقم٣: الاعياد: عام فى حياة المسلمين واليهود

البرنامج رقم٤: دورة الحياة: ايقاع حياتنا الدينية

البرنامج رقم٥: زيارة مسجد

البرنامج رقم٦: زيارة معبد يهودى

البرنامج رقم٧: الحفاوة المنزلية: مواجهة ماضينا وبناء مستقبلنا

البرنامج رقم٨: ختام: نحو رحلات مقبلة

اكتفينا بترجمة البرنامج الأول فقط كنموذج لجلسات الحوار التى يمكن ان تعقد خارج الولايات المتحدة. حيث انه قد يتحتم اختيار موضوعات لهذه الجلسات تختلف عن الموضوعات المقترحة بالكتاب.

(المترجم)

البرنامج رقم١

مدخل: الرحلة تبدأ

نظرة فاحصة:

هذا البرنامج مخصص لتقديم المشتركين بعضهم لبعض، وتنظيم الحوار المكون من ثماني جلسات. والبرنامج يتحرك من الواقع إلى النظرى إلى الشخصى، مبتدئا بدراسة بعض الافكار الخاصة بالحوار بين الاديان على هدى هذا المشروع، وينتهى بمشاركة المشتركين فى تجارب وافكار بعضهم البعض. وفى قلب هذا البرنامج صورة الحوار كأنه رحلة. وفى منتصف الرحلة من خلال طرق منفصلة، يتيح الحوار بين اليهود والمسلمين الفرصة للافراد المسلمين واليهود ان يتقابلوا وان تنشأ بينهم العلاقات المتبادلة، وان يتشجعوا قُدُماً من اجل مشوار حيوى مشحون بالتربية والاثراء والتكافل.

الخطوط التمهيدية:

أولاً ـ الترحيب: المقدمة والنظرة العامة

ثانياً ـ نظرات ثاقبة ترشد إلى طريقنا: أفكار عن الحوار بين الاديان

ثالثاً ـ تخطيط رحلاتنا: ما نحن؟ وما الذى أتى بنا إلى هنا؟

رابعاً ـ النظر إلى الأمام: اعداد البرنامج رقم٢

خامساً ـ تقديسنا للرحلة

الإجراءات:

أولاً: الترحيب: المقدمة والنظرة العامة

١ ـ الترحيب بالمشتركين.

٢ ـ تقديم القائمين على التنظيم Facilatators

٣ ـ توزيع جدول يوضح موضوعات الحديث والتاريخ ومكان كل جلسة ويعطى نظرة فاحصة عن الحوار.

ثانياً: نظرات ثاقبة ترشد إلى طريقنا: افكار عن الحوار بين الأديان.

ملاحظات تمهيدية: هذا القسم من البرنامج ينشد اطلاع المشتركين على المبادئ الأساسية التى تربط حوار الثمانى جلسات. فضلا عن ان الاقتباسات Quotations موضوعة من اجل تنشيط حوار اوسع حول امكانات الحوار بين الاديان، وان تتيح للمشتركين ان يعبروا عن توقعاتهم وعن متعتهم فى الدخول فى الحوار بين اليهود والمسلمين. إن تصميم نموذج "نحو الحوار On Dialogue" ينبغى ان يشتمل على حيز للقائمين على التنظيم Facilatators لتكملة كشف البيانات بإضافة مقتبسات من مصادر أخرى أو باضافة العبارات التى يريدون.

١ ـ توزيع نموذج "نحو الحوار"، وتقديم هذا الجزء من البرنامج.

٢ ـ فردا فردا، يقرآ ويناقش المقتبسات (النموذج بما عليه من تأشيرات وتعليقات سوف يلقى الضوء كمرشد على عدة نقاط مأخوذة من المقتبسات). سلسلة الاسئلة المقترحة عن كل حالة:

أ ـ كيف يمكنك اعادة صياغة هذا الموضوع بكلمات من عندك؟

ب ـ ما هى الطرق التى يمكن لهذه الفكرة ان تشكل بها بناء أو مضمون الحوار بين الاديان؟

٣ ـ ركّب المقتبسات والتعليقات

أ ـ التفكير حول توقعاتك الشخصية ومتعتك الذاتية للدخول فى حوار بين اليهود والمسلمين، وما هى الحالة التى يمكنك اضافتها الى هذا الكشف؟

ثالثا: التخطيط لرحلاتنا: ما نحن؟ وما الذى أتى بنا إلى هنا؟

ملاحظة تمهيدية: هذا الجزء الثالث من البرنامج يتيح الفرصة للمشتركين لكى يقدموا انفسهم، ولكى يذكروا نبذة عن جذورهم الشخصية. ثم يعطى المشتركون خريطة، ويطلب منهم ان يرسموا الطريق الذى اوصلهم إلى اشتراكهم الحالى فى الحوار بين اليهود والمسلمين. وفى الوقت الذى يقوم فيه المشتركون بوصف

رحلاتهم الشخصية، سوف يبدأون ـ مما يبشر بالنجاح ـ فى إدراك بعض من التجارب المشتركة والقيم المشتركة التى يتقاسمها المسلمون الامريكان واليهود الامريكان.

١. وزع خرائط وأقلام

٢. اطلب من المشتركين أن يرسموا الطريق الذى جاء بهم إلى الدخول الحالى فى الحوار بين اليهود والمسلمين.

أ. هذا النشاط مفتوح عن عمد، لكى يسمح للمشتركين بتفسير المشروع بما يتفق مع جذورهم ومصالحهم. فمثلا البعض قد يرسم حركته البدنية من مدينة إلى مدينة، بينما آخرون يمكنهم ان يخطوا نقاطاً هامة لنموهم الدينى، أو ان يوضحوا حياتهم بطرق أخرى.

٣. بعد انتهاء المشتركين، أطلب منهم أن يقدموا أنفسهم، وان يوضحوا باختصار ما دونوه على خرائطهم.

رابعاً: النظر إلى الأمام: اعداد البرنامج رقم٢

١. لاعداد الجلسة التالية، اطلب من المشتركين أن يقرعوا مقال روفن فايرستون "ابراهيم .. أهو اليهودى الأول أم المسلم الأول ؟ ". نص وتراث و"حقيقة فى الحوار بين الأديان".

خامساً: تقديس الرحلة

ملاحظة تمهيدية: كما سبق أن اوضحنا، يجمع الحوار بين اليهود والمسلمين على طريق مشترك للاكتشاف، وللفهم، وللصداقة. ويختتم الحوار بتقديس هذه الرحلة عن طريق الدعاء Prayer

١. المسلم يقرأ "دعاء اسلاميا عن السفر"

٢. اليهودى يقرأ "دعاء يهوديا عن السفر"

٣. الملاحظات الختامية للقائمين على التنظيم Facilitators.

الأدوات:

١. سوف يحتاج المشتركون إلى صورة من كل نموذج:

أ. نظرة فاحصة للحوار (جدول يوضح الموضوع، والتاريخ، ومكان الجلسة القادمة).

ب. "نحو الحوار" (أضف مقتبسات أو جمل على النموذج حسب الرغبة)

جـ . التخطيط لرحلاتنا.

د . تقديس رحلة الحوار

٢. اقلام ملونة

٣. بطاقات للاسماء Tags

نحو الحوار On Dialogue (رواية مزودة بملاحظات Annotated Version)

١. ما مدى صحة القول بأن الشخص يفهم عقيدة ما بالتعرف على معتنقيها اكثر مما يفهمها من قراءته للباحثين النظريين لتلك العقيدة؟.

تعليق البرنامج:

هذا البرنامج يساعدنا على أن نفهم أن اليهود والمسلمين يمكنهم أن يتعرفوا على الاسلام وعلى اليهودية عن طريق الحوار، افضل من مجرد قراءتهم للكتب أو استماعهم إلى محاضرات عن "عقائد الاسلام" أو عن "الممارسات الدينية في اليهودية". إذ لدينا الكثير الذى يعلمه بعضنا لبعض عن تراثاتنا الدينية عن طريق التحدث عن حياتنا الدينية. ومع إدراك كل منا أننا لسنا ممثلين رسميين لتراثات أدياننا فى كمالها، وانما نحن مجرد أفراد نعبر عن هويتنا الدينية بطرقنا الخاصة. فإن التراث ـ الذى قد يبدو فى ظاهره تجريدياً أو بعيداً ـ يمكن أن يصبح نابضاً بالحياة من خلال طريقة التفاهم الشخصية.

المرجع:

"أوجين ب. بورويتش": "نحو حوار عقيدى مع النصارى"

"On Theological Dialogue with christians"

"استكشاف الأخلاق اليهودية" "Exploring Jewish Ethics"

(Detroit: Wayne state University press, 1990), 394.

٢. ربما يكون أهم درس وعيناه من الحوار بين الأفراد وبين الاديان فى السنوات الاخيرة، هو أنه ينبغى علينا أن نبذل جهداً حاسماً لكى نتعرف على الناس كما هم، لا كما كنا نتمنى أن يكونوا، لأى سبب من الأسباب.

تعليق البرنامج:

هذا الاستشهاد يحثنا على أن ننحى جانبا القوالب الفكرية Stereotypes، وأن ينظر كل منا للآخر من خلال عدسة غير مصبوغة بقوالب فكرية أو توقعات معينة. واذا كان الحوار حقا ذا معنى وذا قدرة على إحداث التغيير، فانه ينبغى علينا ان نثبت قدرتنا على الانصات الجيد، وان نؤكد انفتاحنا بان نترك غيرنا يثيرون دهشتنا، وأن يتحدونا، وأن يعلمونا.

المرجع:

"أوجين ب. بورويتش" فى كتاب "الدراسات اللاهوتية الحديثة لشخص المسيح وعمله" :Eugene B. Borowitz, contemporary christologies (new york: Paulist press, 1980), 7.

٣. الخطوة الأولى لفهم أى شئ غريب عنك، هو اكتشاف بعض عناصر مشتركة تتقاسمها انت مع الآخرين.

تعليق البرنامج:

هذا التعليق يركز على أهمية البدء فى الحوار بموضوعات تشجع على التفاهم وايجاد الحساسية Sensitivity

المرجع:

"جاى كينى" فى "الاسلام باعتباره غير"

Jay Kinney. "Islam as Other" (chicago The Institute of Islamic Information and Education)

٤. بالمواجهة المباشرة فقط لنقاط اختلافنا الشديد، هل يمكن ان يتوصل بعضنا لمعرفة بعض معرفة حقيقية. اننا كما نحن، بفضل اختلاف بعضنا عن بعض كما هو بفضل تشابهنا مع بعضنا البعض. وعلى الرغم مما يبدو في هذا من تناقض، فانني لا أعتقد اننا نفهم ديننا فهماً جيداً، ما لم نر ديننا في اختلافه المتميز عن عقائد البشر الأخرى.

تعليق البرنامج:

هذا القول يتجاوز الاستشهاد السابق، ويذكرنا بأن الحوار بين الاديان ليس فقط اسلوبا للتعرف على اوجه التشابه وتمجيدها، وانما ايضا لمواجهة أوجه الاختلاف والتصارع معها. وعلى الرغم من ان التجارب والقيم المشتركة توفر اساساً لبناء الزمالة والتفاهم، فانه ينبغي ان نكون راغبين في التحرك لما وراء تفاصيل مجالات التشابه commonalities ، وان يكون لدينا القدرة على الاضطلاع بأصعب واجباتنا ألا وهو التعامل مع اختلافاتنا. وبهذا سوف يزداد تفهمنا للتراثات الدينية الأخرى ولتراثنا أيضاً.

المرجع:

"أوجين ب. بورويتش" في كتاب "الدراسات اللاهوتية الحديثة لشخص المسيح وعمله" Eugene B Borowitz, Contemporary christologies (New York: Paulist press, 1980) , 20.

٥. "الحساسية والاتصال المتبادلان ينموان بدافع من الحاجة المشتركة لأن نفهم ولأن نكون مفهومين"

تعليق البرنامج:

هذا القول يلقي ضوءا شديدا على أهم عناصر الحوار بين الأديان: وهي الحساسية نحو معتقدات والممارسات غير الدينية، والانفتاح لمقاسمة العقيدة

الشخصية للغير، والقدرة على الانصات للغير باحترام، والاقرار بكمال وربانية عقيدتهم.

المرجع:

"مايكل أ. سجنر" فى "الطوائف والعالمية: من النظرية إلى التطبيق فى الدراسات اليهودية النصرانية" فى "عندما يلتقى اليهود والنصارى"

Michael A. Signer, "communitas et univeritas: From theory to practice in Judaeo-christian studies" in "when Jews and christians meet", ed. Jakob j. petuchowski (new york: state university of new york press), 74.

تقديس الرحلة:

دعاء اسلامى بمناسبة السفر

"باسم الله مجريها ومرساها، إن ربى لغفور رحيم" وعندما تجلس هكذا، عليك ان تتذكر فضل الله عليك وتقول: "سبحان الذى سخر لنا هذا" وانه ليس لدينا القدرة على العمل إلا بعون الله "وإنا إلى ربنا لمنقلبون"

الله انت الصاحب فى السفر، والخليفة فى الأهل والأولاد والأموال اللهم إنى اعوذ بك من الشيطان، ومن كل صعوبات تقابلنى فى سفرى[1] اللهم إنى اسألك السلامة فى نفسى، وفى اهلى أثناء غيابى. آمين

دعاء يهودى بمناسبة السفر Tefillat Ha. derech

لتكن ارادتك

خالد إلهنا واله اجدادنا

ان تهدينا بسلام، وتعيننا فى سلام

ان تقودنا إلى مكان مقصدنا فى صحة وسرور

---

[1] الدعاء المأثور: " ... اللهم إنى اعوذ بك من وعثاء السفر وسوء المنقلب وكآبة المنظر فى المال والأهل والولد ".

وأن تعيدنا إلى ديارنا فى سلام
نجنا من كل عدو أو دمار فى الطريق
ومن اى فاجعة تهدد العالم
واجعل البركة فى عمل ايدينا،
بحيث يمكننا ان نجد الرحمة والحب والصحبة
فى نظرك وفى نظر كل من يرانا
استمع لطلباتنا لأنك انت الاله الذى يسمع الدعوات والطلبات.
كم انت مجيد، انت الذى تسمع الدعاء

المراجع[1]

- Denny, frederick M. "Islam" -san francisco: Harper and Row publishers 1987.

"اسلام" وهذا الكتاب يقدم مدخلا أساسيا للتراث الاسلامى وللجماعة المسلمة على مستوى العالم.

- Firestone, Reuven "Journey in Holy lands", The evolution of the Abraham-Ishmael legends in Islamic Exegesis. Albany: state university of new york press 1990.

"رحلة فى الأراضى المقدسة ـ تطور سيرة ابراهيم واسماعيل فى التفاسير الاسلامية". هذا الكتاب يعرض عددا من الروايات الاسلامية حول ابراهيم من القرآن ومن التفاسير المتأخرة. ولقد تم دراسة هذه السير على ضوء الروايات اليهودية والنصرانية والتى كانت معروفة بالجزيرة العربية قبل الإسلام.

---

[1] يجب اضافة مراجع اسلامية من مصادر اسلامية صرفة ليتم التوازن مع هذه المراجع. حيث الملاحظ ان المراجع الموصى بها فى الموضوعات الاسلامية هى من تأليف كتاب غربيين أو يهود. والواجب ان تذكر ايضا مراجع اسلامية لكتاب مسلمين حيث تتوفر الدقة فى الفهم والعرض. وحتى لا يظل المشتركون فى الحوار داخل دائرة ثقافية ذات صيغة واحدة ـ ونظرة إلى مراجع كتاب: الاسلام كبديل (د. مراد هوفمان) توضح مدى ثراء المكتبة الغربية بالكتب الاسلامية باقلام مسلمين اوربيين وغيرهم وبلغات متعددة.

- Haddad, Yvonne Yazbeck ed. The Muslims of America, New York, Oxford university press, 1991.

"مسلمو أمريكا". هذا الكتاب يجمع بحوثا لعلماء مسلمين فى تاريخ، وتحديات، واجابات الطائفة المسلمة بالولايات المتحدة وكندا.

- Haddad, Yvonne Yazbeck and Adair T. Lummis "Islamic Values in the United states", New York: Oxford university press 1987.

"قيم اسلامية بالولايات المتحدة" هذه الدراسة الاجتماعية للمهاجرين المسلمين بأمريكا وذرياتهم، تقدم ثروة من المعلومات وتوضيحات حول الطائفة الاسلامية بامريكا.

- Kertzer, Morris N. "What is a Jew?" Revised by Lawrence A. Hoffoman. New York, Macmillian 1993.

هذا الكتاب روجع حديثا، ويعتبر مدخلا ممتازا إلى الفكر اليهودى والحياة اليهودية.

- Lewis, Bemard. "The Jews of Islam", Princeton: princeton university press, 1984.

"يهود البلاد الاسلامية" حاول المولف ان"يبحث فى منشأ وازدهار ونهاية التراث اليهودى الاسلامى. وان يضع هذه المناهج مقابل خلفية التعاليم اليهودية والاسلامية.[11]

- Strassfeld, Michael "The Jewish Holidays: A Guide and commentary", New york: Harper and Row, Publishers 1985.

"اعياد اليهود - مرشد وتعليقات" هذا الكتاب يضيف دراسة شاملة لتاريخ واعراف اعياد اليهود مع تعليقات من علماء معاصرين.

- Stillman, Norman A. "The Jews of Arab Lands: A History and Source Book". Philadilphia: The Jewish Publication Society, 1979."

"يهود الاراضى العربية - كتاب تاريخ ومراجع" عن طريق تحليل تاريخى ووثائق لمراجع اساسية، يستكشف هذا الكتاب الطوائف اليهودية فى العالم الاسلامى منذ عهد محمد صلى الله عليه وسلم حتى القرن التاسع عشر.

Syme, Daniel B. "The Jewish Home: A Guide for Jewish Living" New York, "UAHC Press, 1988.

دار اليهود - مرشد فى الحياة اليهودية' هذا الكتاب توضيح ميسر عن طقوس وممارسات الأعياد، ودورة الحياة والاحتفالات المنزلية.

رقم الإيداع

٧٩٦١ / ٩٥

I. S. B. N.
977 - 253 - 076 - 7

هذا الكتاب

- نشره اتحاد الجمعيات اليهوديه UAHC بنيويورك عام ١٩٩٣ ويتكون من قسمين أحدهما نظري يشتمل علي سبعة مقالات منهاخمسة بأقلام كتاب يهود ومقال لكاتب مسيحي ومقال لكاتب مسلم والقسم العملي به ثمانية برامج عملية للحوار (اكتفينا بترجمة البرنامج الأول كنموذج) .

- ولقد تضافرت جهود شخصيات هامة تنتسب إلي الأديان الثلاثة لإعداد الدراسات والبرامج اللازمة قبل إصدار الكتاب (مشار إليهم في « التنويه ») فضلاً عن دعم رابطة العالم الإسلامي - ومقرها الرئيسي بمكة المكرمة - لهذه الجهود .

- ولما كان نشر السلام وتوثيق الروابط بين الناس ودعم التسامح وحرية العقيدة **﴿ لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾** « البقرة ٢٥٦ » من الأهداف العليا التي يسعى الإسلام لتحقيقها فقد اهتم الأستاذ / فتحي محمد حجازي - أحدالعاملين بحقل الدعوة الإسلامية لغير المسلمين بأمريكا - بهذا الكتاب وموضوعه وسعى لترجمته للغة العربية ، وحصل علي موافقة الناشر علي الترجمة والنشر ، كما قام بالتقديم للكتاب .

- ولقد اضطلع بمهمة الترجمة الأستاذ/ محمد عبد العظيم علي ، الذي سبق له ترجمة عدة كتب ، كما قام الداعية الإسلامي الكبير الأستاذ / أحمد علي الكردي بالتعليق علي الكتاب من وجهة نظر الإسلام وإيضاح أن الإسلام لا يرفض الحوار بل يدعو إليه بشرط أن يستهدف حقائق ينتفع بها الناس ويهتدي بها أهل الأديان ، ويبتعد بهم عن التعصب والعرقية والمذهبية ، وساهم آخرون بالتعليق ومنهم المترجم .

- ولقد اقتضي استكمال أبحاث الكتاب إضافة مقدمات ذات قيمة علمية عظيمة في أول الكتاب اختتمت بكلمة الأزهر الشريف في مؤتمر الأديان العالمي بباريس .

والله الموفق ...

دار الدعـــوة